# الموعود

١٧

محرم الحرام ١٤٤٦هـ
تموز ٢٠٢٤م

مجلة علمية تخصصية تصدر عن

## في هذا العدد:

المنهج التحليلي في معالجة روايات الملاحم والفتن
(الروايات المهدوية نموذجاً)
السيِّد محمّد القبانجي

الولادة المعجزة للإمام المهدي عجل الله فرجه
السيد حسين العوامي

وَهمُ الإمامة المُعَطَّلَة
الشيخ حسن الكاشاني

أحاديث الاثني عشر وإمامة الحجة بن الحسن عجل الله فرجه
(بحث في الدلالة ودفع الشبهات)
السيد طلال الحكيم

الإيمان بالإمام المهدي عجل الله فرجه وعدمه
(رؤية نهاية التاريخ في الفلسفة الغربية نموذجاً)
مجتبى السادة

كيف يعلم الإمام المهدي عجل الله فرجه بوقت ظهوره؟
الشيخ حسين عبد الرضا الأسدي

نصرة الدولة المهدوية بين البشرية والإعجاز
الشيخ حميد عبد الجليل الوائلي

مجلة علمية تخصّصية تصدر عن

مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي عليه السلام

المشرف العام

السيّد محمّد القبانچي

رئيس التحرير

الشيخ حميد عبد الجليل الوائلي

مدير التحرير

الشيخ حسين عبد الرضا الأسدي

الإخراج الفني والتنضيد الإلكتروني

الأستاذ حسن محمد حسن الطريفي

عدد النسخ

٥٠٠ نسخة

الناشر

مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي عليه السلام

جميع الحقوق محفوظة للناشر

www.m-mahdi.net/almauood

بسم الله الرحمن الرحيم

الموعود
مجلة علمية تخصّصية تصدر عن
مركز الدراسات التخصّصية في الإمام المهدي عجل الله فرجه

## قواعد النشر في مجلَّة الموعود

١- تنشر المجلَّة الأبحاث العلمية الرصينة المختصّة بعقيدة الموعود عجل الله فرجه.

٢- الأفضل أن تكون البحوث منضدة الكترونياً، على أن لا تقلّ كلمات البحث عن (٤٠٠٠) كلمة.

٣- أن تحتوي الصفحة الأُولى من البحث على عنوان واسم الباحث/الباحثين، وجهة العمل والعنوان، ورقم الهاتف والبريد الإلكتروني إن وُجِد.

٤- يُشار إلى المصادر جميعها بأرقام الهوامش، وتراعى الأصول العلمية المتعارفة في التوثيق والإشارة.

٥- أن تُرفَق نسخة من السيرة العلمية إذا كان الباحث يتعاون مع المجلّة للمرّة الأولى.

٦- أن لا يكون البحث قد نُشِرَ سابقاً.

٧- لا تُعَبِّر الأفكار المنشورة في المجلَّة بالضرورة عن وجهة نظر جهة الإصدار.

٨- يخضع ترتيب الأبحاث المنشورة لموجبات فنيّة.

٩- تخضع البحوث لتقويم علمي لبيان صلاحيتها للنشر، ولا تعاد البحوث إلى أصحابها سواءً أنُشِرت أم لم تُنشَر.

١٠- يُمنح كلّ باحث نسخة واحدة من العدد الذي نُشِرَ فيه بحثه، ومكافأة مالية مجزية.

١١- تُرسَل البحوث للمجلَّة، أو تُسلَّم مباشرة إلى مقر المجلة على العنوان التالي:

العراق، النجف الأشرف، شارع السور، قرب جبل الحويش.

رقم الهاتف: ٠٠٩٦٤٧٨١٦٧٨٧٢٢٦

www.m-mahdi.com/almauood
almauood@m-mahdi.com

المعود
ALMAUOOD

# تمهيدنا
# آليات التعاطي المعرفي مع المهدوية

المعروف ومنذ القِدَم أنَّ الخوض في كل قضية معرفية كانت أو عقائدية أو فقهية أو قرآنية أو أخلاقية أو غيرها يحتاج إلىٰ منهج ورؤية مسبقة تتيح للباحث مساحة من الخوض في القضية التي يروم بحثها.

وبقدر إلمامه بالقواعد العامة والأُسس والضوابط ستتجسَّد علىٰ ورقة البحث تلك القدرة - لو كانت مشفوعة ببيان يناسب حجم الإمكانات التي يمتلكها الباحث والبيئة التي ينطلق منها- في ضبط التفصيلات وعدم الوقوع في التهافتات، وبقدر هذا الضبط وما يترتب عليه، نجد الابتعاد عن هذه القواعد يؤثر سلباً في تشوش البحث وعدم انضباطه وخروج النتائج مشوهة ومجتزئة، بل وتكون موجبة في بعض الأحيان إلىٰ الإنكار والجحود، لا بل إلىٰ التلبس الخارجي الممقوت والضار.

القضية المهدوية تشكِّل جزءاً من البناء العقائدي والكلامي في مذهب أهل البيت عليهم السلام.

ومنذ القِدَم وما قبل زمان شيخ الطائفة قدس سره ومن زمان يونس بن عبد الرحمن رحمه الله وهشام بن الحكم رحمه الله وأضرابهم، يجد المتتبِّع في زوايا كلماتهم

منهجية واضحة رصينة تنم عن جهد استثنائي وكبير بذله هؤلاء الأعاظم قدس سرهم لتشييد أركان البناء العقائدي وبالخصوص في مسألة الإمامة وإمامة الإمام المهدي عجل الله فرجه.

وكنموذج من ذلك نلاحظ كلمات بعضهم في بعضهم وكيف يترجمون إلىٰ من مَنهج المسائل وقعّد القواعد:

ما قاله شيخ الطائفة قدس سره في الفهرست في حق هشام رحمه الله (ت ١٧٩ هجرية)، عند ترجمته له: (كان من خواص سيدنا ومولانا موسىٰ بن جعفر عليه السلام، وكانت له مباحثات كثيرة مع المخالفين في الأصول وغيرها.

وكان له أصل... وكان ممن فتق الكلام في الإمامة، وهذَّب المذهب بالنظر، وكان حاذقاً بصناعة الكلام...).

فلاحظ كيف وصفه بالحذاقة في هذه الصناعة وتفتيقه وتهذيبه للمسائل الكلامية ووضع القواعد لها، هذا كله ما قبل سنة (١٧٩).

ولاحظ في هذا الصدد ما قاله أيضاً قدس سره في معرض ترجمة شيخه، الشيخ محمد بن محمد بن النعمان (ت ٤١٣ هجرية)، قال في الفهرست: (محمد بن محمد بن النعمان المفيد، يكنىٰ أبا عبد الله، المعروف بابن المعلم، من جملة متكلِّمي الإمامية، انتهت إليه رئاسة الإمامية في وقته، وكان مقدّماً في العلم وصناعة الكلام، وكان فقيهاً متقدّماً فيه، حسن الخاطر، دقيق الفطنة، حاضر الجواب).

مقدماً في العلم وصناعة الكلام...

ولم يقف الحد عند هذا القدر، بل كان للحذاق منهم والأساطين كرسي لا يجلس عليه إلَّا من كان قيّماً بهذا الأمر ومن المقتدرين فيه، لاحظ

ما قاله الشيخ النجاشي ﵀ في ترجمة الشيخ محمد بن الحسن بن حمزة الجعفري (ت ٤٦٥ هجرية)، في الفهرست: (أبو يعلىٰ خليفة الشيخ أبي عبد الله بن النعمان والجالس مجلسه، متكلِّم، فقيه، قيم بالأمرين جميعاً، له كتب، منها: المسألة في مولد صاحب الزمان ﷺ المسألة في الرد علىٰ الغلاة... الموجز في التوحيد موقوف علىٰ التمام، مسألة في إيمان آباء النبي ﷺ).

والذي يتابع كلمات حتَّىٰ المستبصر منهم كالشيخ عبد الرحمن ابن قبة يقف علىٰ منهج رصين وقدرة فائقة إلىٰ التطبيق وضبط تفرعات المسائل[١].

حتَّىٰ خرج لنا أمثال كتاب غيبة الشيخ وما ناظره من الكتب في هذا الصدد من تراث السيد المرتضىٰ ومن قبله شيخه المفيد.

ولكن ولفترة زمنية طويلة عزَّ التماس وضوح المنهج والرؤية الواضحة أو امتلاك المنهجية في ما يرتبط بالقضية المهدوية.

فتجد بعض الباحثين وفي بحث واحد، بل في مورد واحد ومسألة فاردة يضعف عدداً من الروايات لأنها لا تناسب رؤيته ويعتمد علىٰ واحدة منها ضعيفة لأنها تناسب رؤيته التي بنىٰ عليها مسبقاً والتي يسعىٰ جاهداً إلىٰ تحشيد الأدلة عليها دونما نظر إلىٰ آثار ترك ما يدل علىٰ غيرها، ودونما رؤية في إبطال الأدلة المخالفة لفكرته ولو تكاثرت، فيما تجد نفس هذا الباحث وفي بحث آخر يقوّي نفس هذه الأدلة التي ضعَّفها في بحثه السابق ويضعِّف

١. محمد بن عبد الرحمن بن قبة الرازي (مات ما قبل (٣٠٩هـ) تقريباً)، قال الشيخ النجاشي ﵀ في الفهرست: (أبو جعفر، متكلِّم، عظيم القدر، حسن العقيدة، قوي في الكلام، كان قديماً من المعتزلة، وتبصر وانتقل، له كتب في الكلام... له كتاب الإنصاف في الإمامة، وكتاب المستثبت نقض كتاب أبي القاسم البلخي، وكتاب الرد علىٰ الزيدية، كتاب الرد علىٰ أبي علي الجبائي، المسألة المفردة في الإمامة). وقال الشيخ ﵀ في الفهرست: محمد بن قبة الرازي، يكنىٰ أبا جعفر، من متكلِّمي الإمامية وحذاقهم...).

ما قوّاه، لا لأجل منهجة واضحة وطريق مرسوم محدّد الملامح، بل لأجل الانتصار للفكرة ليس إلّا.

وهذا مما يوجب ضعف البحث وتقليل حجم مؤثريته في وسط القارئ الحصيف.

فما هو الضير من الاشتغال بالمتابعة الدقيقة لكتب المشايخ الثلاثة المفيد والسيد المرتضىٰ والطوسي والوقوف علىٰ منهجهم وتحريه وتحريره واعتماده أو بعضه، بل وإخراجه بعنوانه أو بغيره، كي تنتظم المنظومة المهدوية بشكل يوازي انتظام المسائل الكلامية الأخرىٰ من التوحيد والنبوة والإمامة والمعاد، بل والفقهية بعد ضبط المناهج الأصولية.

فالحري بالباحث في تفصيلات القضية المهدوية أن يمتلك - بالحد الأدنىٰ - القراءة الدقيقة الفاحصة لكتب المشايخ الثلاثة لما فيها من مخزون معرفي مرتبط بالعقيدة المهدوية مرتكز علىٰ قواعد رصينة ومبادئ صلبة تضبط البحث وتدفع اختلال النتائج.

فالمنهج موجود ومسطر في كتب الأصحاب إنَّما يحتاج إلىٰ إعمال عناية وبذل الجهد في ضبطه والعمل عليه، وهو عينه ما يعتمده المتكلِّم في مسائل التوحيد والنبوة والإمامة العامة والخاصة، سوىٰ بعض التفصيلات التي تعتمد علىٰ ما مُنهج في علم الأصول أو الفقه أو الحديث أو غيرها.

وليس فرز القضية المهدوية عن غيرها من مسائل الإمامة إلّا لأجل إبراز الأهمية وتفعيل جانب الاهتمام لدىٰ الكُتّاب الكرام نظير ما قاله الشيخ الآخوند الخراساني في مفهوم الوصف أنه وإن لم نقل بالمفهومية له إلّا أنه توجد له عدة فوائد، منها لبيان الأهمية، فالعقلاء جرت سيرتهم إذا أرادوا أن يبرزوا

شـيئاً لغـرض مـن الأغـراض يكثـروا مـن الاهتمام بـه لإنصـات النظـر إليـه، فلأجل إعـلام الآخريـن بأهميـة الأمـر وإلفـات السـامعين لـه يفردونـه ويبرزونـه مـع أنـه مـدوّن في الكتـب ومنظـور إليـه عنـد أهـل التخصـص والنحـو مـن الأنحـاء.

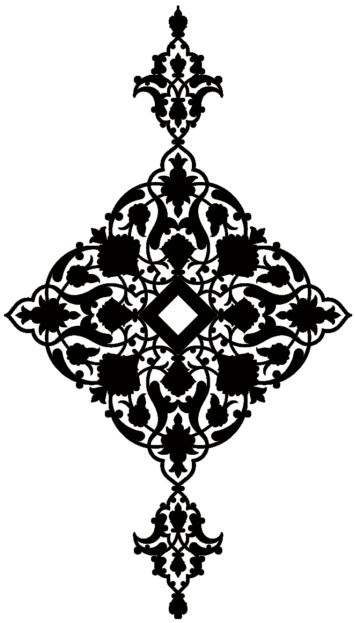

المعود
ALMAUOOD

# المنهج التحليلي في معالجة روايات الملاحم والفتن
# (الروايات المهدوية نموذجاً)

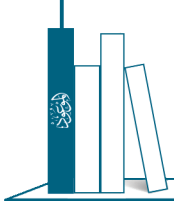

السيِّد محمّد القبانچي

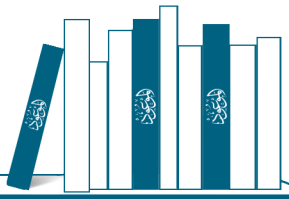

الحمد لله رب العالمين وصلىٰ الله علىٰ محمد وآله الطيبين الطاهرين.

**تمهيد:**

اعتمد الباحثون والكُتّاب طرقاً ومناهج متعدِّدة لدراسة المعارف الإنسانية، بهدف الوصول إلىٰ بيان النتائج النهائية التي يمكن الاعتماد عليها وجعلها قواعد وأُسساً تأصيلية للبناء العلمي الفوقاني، ومن تلك المناهج المنهج التاريخي، والمنهج الوصفي، والمنهج التوقيفي النصي وما إلىٰ ذلك، ومن هذه المناهج المتَّبعة هو المنهج التحليلي للنص الموروث، وهو منهج له ضرورته القصوىٰ وأهميته الكبيرة كما سوف يتَّضح.

ومن ركائزه عدم الاعتماد علىٰ مجرد فهم النص وصحة الطريق المؤدي إليه والمعبر عنه بـ(صحة السند).

فالذي يعتمد المنهج التحليلي قد يجد النص واضح المعنىٰ، والسند صحيحاً، ولكنه يتوقف في الأخذ بمضمون النص بعد تحليله وإرجاعه إلىٰ الماورائيات، من القواعد والأُسس العامة العقلية، أو التاريخية أو العقائدية، أو الروائية أو الأصولية التي تخص هذا المضمون لمخالفته لها، وهو أمر نجد علماءنا قد اعتمدوه في بحوثهم التخصصية.

**تطبيق السيد الخوئي ﷺ للمنهج:**

وكمثال على ذلك ما ذهب إليه السيد الخوئي ﷺ في رفض الأخذ بمدلول صحيحة محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال: «تُصَلَّىٰ عَلَى الْجَنَازَةِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ، إِنَّهَا لَيْسَتْ بِصَلَاةِ رُكُوعٍ ولَا سُجُودٍ، وإِنَّمَا تُكْرَه الصَّلَاةُ عِنْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وعِنْدَ غُرُوبِهَا الَّتِي فِيهَا الْخُشُوعُ والرُّكُوعُ والسُّجُودُ لأَنَّهَا تَغْرُبُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ وتَطْلُعُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ»[1].

حيث قال ﷺ: (وأمّا صحيحة محمد بن مسلم، فيتوجه على الاستدلال بها أنَّها غير قابلة التصديق بمدلولها - في نفسها - لاشتمالها على أنَّ الشمس تطلع بين قرني شيطان وتغرب بين قرني شيطان، وهذا إنَّما يمكن الإذعان به فيما إذا كان لطلوع الشمس وغروبها وقت معين، ومعه أمكن أن يقال: إنَّ الشمس تطلع وتغرب بين قرني شيطان. وليس الأمر كذلك فإنَّ الشمس في كل آن من الأربع والعشرين ساعة في طلوع وغروب، كما أنها في كل آن منها في زوال وذلك لكروية الأرض، فهي تطلع في آن في مكان وبالإضافة إلىٰ جماعة، وفي آنٍ آخر تطلع في مكان آخر وبالإضافة إلىٰ جماعة آخرين، كما أنها دائماً في زوال وغروب. ومعه ما معنىٰ أنَّ الشمس تطلع بين قرني الشيطان وتغرب بين قرني الشيطان؟! فهو تعليل بأمر غير معقول في نفسه وهو أشبه بمفتعلات المخالفين، لاستنكارهم الصلاة في الأوقات الثلاثة معلّلاً له بهذا الوجه العليل، فلا مناص من حمل الصحيحة وما هو بمضمونها على التقية، فلا مجال للاستدلال بها بوجه.

على أنّا لو صدقنا الرواية في مدلولها لم يكن تعليلها هذا بمانع عن الصلاة في وقتي الطلوع والغروب، لأنها وقتئذٍ من أحسن ما يرغم به أنف الشيطان، فلا موجب لتركها)[2].

١. الكافي (دار الحديث) - الشيخ الكليني: ج٥، ص٤٦٥، ح ٤٤٩٨/ ٢.

٢. كتاب الصلاة - السيد الخوئي ﷺ: ج١، ص٥٣٦.

**تطبيق السيد السيستاني دام ظله للمنهج:**

وهكذا ما ذهب إليه المرجع الأعلىٰ للطائفة السيد السيستاني دام ظله في خصوص دراسة متن الحديث وقبوله أو رفضه من خلال انسجامه مع المباني والقواعد المتبعة الروائية منها أو العقلية أو غيرها، حيث قال:

(إنَّ معظم الأصوليين المتأخرين فسَّروا الأحاديث الآمرة بعرض الخبر علىٰ الكتاب والسُنَّة نحو: ما وافق كتاب الله فخذوه وما خالف فذروه بالموافقة والمخالفة النصية، بمعنىٰ أن يعرض الخبر علىٰ آية قرآنية معينة، فإن كانت النسبة بينهما هي التباين أو العموم من وجه طرح الخبر، وإن كانت النسبة هي التساوي أو العموم المطلق أخذ، ولكننا نفهم أنَّ المراد بالموافقة الموافقة الروحية أي توافق مضمون الحديث مع الأصول الإسلامية العامة المستفادة من الكتاب والسنة، فإذا كان الخبر مثلاً ظاهره الجبر فهو مرفوض لمخالفته قاعدة الأمر بين الأمرين المستفادة من الكتاب والسنة بدون مقارنته مع آية معيَّنة، وهذا المفهوم الذي نطرحه هو الذي يعبر عنه علماء الحديث المتأخرون بالنقد الداخلي للخبر، أي مقارنة مضمونه مع الأصول العامة والأهداف الإسلامية، وهو المعبر عنه في النصوص بالقياس، نحو: فقسه علىٰ كتاب الله، إذن فمن المحتمل كون المراد من عمل ابن الجنيد بالقياس هو كونه من المدرسة المتشددة في قبول الحديث التي تلتزم بنظرية النقد الداخلي للحديث والموافقة الروحية فيه للكتاب والسُنَّة، في مقابل مدرسة المحدِّثين التي تعتقد بقطعية صدور أكثر الأحاديث دون مقارنتها مع الأصول الإسلامية)[1].

**بيان خطورة المنهج التحليلي:**

ولا يخفىٰ أنَّه منهج بقدر ضرورته القصوىٰ - كما أشرنا إليه - إلّا أنَّه محفوف بكثير من الخطورة، وهو محل لزلل الأقدام وانحراف العقول وعدم

١. الرافد في علم الأصول: ص١١.

الموضوعية، فإنَّ الباحث قد لا تكون عنده الأهليَّة الكافية للخوض في هذا المنهج، أو أنَّ له أجندة خاصة مسبقة، فلا يصل إلىٰ النتيجة المرجوّة، وذلك لأسباب منها:

١ - عدم الإحاطة بالقواعد العامة وما وراء مضمون الخبر مما يجب الرجوع إليه في تحكيم هذا المضمون، فيخطئ الباحث في النتائج بسبب عدم إلمامه بتلك القواعد التي هي من أساسيات التحكيم في صحة الخبر وصدوره أو عدم ذلك.

٢ - قد لا يكون الباحث قادراً علىٰ فهم مضمون النص بشكل جليّ وعميق، كما لو كان قليل الخبرة، أو مما لا خبرة له أصلاً في هذا المجال الدقيق، فيقع في الخطأ أيضاً.

٣ - قد لا يكون الباحث موضوعياً ومنصفاً، وهنا أيضاً يكون في معرض الانزلاق في وحل التخبط والخطأ والاشتباه، بل ربما تعمد التزوير والتحريف.

٤ - عدم استعمال الأدوات العلمية في التحليل، والاقتصار علىٰ الاستحسان والميول القلبية، وهذا بطبعه سوف يغلق أبواب الوصول إلىٰ الحقيقة المراد إثباتها.

وغير ذلك من الأسباب.

وعلىٰ كل حال فهناك الكثير من المخاطر العلمية في اتخاذ مثل هذا المنهج، ولذا لا يمكن لكل أحد استخدامه لمعرفة صحة النص الروائي أو التاريخي إلّا بعد التعمق والإحاطة الكبيرة بالتراث الإسلامي عموماً، والمهدوي بشكل خاص.



**ويبقىٰ سؤال: هل استخدام هذا المنهج يوصل دائماً إلىٰ القطع بالنتائج؟**

وفي معرض الجواب نقول: ليس بالضرورة ذلك، فقد يتوصل هذا

المنهج إليها، وقد يصل إلىٰ مجرد الاستبعاد أو التوقف والحذر من أخذ المعلومة، وهذا أمر مهم أيضاً في نفسه، خصوصاً في النتائج التي لها علاقة بثوابت الدين أو المذهب أو النتائج التي يترتب عليها موقف عملي معين للفرد أو للأُمَّة.

وقد أقرَّ أهل البيت عليهم السلام كلا النتيجتين في الأخذ بمروياتهم فعن سفيان بن السمط، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك، إنَّ الرجل ليأتينا من قبلك فيخبرنا عنك بالعظيم من الأمر فيضيق بذلك صدورنا حتىٰ نكذبه، قال: فقال أبو عبد الله عليه السلام: «أليس عني يحدثكم»؟ قال: قلت: بلىٰ، قال: «فيقول لليل: إنَّه نهار وللنهار إنَّه ليل»؟ قال: فقلت له: لا، قال: فقال عليه السلام: «ردّه إلينا فإنَّك إن كذّبت فإنَّما تكذّبنا»[1].

ممّا يعني أنّهم عليهم السلام أعطوا للمتلقّي فسحة في عدم التفاعل مع جميع المرويات، إذ الرواية صريحة بإمكانية تكذيب الموروث إذا كان مخالفاً للأسس والقواعد الدينية أو العقلية القطعية عند استخدام المنهج التحليلي، كما يمكن التوقّف فيها وردّها إلىٰ أهلها عندما لا تكون معطيات التحليل قطعية ويقينية.

ولكن لابد من توضيح أنّه يجب علىٰ الباحث في هذا المنهج أن يفحص ويتأمّل ويكون مختصاً وقادراً علىٰ التعاطي مع مخرجات الموروث ونتائجه.

**شمولية المنهج التحليلي:**

ويجدر بنا القول: إنَّ استخدام هذا المنهج يمكن أن يكون في جميع موارد البحث العلمي الروائي، ولا يقتصر استخدامه علىٰ الموروث الديني المهدوي، بمعنىٰ آخر: أنَّه يمكن استخدام المنهج التحليلي في أبواب الفقه كافة، إلّا أنَّ الاحتياج إليه في مجال معرفة الحقائق والوصول إلىٰ النتائج في روايات الملاحم والفتن - وبالأخص المهدوي منها - هو آكد وأهم، بخلافه في بقية المعارف

١. بصائر الدرجات - محمد بن الحسن بن فروخ: ص٥٥٧، ب٢٢، ح٣.

- خصوصاً الفقه وأحكام الشريعة - إذ قد لا يجد الفقيه في كثير من المسائل الفقهية حاجة إلىٰ اتِّخاذ المنهج التحليلي للوصول إلىٰ النتيجة، باعتبار أنَّ المسألة الفقهية مسألة في معرض الابتلاء عند المكلفين، لذا فإنَّ المشرِّع الإسلامي قد أكثر من بيان حكمها لكثرة السؤال عنها، هذا من جهة، ومن جهة أخرىٰ فإنَّ أغلب المسائل الفقهية ليس لها قواعد وماورائيات عقائدية وتاريخية لابد من الإحاطة بها - كما هو في النص المستقبلي الروائي - وذلك لابتنائها علىٰ التعبد عادةً، إلّا ما ربما يقال من ضرورة الاطِّلاع علىٰ تاريخ النص الفقهي وظرفه الزماني والمكاني لمعرفة وجه إصدار الحكم، وهل كان صدور النص في ظرف صعب ومتشابك وتضييق أهل الجور وإرهابهم الفكري، حتّىٰ يمكن حمل النص الفقهي الوارد من المعصوم علىٰ التقية مثلاً، أو حمله علىٰ القضية الخارجية دون الحقيقية أو غير ذلك.

أمّا في النص الروائي المهدوي، أو بعبارة أوسع (أحاديث الملاحم والفتن) فإنَّ دواعي التحريف والوضع عموماً كثيرة، مما يستدعي إعمال المنهج التحليلي بشكل واسع وعميق، ومن هذه الدواعي:

**دواعي الوضع والتحريف في الموروث المهدوي:**

**١ - الدواعي السياسية:**

وذلك لأنَّ القضية المهدوية - بما لها من زخم كبير في ترصين عقل الإنسان المسلم واتِّزانه، بل واستشرافه وتطلعه وانتظاره لدولة العدل الإلهي والتمهيد لها - ومن خلال الروايات الكثيرة المادحة لشخص المهدي عجل الله فرجه من جهة، ولسيرته وعصره المزدهر من جهة أخرىٰ، فإنَّ الكثير من الجهات السياسية الحاكمة - أو غيرها آنذاك - حاولت وبشدَّة تقمُّص هذه الشخصية من أجل جمع الأنصار وقيادة المجتمع المسلم، من قبيل الأمويين ودعواهم

في عمر بن عبد العزيز[١]، والعباسيين ودعواهم في محمد المهدي بن عبد الله المنصور[٢]، بل إنَّ هناك حركات قامت علىٰ الفكرة المهدوية، كما في الحركة

١. عمر بن عبد العزيز تولىٰ سنة ٩٩ ومات ١٠١هـ.

حاولت المنظومة الإعلاميَّة للدولة الأُمويَّة استغلال العقيدة المهدويَّة المتسالم عليها بين المسلمين لصالحها، لما في ذلك من الدلالات الكثيرة كما لا يخفىٰ علىٰ الفطن، ومنها الإيحاء بأنَّ من كانت هكذا صفته (يملأ الأرض عدلاً) فلابدَّ أنْ تكون عشيرته أو آباؤه هم أهل الحقِّ والحقُّ معهم، لذا نجد بعض الأحاديث المفتعلة عن لسان عمر بن الخطَّاب أو ابنه في صالح بعض ما يُسمَّىٰ بالخلفاء أو الملوك الأُمويِّين الذين ينتسبون من ناحية الأُمِّ إلىٰ عمر بن الخطَّاب، وهو عمر بن عبد العزيز، فعن عبد الله بن دينار، عن عمر، قال: (يا عجباً! يزعم الناس أنَّ الدنيا لن تنقضي حتَّىٰ يلي رجل من آل عمر يعمل بمثل عمل عمر)، قال: فكانوا يرونه بلال بن عبد الله بن عمر، قال: وكان بوجهه أثر، قال: فلم يكن هو، وإذا هو عمر بن عبد العزيز، وأُمُّه ابنة عاصم بن عمر بن الخطَّاب) [دلائل النبوَّة - أحمد بن الحسين البيهقي: ج٦/ ص٤٩٢]، وعن نافع، عن عمر: (يكون رجل من ولدي بوجهه شين، يلي فيملأها عدلاً)، قال نافع: لا أحسبنَّه إلَّا عمر بن عبد العزيز [الفتن لنعيم بن حمَّاد: ص٦٧]، وعن نافع أيضاً، عن ابن عمر، قال: كنت أسمع ابن عمر كثيراً يقول: (ليت شعري من هذا الذي من ولد عمر في وجهه علامة، يملأ الأرض عدلاً) [طبقات ابن سعد: ج٥ ص٣٣١]، مجلة الموعود (١٥) - أثر الحركات المنحرفة في الموروث المهدوي (الإسماعيلية نموذجاً): ص١٣.

٢. محمد المهدي بن عبد الله المنصور الدوانيقي يكنىٰ أبا عبد الله، ولد سنة سبع وعشرين ومائة... ومات المهدي لثمان بقين من المحرم سنة تسع وستين ومائة [تاريخ بغداد - الخطيب البغدادي: ج٣، ص٩] بتصرّف.

وهكذا نجد الدولة العبَّاسيَّة - وعلىٰ غرار من سبقها - حاولت ليَّ عنق العقيدة المهدوية الثابتة لصالحها، وذلك بافتعال ووضع الأحاديث المهدوية لإقناع الناس بصحَّة حركتهم ومسيرتهم، فعن أحمد بن راشد الهلالي، عن سعيد بن خثيم، رفعه إلىٰ أُمِّ الفضل، عن النبيِّ ﷺ: «يَا عَبَّاسُ، إِذَا كَانَتْ سَنَةُ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ وَمَائَةٍ، فَهِيَ لَكَ وَلِوُلْدِكَ، مِنْهُمْ: اَلسَّفَّاحُ، وَمِنْهُمُ اَلْمَنْصُورُ، وَمِنْهُمُ اَلْمَهْدِيُّ» [تاريخ بغداد - الخطيب البغدادي ج ١/ ص٨٤ و٨٥]، وعن ابن عبَّاس مرفوعاً: «هَذَا عَمِّي أَبُو الْخُلَفَاءِ الأَرْبَعِينَ، أَجْوَدُ قُرَيْشٍ كَفّاً وَأَمْجَاهَا، مِن وُلْدِهِ اَلسَّفَّاحُ، وَاَلْمَنْصُورُ، وَاَلْمَهْدِيُّ، يَا عَمِّ، بِنَا فَتَحَ اَللهُ هَذَا الأَمْرَ، وَيَخْتِمُهُ بِرَجُلٍ مِنْ وِلْدِكَ» [الموضوعات لابن الجوزي: ج٢/ ص٣٧] وأحاديث عن رسول الله ﷺ: «اَلْمَهْدِيُّ مِنْ وُلْدِ العَبَّاسِ عَمِّي» [العلل المتناهية - ابن الجوزي: ج٢/ ص٣٧٣/ ح١٤٣١]؛ مجلة الموعود (١٥) - أثر الحركات المنحرفة في الموروث المهدوي (الإسماعيلية نموذجاً): ص١٤.

الإسماعيلية[١] والواقفة[٢]، وهكذا ما نجده في التاريخ القريب من حركة المهدي السوداني[٣] ناهيك عن حركات الضلال في عصرنا الحاضر من قبيل (حركة اليماني المزعوم أحمد إسماعيل ابن كاطع).

١. الإسماعيلية فرقة من فِرَق الشيعة تنقسم إلىٰ عدَّة فرق:
١ – القرامطة: القائلة بإمامة محمد بن إسماعيل ابن الإمام الصادق وغيبته، ثمّ دخلت الإمامة في كهف الاستتار.
٢ – الدروز: وهم يسوقون الإمامة إلىٰ الإمام الحادي عشر الحاكم بأمر الله، ثمّ يقولون بغيبته وينتظرون ظهوره.
٣ – المستعلية: وهؤلاء يسوقون الإمامة إلىٰ الإمام الثالث عشر المستنصر بالله، ويقولون بإمامة ابنه المستعلىٰ بالله بعده، وهم المعروفون بالبهرة، وقد انقسمت المستعلية سنة ٩٩٩هـ إلىٰ فرقتين: داودية وسليمانية، سيوافيك بيانها.
٤ – النزارية: وهؤلاء يسوقون الإمامة إلىٰ المستنصر بالله، ثمّ يقولون بإمامة ابنه الآخر نزار بن معد، وقد انقسمت النزارية إلىٰ: مؤمنية وقاسمية المعروفة بالآغاخانية، وسيأتي سبب الانقسام وزمانه والركب الإمامي منقطع عن السير عند الجميع إلّا القاسمية حيث يقولون باستمرار الإمامة إلىٰ العصر الحاضر. [بحوث في الملل والنحل – الشيخ السبحاني: ج٨، ص٣و٤].

٢. عُرّفت الفرقة الواقفية في كتب الملل والنحل أنَّها فرقة وقفت علىٰ الإمام الكاظم عليه السلام ولم تعترف بإمامة الإمام الرضا عليه السلام، ولا ريب أنَّ هذا التعريف إنَّما اختصَّت به هذه الحركة بسبب ضخامتها واتِّساعها في أوساط الشيعة حتَّىٰ انصرف مصطلح الوقف إليها، وإن كان واقع الحال ليس كذلك، فإنَّ الوقف – فكراً وعقيدةً – حدث قبل الإمام الكاظم عليه السلام كما نجد ذلك في الكيسانية والناووسية وغيرهما، وحدث أيضاً بعد شهادة الإمام الكاظم عليه السلام كما في الذين وقفوا علىٰ الإمام الحسن العسكري عليه السلام. [مجلة الموعود (١٦) – مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي عجل الله فرجه: أثر الحركات المنحرفة في الموروث المهدوي (الواقفة نموذجاً): ص١٦و١٧و١٨و١٩].

٣. المهدي السوداني (١٢٥٩ – ١٣٠٢هـ = ١٨٤٣ – ١٨٨٥م): محمد أحمد بن عبد الله: المهدي السوداني: ثائر: كان لحركته أثر كبير في حياة السودان السياسية، ولد في جزيرة تابعة لدنقلة: من أسرة اشتهر أنَّها حسينية النسب، وكان أبوه فقيهاً: فتعلم منه القراءة والكتابة، وحفظ القرآن وهو في الثانية عشرة من عمره، ومات أبوه وهو صغير: فعمل مع عمه في نجارة السفن مدة قصيرة: وذهب إلىٰ الخرطوم: فقرأ الفقه والتفسير: وتصوف، وانقطع في جزيرة في النيل الأبيض: مدة خمسة عشر عاماً للعبادة والدرس والتدريس، وكثر مريدوه: واشتهر بالصلاح، وسافر إلىٰ (كردفان) فنشر فيها (رسالة) من تأليفه يدعو بها إلىٰ (تطهير البلاد من مفاسد الحكام) وجاءه عبد الله بن محمد التعايشي فبايعه علىٰ القيام بدعوته، وقويت عصبيته بقبيلة (البقارة) وقد تزوج منها، وهي عربية الأصل، من جهينة وتلقب سنة: (١٢٩٨هـ = ١٨٨١م) بالمهدي المنتظر... [الأعلام – خير الدين الزركلي: ج٦، ص٢٠].

وهـذا أمـر طبيعـي جـداً، إذ كلـما كانـت القضيـة مهمـة وضروريـة، تكالـب عليهـا الآخـرون مـن ذوي الأطـماع وحاولـوا تقمصهـا لينعمـوا بنـور وهجهـا، وذلـك إمّـا مـن خـلال وضـع النصـوص الموافقـة لحركتهـم، أو تفسـير النصـوص الموجـودة أساسـاً بـما يتناغـم مـع أهدافهـم المزعومـة.

ومـن الطريـف مـا ذكـره بعـضٌ مـن أن كتـاب (نوسـترادامـوس)[1] هـو مـن أكثـر الكتـب التـي وجـد فيهـا اختـلاف في الترجمـة مـن لغتـه الأصليـة (الفرنسـية) إلىٰ لغـات العـالم، فـكل أُمّـة ودولـة تسـعىٰ لتفسـير النـص بـل تغيـره مـن كتابـه إلىٰ مصالحهـا الذاتيـة، فالألمـان مثـلاً ترجمـوا الكتـاب بـما يخـدم مصالحهـم في فـترة الحـرب العالميـة الثانيـة، وهكـذا الإنكليـز وغيرهـم.

فـكل دولـة ترجمتـه بـما يخـدم مصالحهـا الذاتيـة، لـذا فقـد تعـرَّض الكتـاب إلىٰ كثـير مـن التحريـف والتزوير.

وهكـذا القضيـة المهدويـة، فإنَّهـا تعرَّضـت إلىٰ التزويـر زيـادة ونقصـاً ووضعـاً وتحريفـاً للمعنـىٰ والمضمـون.

لـذا نجـد مـن الـضروري اسـتعمال المنهـج التحليـلي واعتـماده لفحـص وتقييم المـوروث المهـدوي والخـروج بنتائـج مقنعـة، تنسـجم مـع القواعـد الماورائيـة في الفهـم الدينـي والعقـلي.

**٢ - عدم وضوح العقيدة المهدوية لدىٰ أغلب المسلمين:**

إنَّ الشـخصية المهدويـة تختلـف صورتهـا بـين الشـيعة والسـنة، فإنَّهـا في العقلية الشـيعية شـخصية واضحـة المعـالم مـن جميـع الجهـات، فهـي معلومـة النسـب، لأنَّـه عندهـم الإمـام الثـاني عـشر (محمـد بـن الحسـن العسـكري عجل الله فرجه) وهكـذا مـن جهـة الـولادة فهـو عندهـم مولـود عـام (٢٥٥هـ)، وكذلـك في سـيرته، إذ إنَّ لـه غيبـة يطـول أمدهـا حتّـىٰ يـأذن الله لـه بالخـروج فيملؤهـا قسـطاً وعـدلاً كـما ملئـت ظلـماً وجـوراً، وهكـذا في مقاماتـه مـن العصمـة والعلـم والنـص وغيرهـا.

١. صيدلاني ومنجِّم فرنسي ولد في ديسمبر ١٥٠٣م وتوفي في يوليو ١٥٦٦م.

ولكن المهدي في الذهنية الأخرىٰ يختلف كثيراً، فهو شخصية ضبابية غير واضحة المعالم، فهو عندهم فرد علوي، لم يولد بعد، واسمه (محمد بن عبد الله) وهو حسني النسب لا حسيني، ولذا تجد أنَّ مَن ادَّعىٰ المهدوية من أبناء المدرسة السنية أكثر بكثير من الطائفة الشيعية، إذ يكفيهم في الانطباق والادِّعاء بأن يكون اسمه محمد بن عبد الله ويدَّعي المهدوية، ولذا نجد أنَّ أحد أهم أدلة الحركة الحسنية للنفس الزكية أنَّ اسمه محمد بن عبد الله وهو موافق لما يزعمون أنَّه ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله القول: (إنَّ المهدي اسمه محمد بن عبد الله) كما جاء في الرواية:

عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَازِمٍ، قَالَ: خَرَجْتُ مِنَ الْكُوفَةِ، فَلَمَّا قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ دَخَلْتُ عَلَىٰ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَسَأَلَنِي: «هَلْ صَاحَبَكَ أَحَدٌ؟»، فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ: «أَكُنْتُمْ تَتَكَلَّمُونَ؟»، قُلْتُ: نَعَمْ، صَحِبَنِي رَجُلٌ مِنَ الْمُغِيرِيَّةِ[1]، قَالَ: «فَمَا كَانَ يَقُولُ؟»، قُلْتُ: كَانَ يَزْعُمُ أَنَّ مُحَمَّداً بْنَ عَبْدِ الله بْنِ الْحَسَنِ هُوَ الْقَائِمُ، وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ ذَلِكَ أَنَّ اسْمَهُ اسْمُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وَاسْمَ أَبِيهِ اسْمُ أَبِي النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله، فَقُلْتُ لَهُ فِي الْجَوَابِ: إِنْ كُنْتَ تَأْخُذُ بِالْأَسْمَاءِ فَهُوَ ذَا فِي وُلْدِ الْحُسَيْنِ عليه السلام مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الله بْنِ عَلِيٍّ، فَقَالَ لِي: إِنَّ هَذَا ابْنُ أَمَةٍ - يَعْنِي مُحَمَّداً بْنَ عَبْدِ الله بْنِ عَلِيٍّ -، وَهَذَا ابْنُ مَهِيرَةٍ[2] - يَعْنِي مُحَمَّداً بْنَ عَبْدِ الله بْنِ الْحَسَنِ بْنِ الْحَسَنِ -، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ الله عليه السلام: «فَمَا رَدَدْتَ عَلَيْهِ؟»،

---

١. المغيريَّة هم أصحاب المغيرة بن سعيد الكذَّاب، الذي كان يكذب علىٰ الإمام أبي جعفر محمّد بن عليٍّ الباقر عليهما السلام، وكان يدعو إلىٰ محمّد بن عبد الله بن الحسن في أوَّل أمره. وما في بعض النُّسَخ من (المعتزلة) من تصحيف النُّسَاخ.

٢. المهيرة: الحرَّة البالغة المهر، وجمعها: مهائر. والمراد بـ(محمّد بن عبد الله بن الحسن) محمّد بن عبد الله محض، راجع أحواله في مقاتل الطالبيِّين (ص ١٥٧ فصاعداً).

فَقُلْتُ: مَا كَانَ عِنْدِي شَيْءٌ أَرُدُّ عَلَيْهِ، فَقَالَ عليه السلام: «أَوَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّهُ ابْنُ سَبِيَّةٍ[١] - يَعْنِي الْقَائِمَ عليه السلام -؟»[٢].

أمّا عند الشيعة فالأغلب في دعوىٰ المنحرفين منهم هو تقمّص شخصيات مرتبطة بالإمام المهدي عجل الله فرجه مثل ادّعاء النيابة الخاصة كالحلّاج والشلمغاني وأحمد بن هلال العبرتائي، أو يتقمّص شخصية اليماني أو الحسني، وذلك لصعوبة تقمّص نفس شخصية الإمام المهدي عجل الله فرجه لوضوحها وتحديدها في العقل والوجدان الشيعي، ولثبوت المواصفات الخاصة به عجل الله فرجه والتي منها صفات إعجازية لا يمكن توفرها في المدَّعي.

ولذا ساعدت الشخصية الضبابية للمهدي في الذهنية السنية علىٰ اختلاق شخصيات مهدوية كثيرة مما نتج عنه الكثير من التدليس والتحريف والوضع في النص الروائي.

ومن هنا يتَّضح ضرورة الاعتماد علىٰ المنهج التحليلي للروايات المهدوية لفرز الغث من السمين والصحيح من السقيم.

١. النُّسَخ في ضبط كلمة (ابن سبيَّة) مختلفة، ففي بعضها: (ابن ستَّة)، وفي بعضها: (ابن سبيَّة)، وفي بعضها: (ابن ستَّه)، والظاهر أنَّ الصواب ما في المتن بقرية ابن خيرة الإماء. والسبيَّة: المرأة تُسبىٰ. وقال العلَّامة المجلسي رحمه الله بعدما ضبطها في بحار الأنوار (ج٥١، ص٤١): (ابن ستَّة): (لعلَّ المعنىٰ ابن ستَّة أعوام عند الإمامة، أو ابن ستَّة بحسب الأسماء، فإنَّ أسماء آبائه عليهم السلام محمّد وعليّ وحسين وجعفر وموسىٰ وحسن، ولم يحصل ذلك في أحد من الأئمَّة عليهم السلام قبله. مع أنَّ بعض رواة تلك الأخبار من الواقفيَّة، ولا تُقبَل رواياتهم فيما يوافق مذهبهم).

أقول: ولا يبعد احتمال كونه (ابن ستَّه)، والمراد ابن سيِّدة، ولا ينافي كونها أَمَة، ويُؤيِّد ذلك أنَّ في كمال الدين (ص٣١٥ و٣١٦/ باب٢٩/ ح٢) في حديث مسند عن الحسن بن عليٍّ المجتبىٰ عليه السلام: «ذلك التاسع من ولد أخي الحسين ابن سيِّدة الإماء».

هذا، وقال البهبودي في هامش بحار الأنوار: لعلَّ الصحيح أنَّه (ابن ستَّه)، وهو عبارة أُخرىٰ عن كونه عليه السلام أزيل، يعني متباعداً ما بين الفخذين.

٢. الغيبة للنعماني: ص٣٤٣-٣٤٤، ح١٢/ ٢٧٢، تقديم وتحقيق مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي عجل الله فرجه، ط١، سنة ١٤٤٣هـ.

**٣ - عدم المتابعة من قبل الآخر باعتبار أنَّها قضية ليست محلاً للابتلاء والسؤال والجواب عنده:**

عند تتبُّع التراث السُنِّي - خصوصاً في مسألة الملاحم والفتن - يجد الباحث الكم الغفير من الأساطير والخرافات، مما يجعله حائراً ومتسائلاً: كيف أجاز هؤلاء المؤلفون نسبة هذه الخزعبلات إلىٰ الدين وإلىٰ المعصوم عليه السلام؟

ولعلَّ السبب وراء ذلك هو ما ذكرنا - ونذكره لاحقاً من ضمن النقاط - وهو أنَّ هناك تعمُّداً وإصراراً من قبل حُكّام الجور علىٰ نشر (ثقافة التفاهة)، بل كان للقصاصين حظوة ومكانة عند البلاط الأموي والعباسي آنذاك، بل يرجع ذلك إلىٰ عصر الخلفاء الثلاثة الأوائل، ولم يكن الأمر يقتصر علىٰ عدم محاسبة ومتابعة هؤلاء القصاصين، بل كان هناك دعم لا محدود لهم، حتّىٰ يكونوا بديلاً عن تراث آل محمد عليهم السلام، وهذا بخلاف مدرسة أهل البيت عليهم السلام فإنَّك لا تجد فيها مثل هذا الهراء المعرفي، بل إنَّ التاريخ يثبت متابعة أهل البيت عليهم السلام لما يصدر من أصحابهم من معلومات تنسب إليهم، سواء كانت علىٰ الصعيد الفقهي أو المعارف الإلهية أو الموروث المهدوي.

وكمثال علىٰ ذلك - في خصوص التراث المهدوي - ما ورد عن الحسن بن علي الخزاز، قال: دخل علي بن أبي حمزة علىٰ أبي الحسن الرضا عليه السلام فقال له: أنت إمام؟ قال عليه السلام: «نعم»، فقال له: إنِّي سمعت جدك جعفر بن محمد عليهما السلام يقول: لا يكون الإمام إلَّا وله عقب، فقال عليه السلام: «أنسيت يا شيخ أو تناسيت؟ ليس هكذا قال جعفر عليه السلام، إنَّما قال جعفر عليه السلام: لا يكون الإمام إلَّا وله عقب، إلَّا الإمام الذي يخرج عليه الحسين بن علي عليهما السلام، فإنَّه لا عقب له»، فقال له: صدقت جعلت فداك، هكذا سمعت جدك يقول[1].

---

١. الغيبة - الشيخ الطوسي: ص٢٢٤، ح١٨٨.

وعن هشام، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: لمّا خرج طالب الحق قيل لأبي عبد الله عليه السلام: نرجو أن يكون هذا اليماني؟ فقال عليه السلام: «لا، اليماني يوالي علياً عليه السلام، وهذا يبرأ»[١].

بل تعدىٰ الأمر إلىٰ أكثر من ذلك، وهو الدخول والملاحقة في ساحة الشعر والأدب عموماً، فتجدهم يصحِّحون لأصحابهم الشعراء بعض أبياتهم الشعرية، ويزيدون عليها ويغيرون من كلماتها حتَّىٰ تحاكي المرادات والحقائق الواقعية للخط المعرفي الأصيل.

وكمثال علىٰ ذلك: ما ورد في الكافي الشريف عن يونس بن يعقوب، قال: أنشد الكميت[٢] أبا عبد الله عليه السلام شعراً فقال:

أخلص الله لي هواي فما ... أغرق نزعاً ولا تطيش سهامي

فقال أبو عبد الله عليه السلام: «لا تقل هكذا فما أغرق نزعاً، ولكن قل: فقد أغرق نزعاً ولا تطيش سهامي»[٣]،[٤].

ولم يكتفِ أهل البيت عليهم السلام في متابعة وتصحيح المنهج لأتباعهم فقط،

١. الأمالي - الشيخ الطوسي: ص٦٦١، ح١٣٧٥ / ١٩.

٢. الكميت بن زيد الأسدي الكوفي من أصحاب الباقر عليه السلام مات في حياة أبي عبد الله عليه السلام، روىٰ الكشي عن حمدويه عن حسان بن عبيد بن زرارة عن أبيه عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال للكميت: «لا تزال مؤيداً بروح القدس ما دمت تقول فينا»، وفي رواية أُخرىٰ: أن أبا جعفر عليه السلام قال له: «لا تزال معك روح القدس ما ذببت عنا».

٣. الكافي (دار الحديث) - الشيخ الكليني: ج١٥، ص٤٩٤، ح ١٥٠٧٨/ ٢٦٣.

٤. بيان: أخلص الله لي هواي: أي جعل الله محبَّتي خالصة لكم، فصار تأييده تعالىٰ سبباً لأن لا أخطئ الهدف، وأصيب كلما أريده من مدحكم، وإن لم أبالغ فيه، يقال: أغرق النازع في القوس إذا استوفىٰ مدها، ثم استعير لكل من بالغ في شيء ويقال: طاش السهم عن الهدف أي عدل، وإنَّما غيَّر عليه السلام شعره لإيهامه بتقصير وعدم اعتناء في مدحهم، أو لأنَّ الإغراق في النزع لا مدخل له في إصابة الهدف، بل الأمر بالعكس، مع أنَّ فيما ذكره عليه السلام معنىً لطيفاً كاملاً وهو أنَّ المداحين إذا بالغوا في مدح ممدوحهم، خرجوا عن الحق، وكذبوا فيما يثبتون له، كما أنَّ الرامي إذا أغرق نزعاً أخطأ الهدف، وإني كلما أبالغ في مدحكم، لا يعدل سهمي عن هدف الحق والصدق. [بحار الأنوار: ج٤٦، ص٣٣٩].

بل تصدّوا للانحرافات المعرفية عند الآخرين أيضاً، ففي رواية عن كعب يذكر فيها أفضلية بيت المقدس على الكعبة المشرَّفة، وذلك استجلاباً لعطايا معاوية وتزلُّفاً للبلاط الأموي من جهة، ونشراً وترسيخاً لعقيدته اليهودية بين المسلمين من جهة أخرى.

فحينما عُرِضَت الرواية على الإمام الباقر عليه السلام رفضها وأنكرها.

فعن زرارة، قال: كُنْتُ قَاعِداً إِلَى جَنْبِ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام وَهُوَ مُحْتَبٍ مُسْتَقْبِلُ الْكَعْبَةِ، فَقَالَ: «أَمَا إِنَّ النَّظَرَ إِلَيْهَا عِبَادَةٌ»، فَجَاءَهُ رَجُلٌ مِنْ بَجِيلَةَ يُقَالُ لَهُ: عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ، فَقَالَ لِأَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام: إِنَّ كَعْبَ الْأَحْبَارِ كَانَ يَقُولُ: إِنَّ الْكَعْبَةَ تَسْجُدُ لِبَيْتِ الْمَقْدِسِ فِي كُلِّ غَدَاةٍ، فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: «فَمَا تَقُولُ فِيمَا قَالَ كَعْبٌ»؟ فَقَالَ: صَدَقَ، الْقَوْلُ مَا قَالَ كَعْبٌ، فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: «كَذَبْتَ، وَكَذَبَ كَعْبُ الْأَحْبَارِ مَعَكَ» وَغَضِبَ.

قَالَ زُرَارَةُ: مَا رَأَيْتُهُ اسْتَقْبَلَ أَحَداً بِقَوْلِ «كَذَبْتَ» غَيْرَهُ.

ثُمَّ قَالَ: «مَا خَلَقَ اللهُ عزّ وجلّ بُقْعَةً فِي الْأَرْضِ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْهَا» ثُمَّ أَوْمَأَ بِيَدِهِ نَحْوَ الْكَعْبَةِ «وَلَا أَكْرَمَ عَلَى اللهِ عزّ وجلّ مِنْهَا، لَهَا حَرَّمَ اللهُ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ فِي كِتَابِهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ؛ ثَلَاثَةٌ مُتَوَالِيَةٌ لِلْحَجِّ: شَوَّالٌ، وَذُو الْقَعْدَةِ، وَذُو الْحِجَّةِ؛ وَشَهْرٌ مُفْرَدٌ لِلْعُمْرَةِ وَهُوَ رَجَبٌ»[1].

وسيأتي مزيد كلام حول شخصية كعب ودوره في بث الإسرائيليات والأساطير بما يرتبط بالروايات المهدوية.

وما متابعة المعصوم لمثل تلك النصوص إلّا لشعوره بمدى فداحة هذا المنهج وأثره السلبي على المعرفة الإسلامية في حال استشرائه فوقف بحزم ضدّه، وحاول تطويقه بمختلف الوسائل وعلى الأقل ألّا يتسرَّب إلى أتباعه وشيعته.

١. الكافي (دار الحديث) – الشيخ الكليني: ج٨، ص١٤٦، ح٦٨٣٥.

ولا بأس بذكر بعض النصوص لبيان دور القصاصين في نشر الإسرائيليات والأساطير والخزعبلات في الموروث الديني بين المسلمين.

**مكانة القصاصين عند البلاط:**

حظي صنف القصاصين بمكانة عالية عند الأوائل الثلاثة، وكانوا ينعمون بالخير الوفير، وتغدق عليهم الأموال والهدايا، وهكذا في عصر الأمويّين والعباسيين، وتم استخدامهم من قبل السلاطين كسلاح إعلامي في مواجهة نور محمد صلى الله عليه وآله وآل محمد عليهم السلام.

(لقد سمح الخلفاء الثلاثة للقصّاصين من أهل الكتاب الذين أسلموا حديثاً بالترويج للإسرائيليات بين المسلمين، وقد أخذ بعض الصحابة هذه الإسرائيليات ونشروها بين المسلمين بيد أنَّ أصحاب وشيعة الأئمة الأطهار عليهم السلام كانوا بشكل عام ينقلون الروايات من المصدر والمرجع الحقيقي للسُنَّة النبوية، وبذلك يمكن أن نشاهد اختلافاً ظاهراً بين مرويات مدرسة أهل البيت عليهم السلام ومرويات مدرسة الخلفاء[١].

ويعطينا ابن عساكر في تاريخه صورة مرعبة لمدىٰ تمكُّن القصاصين في المجتمع المسلم، حيث حدث ابن عون: (أدركت المسجد - مسجد البصرة - وما فيه حلقة تنسب إلىٰ الفقه، إلّا حلقة واحدة تنسب إلىٰ مسلم بن يسار، وسائر المسجد قصّاص)[٢].

وهكذا ما ذكره العلامة السيد جعفر مرتضىٰ العاملي رحمه الله في موسوعته المباركة (الصحيح من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله) أثناء بيانه لخطورة القصاصين ومدىٰ تقبُّل المجتمع لهم وتأثيرهم عليه، حيث قال:

---

١. نصوص معاصرة - آثار الإسرائيليات في الأحاديث المهدوية: د. مجيد معارف/ السيد جعفر صادقي/ ترجمة: حسن مطر: السنة الثالثة عشر، العدد الخمسون: ربيع ٢٠١٨م، ١٤٣٩هـ، ص١٧٩.

٢. تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ج٥٨، ص١٣٠.

ودعا عطاء بن أبي رباح بخمسة قصاص، فقال: (قصوا في المسجد الحرام، قال: وهو جالس علىٰ أسطوانة، قال: فكان خامسهم عمر بن ذر...)، بل لقد بلغ الاحترام والتقديس لمجلس القصص والقصاصين أنَّه تخيَّل البعض: أنَّ الكلام أثناء القصص لا يجوز كما لا يجوز الكلام في خطبة الجمعة حتّىٰ أعلمه عطاء أنَّ الكلام أثناء القصص لا يضر[١].

وهم السبب في انتشار الإسرائيليات في كتب التاريخ والتفسير[٢].

**٤ - عدم إمكانية تكذيب الناقل والمتحدث لعدم وقوع الحادثة:**

فمن ينقل خبراً تاريخياً خلافاً للواقع فبالإمكان أن يوجد شخص أو أشخاص يردون عليه ويفندون رأيه، اعتماداً علىٰ الوقائع التاريخية، وهكذا من ينقل خبراً فقهياً وحكماً شرعياً مخالفاً للقرآن والسُنَّة الثابتة، فبالإمكان مقاطعته والإشكال عليه من قبل السامعين، ولكن هذا غير متوفّر في أخبار الغيب وروايات الملاحم والفتن، إذ لا توجد تفاصيل تُعارض ما يذكره ويسرده القصّاصون من أساطير، حتَّىٰ يُعترض عليهم بها، فمن هنا ساعد هذا الأمر علىٰ فسح المجال للخيال القصصي وللذهنية الخصبة التي يتمتع بها كل قاصّ من الإغراق في قصّ الأساطير والأوهام علىٰ الحضور، وكلّما كانت القصة أكثر غرابة كان فيها عنصر الجذب أقوىٰ عند المتلقّي، ويمكن عدّ عنصر الجذب من أحد النقاط الداعية إلىٰ رواج الأساطير والخرافات في الروايات المهدوية خصوصاً وروايات الملاحم والفتن عموماً.

**٥ - تعميم ظاهرة السطحية وإغراق المجتمع بالأساطير والخرافات:**

وهي قضية مدروسة ومؤصَّل لها وملتفت إليها من قبل الحُكّام في العصور السابقة، وليست حالة وظاهرة معاصرة، فما نجده اليوم من تعميم

١. الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ - السيد جعفر مرتضىٰ العاملي: ج١، ص١٤٨.
٢. تاريخ المذاهب الإسلامية: ج١، ص١٥.

وإغراق المجتمع بظاهرة (ثقافة التفاهة) ليست وليدة العصر، بل لها جذورها التاريخية، وما ذلك إلّا لأجل إبعاد المجتمع عن التفكير في القضايا العادلة للأُمَّة، والتي لها مساس بتغيير حالهم لما فيه صلاحهم وخيرهم، وقد تندرج هذه النقطة في النقطة الأولىٰ، وإنَّما خصصناها بالذكر لأهميتها وضرورة الالتفات إليها، فهي تدخل في الحرب الناعمة كما هو المصطلح عليه في عصرنا.

**المقصود من (المنهج التحليلي):**

قبل الخوض في بيان بعض تفاصيل وتطبيقات المنهج المراد توضيحه، لابد من إضاءة وإطلالة نتعرف بها علىٰ ما هو المراد من المنهج التحليلي، أو بالأحرىٰ ماذا نقصد منه نحن، فقد يختلف قليلاً أو كثيراً مع ما ذكره أهل الاختصاص.

عُرِّف المنهج التحليلي بأنَّه أحد مناهج البحث العلمي والقائم علىٰ تحليل عنوان الدراسة ومضمونها وتفسير واستنتاج الدلالات المرادة وتفهّم أصولها واستخلاص النتائج.

بينما ذهب بعضهم إلىٰ أنَّه: عملية تفكيك موضوع الدراسة لعناصر بسيطة وأولية ثم عملية نقد وتقويم للمعلومات والبيانات ومن ثمّ عملية الاستنتاج.

فيكون للمنهج التحليلي علىٰ التعريف الثاني ثلاث مراحل، الأولىٰ هي النقد، والثانية هي التفسير، والثالثة هي الاستنباط[١].

وهنالك تعاريف أخرىٰ كثيرة لم يتَّفق الباحثون في تحديد عناصرها المشتركة ليكون التعريف جامعاً مانعاً، كما يقال في علم المنطق.

وهذا دَيدن كل تعريف، فإنَّه بالكاد تجد تعريفاً ينطبق عليه التعريف

١. بحث منشور في موقع (مبتعث للدراسات والاستشارات الأكاديمية) الإلكتروني تحت عنوان (تعريف المنهج التحليلي وأنواعه).

المنطقي وأن يكون جامعاً ومانعاً من جميع الجوانب، لذا فإنَّ ما ذهبوا إليه في التعريف لا يعدو أن يكون (من باب شرح الاسم) فقط.

وحتَّىٰ في هذا فإنَّهم لم يفلحوا أيضاً، إذ إنَّ بعض الباحثين عرَّف المنهج بأنَّه عرض للنص وفهمه وإيضاح المراد منه، وبعبارة مختصرة، قال: إنَّ تحليل المضمون يُعدّ أداة جمع للبيانات، وهو أشبه بالتعريف الوصفي والاستعراضي.

ولعله قريب من التعريف الأول الذي أشرنا إليه، وبغض النظر عن كل هذا، فإنَّه وباختصار نقول: إنَّ ما نقصده من العنوان هو (قراءة النص بطريقة فاحصة تفصيلية، بعد إيضاحه ومعرفة المقصود منه، ثم عرضه علىٰ الماورائيات، وهي القواعد والأُسس العقائدية والتاريخية والدينية والعقلية الثابتة، وإن لم تكن مرتبطة بشكل مباشر بمضمون النص الخاص، وكمثال علىٰ ذلك فالرواية التي تذكر خروج المهدي من المغرب مردودة وغير صالحة للإثبات لمخالفتها للقواعد والأسس - كما سيأتي تفصيله لاحقاً تحت عنوان (تطبيقات في المنهج التحليلي) -.

ومن الجدير بالذكر أنَّ البحث في تعارض الأدلة يندرج في المنهج التحليلي للنص الروائي، وهو مستعمل بكثرة بين الأعلام منذ عصر النص وإلىٰ يومنا هذا، فاللجوء إلىٰ ترجيح أحد الخبرين حين التعارض علىٰ الآخر واستعمال أدوات الترجيح إن وجدت ما هو إلَّا تحليل للمضمون النصي وبيان مدىٰ قبوله وعدم معارضته للماورائيات من القواعد والأُسس الثابتة علمياً عند الأعلام، وهو ما نجد جذوره في الروايات الشريفة.

كما ورد في غوالي اللئالي عن زرارة بن أعين، قال: سألت الباقر عليه السلام فقلت: جعلت فداك يأتي عنكم الخبران أو الحديثان المتعارضان فبأيهما آخذ؟ فقال عليه السلام: «يا زرارة، خذ بما اشتهر بين أصحابك ودع الشاذ النادر»، فقلت: يا سيدي، إنهما معاً مشهوران مرويان مأثوران عنكم، فقال عليه السلام: «خذ بقول أعدلهما عندك وأوثقهما في نفسك»، فقلت: إنهما معاً عدلان مرضيان

موثقان، فقال: «انظر ما وافق منهما مذهب العامة فاتركه وخذ بما خالفهم»، قلت: ربما كانا موافقين لهم أو مخالفين فكيف أصنع؟ فقال: «إذن فخذ بما فيه الحائطة لدينك واترك ما خالف الاحتياط»، فقلت: إنهما معاً موافقان للاحتياط أو مخالفان له فكيف أصنع؟ فقال عليه السلام: «إذن فتخير أحدهما فتأخذ به وتدع الآخر»[١].

وهكذا في عرض وإرجاع الروايات إلىٰ القرآن الكريم، كما جاء في قرب الإسناد عن جعفر، عن أبيه عليهما السلام قال: «قرأت في كتاب لعلي عليه السلام أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إنَّه سيُكذَب عليَّ كما كُذِبَ علىٰ من كان قبلي، فما جاءكم عني من حديث وافق كتاب الله فهو حديثي، وأمّا ما خالف كتاب الله فليس من حديثي»[٢].

وكذلك جاء في الكافي الشريف عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام قَالَ: «مَا لَمْ يُوَافِقْ مِنَ الْحَدِيثِ الْقُرْآنَ فَهُوَ زُخْرُفٌ»[٣].

فهو منهج تحليلي للموروث الديني لبيان صحته إذا وافق الكتاب الكريم، وسقمه إذا خالفه.

**نماذج من استعمال المنهج التحليلي عند الأعلام في الروايات المهدوية المستقبلية:**

عند مطالعة أغلب كتب علمائنا التي لا تقتصر علىٰ ذكر الروايات، بل تتعرَّض إلىٰ الفحص والتأمُّل في متون الأخبار واستخلاص النتيجة المراد الوصول إليها من خلال موافقة الخبر أو مخالفته للماورائيات والقواعد والأُسس المتَّبعة العقلية والتاريخية والروائية وغيرها، فإنَّنا نجد أنَّهم استعملوا هذا المنهج واعتمدوا عليه بشكل كبير، وقلَّما نتصفَّح كتاباً - سواء من

١. بحار الأنوار: ج٢، ص٢٤٥، ح٥٧.
٢. قرب الإسناد - الحميري القمي: ص٩٢، ح٣٠٥.
٣. الكافي ( دار الحديث ) - الشيخ الكليني: ج١، ص١٧٣، ح٢٠٦/ ٤.

المتقدمين أو المتأخرين - لا نجد فيه مثل هذا المنهج، وكمثال على ذلك ما ذكره الشيخ الطوسي رحمه الله في بعض الموارد:

**المورد الأول:**

قال: وحدّثني أبو محمد الصيرفي، عن عبد الكريم بن عمرو، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: «كأنّي بابني هذا - يعني أبا الحسن عليه السلام - قد أخذه بنو فلان فمكث في أيديهم حيناً ودهراً، ثم خرج من أيديهم فيأخذ بيد رجل من ولده حتّىٰ ينتهي به إلىٰ جبل رضوىٰ».

فهذا الخبر: لو حمل علىٰ ظاهره لكان كذباً، لأنَّه حبس في الأولة وخرج ولم يفعل ما تضمَّنه، وفي الثانية لم يخرج.

ثم ليس فيه أن من يأخذ[1] بيد رجل من ولده حتَّىٰ ينتهي إلىٰ جبل رضوي أنَّه يكون القائم وصاحب السيف الذي يظهر علىٰ الأرض فلا تعلق بمثل ذلك[2].

**دلالة الحديث:**

إنَّ الصادق عليه السلام في هذا الحديث يكشف عن كون سجن الإمام الكاظم عليه السلام علامة علىٰ كونه صاحب الأمر، من جهة أنَّ بني فلان إذا أخذوه ومكث في أيديهم حيناً ودهراً ثم يخرج، يأوي مع ولد له إلىٰ جبل رضوىٰ، وجبل رضوىٰ كناية عن الحجة القائم الغائب.

**ويردّه:**

إنَّ حمل الخبر علىٰ ظاهره يلزم تكذيبه علىٰ ما صرّح به شيخ الطائفة قدس سره من أنَّ الخبر يقول: إنَّ الإمام الكاظم عليه السلام إذا سُجن ثم خرج يأوي مع ولد له إلىٰ جبل رضوىٰ، في حين أنَّ أبا الحسن عليه السلام سُجن عدَّة مرَّات وخرج ولم يفعل

١. في نسخ (أ، ف، م): ليس فيه أنَّه يأخذ.

٢. الغيبة - الشيخ الطوسي: ص٥٤، ح٤٧.

في خروجه الأول ما تضمّنه الحديث، وفي سجنه الأخير لم يخرج حياً علىٰ ما مرَّ عليك من خبر سمّه (صلوات الله عليه).

ثم من هذا الذي يأخذ بيده من ولده؟ وهل أنَّه القائم بعده أو أنَّ في البين شيئاً لا نعلمه.

نعم هذا الحديث مفصّل علىٰ ذوق الإسماعيلية، فلا تعلّق لهم به أو بمثله.

**المورد الثاني:**

قال: وروىٰ بعض أصحابنا، عن أبي محمد البزاز، قال: حدّثنا عمرو بن منهال القمّاط[١]، عن حديد الساباطي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنَّ لأبي الحسن عليه السلام غيبتين إحداهما تقل والأخرىٰ تطول، حتَّىٰ يجيئكم من يزعم أنَّه مات وصلّىٰ عليه ودفنه ونفض تراب القبر من يده، فهو في ذلك كاذب ليس يموت وصي حتَّىٰ يقيم وصياً ولا يلي الوصي إلَّا الوصي فإنَّ وليه غير وصي عمي.

وإنَّما فيه: تكذيب من يدَّعي موته قبل أن يقيم وصياً، وهذا لعمري باطل فأمّا إذا أوصىٰ وأقام غيره مقامه فإنه ليس فيه ذكره»[٢].

**ويرده:**

لابد من تأويله بأنَّ الغيبة وتعددها فيها كناية عن وقوع السجن عليه وتغيبه عن أتباعه وأهل بيته، نظير ما حصل مع يوسف عليه السلام، ولولا القطع بإمامة الخلف من بعده وقيام البرهان علىٰ إمامة الرضا عليه السلام ومن بعده من ولده عليهم السلام لكان لهذا الحديث وجه مقبول، ولكن كيف لمن وقف علىٰ طريقة أهل البيت عليهم السلام ومنهجهم في إثبات الإمامة لمن بعدهم أن يركن إلىٰ مثل هذا الخبر.

١. الظاهر أنَّه عمرو بن المنهال بن مقلاص القيسي.

٢. الغيبة – الشيخ الطوسي: ص٥٧، ح٥٢.

**المورد الثالث:**

قال: وحدَّثني حنان، عن أبي عبد الرحمن المسعودي، قال: حدَّثنا المنهال بن عمرو، عن أبي عبد الله النعمان، عن أبي جعفر عليه السلام صاحب الأمر يسجن حيناً ويموت حيناً ويهرب حيناً[١].

ويرده: معارضته لما هو قطعي، وقد أوله شيخ الطائفة قدس سره بما نصه: (فأول ما فيه: أنه قال: يموت حيناً وذلك خلاف مذهب الواقفة، فأمّا الهرب فإنّما صح ذلك فيمن ندعيه نحن دون من يذهبون إليه، لأنَّ أبا الحسن موسىٰ عليه السلام ما علمنا أنَّه هرب وإنَّما هو شيء يدعونه لا يوافقهم عليه أحد، ونحن يمكننا أن نتأوَّل قوله: يموت حيناً، بأن نقول: يموت ذكره)[٢].

وهكذا فيما ذكره الأعلام والباحثون في عصرنا الحاضر أمثال المرحوم العلامة السيد جعفر مرتضىٰ العاملي رحمه الله في موسوعته (الصحيح من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله) حيث نجده يعالج الكثير من الموروث الديني بهذه الطريقة، أي بطريقة المنهج التحليلي للمضمون الروائي، فيأخذ بما يوافق المباني المتَّفق عليها ويرفض ما خالفها، وكتابه (الجزيرة الخضراء) مبني أساساً علىٰ هذا المنهج، فراجع.

وكذلك المرحوم العلامة الشيخ محمد الريشهري رحمه الله في موسوعته (الإمام المهدي عجل الله فرجه في الكتاب والسُنَّة والتاريخ)، وغيرهم من الأعلام الكثير، لا نطيل البحث في ذكر أسمائهم وكتبهم.

**تطبيقات في المنهج التحليلي:**

عند التأمُّل بالموروث المهدوي وروايات الملاحم والفتن عموماً، نجد الكثير منها يحتاج إلىٰ إعمال المنهج التحليلي، خصوصاً إذا لاحظنا التراث المهدوي الخاص بالفِرَق المهدوية المنحرفة كالإسماعيلية والواقفة وغيرهما

١. الغيبة – الشيخ الطوسي: ص٥٨، ح٥٤.

٢. الغيبة – الشيخ الطوسي: ص٥٩.

فضلاً عن الروايات العامية التي كثر فيها الغث والضعيف والموضوع، وقد استعرضنا هذا المنهج بشكل مفصَّل أثناء كتابة بحث حول (أثر الحركات المنحرفة في الموروث المهدوي - الحركة الإسماعيلية نموذجاً) و(أثر الحركات المنحرفة في الموروث المهدوي - الواقفة نموذجاً) وقد نشرت في الأعداد السابقة للمجلة[١]، ويكفينا أن نذكر هنا تطبيقاً واحداً لإعمال المنهج التحليلي في الروايات المهدوية غير ما ذكرناه في ذينك المقالين، وهو:

**خروج المهدي عجل الله فرجه من المغرب:**

أورد القاضي النعمان في كتابه (شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار عليهم السلام) روايات عدَّة تنص وتصرِّح بأنَّ مبدأ خروج صاحب الزمان المهدي المنتظر عجل الله فرجه يكون من المغرب، ثم يعلِّق عليها ويطبّقها على الخلفاء الفاطميين في بلاد المغرب العربي، نذكر بعضاً منها مع تعليقاته وتطبيقاته:

١ - عن رسول الله صلى الله عليه وآله، أنَّه قال: «المهدي من نسل فاطمة سيدة نساء هذه الأُمَّة - طالت الأيام أو قصرت - يخرج فيملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما مُلئت جوراً وظلماً»، قيل: ومتىٰ يخرج يا رسول الله؟ قال: «إذا كان زلازل في أطراف الأرض وارتشت القضاة، وفجرت الأمة، يخرج من المغرب، في ساقه شامة وبين كتفيه شامة فرداً غريباً»، قيل: وكيف يكون فرداً غريباً يا رسول الله؟ قال: «لأنَّه ينفرد من أهله ويتغرب عن وطنه».

وكذلك قام فرداً غريباً من المغرب، وكانت قبل قيامه زلازل، وكانت به العلامة التي وصفها رسول الله صلى الله عليه وآله، ولم يقم حتَّىٰ ارتشت القضاة، وصار القضاء كذلك يتقبل بالمال، وفجرت الأمة[٢].

---

١. مجلة الموعود الصادرة عن مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي عجل الله فرجه: العدد ١٥ و١٦.

٢. شرح الأخبار - القاضي النعمان المغربي: ج٣، ص٣٦٣، ح١٢٣٣.

٢ – وعنه ﷺ، أنَّه قال: «لابد من قائم من ولد فاطمة يقوم من المغرب بين الخمسة إلىٰ السبعة يكسر شوكة المبتدعين، ويقتل الضالين»[١].

٣ – وعن جعفر بن محمد بن علي عليهما السلام، أنَّه ذكر المهدي عجل الله فرجه فقال: «تطلع الرايات السود»، وأومىٰ بيده إلىٰ المشرق، «وتطلع رايات المهدي من هاهنا»، **وأومىٰ بيده إلىٰ المغرب.**

وذلك في أيام بني أمية قبل قيام بني العباس.

وطلعت راياتهم السود من قبل المشرق من جهة خراسان، فطلعت رايات المهدي بعد ذلك من المغرب كما قال صلوات الله عليه[٢].

٤ – عبد الرحمن بن بكار الأقرع القيرواني، قال: حججت، فدخلت المدينة، فأتيت مسجد رسول الله ﷺ، فرأيت الناس مجتمعين علىٰ مالك بن أنس يسألونه ويفتيهم، فقصدت نحوه، فإذا أنا برجل وسيم حاضر في المسجد وحوله حفدة يدفعون الناس عنه، فقلت لبعض من حوله: من هذا؟ قالوا: موسىٰ بن جعفر، فتركت مالكاً، وتبعته، ولم أزل أتلطف حتىٰ لصقت به، فقلت: يا بن رسول الله، إنِّي رجل من أهل المغرب من شيعتكم وممن يدين الله بولايتكم، قال لي: «إليك عنّي يا رجل، فإنَّه قد وُكّل بنا حفظة أخافهم عليك»، قلت: باسم الله، وإنَّما أردت أن أسألك، فقال: «سل عمّا تريد»؟ قلت: إنَّا قد رُوِّينا أنَّ المهدي منكم، فمتىٰ يكون قيامه، وأين يقوم؟ فقال: «إنَّ مثل من سألت عنه مثل عمود سقط من السماء رأسه من المغرب وأصله في المشرق، فمن أين ترىٰ العمود يقوم إذا أقيم»؟ قلت: من قبل رأسه، قال: «فحسبك من المغرب يقوم، وأصله من المشرق، وهناك يستوي قيامه ويتم أمره».

١. شرح الأخبار – القاضي النعمان المغربي: ج٣، ص٣٦٣، ح١٢٣٣.
٢. شرح الأخبار – القاضي النعمان المغربي: ج٣، ص٣٦٤، ح١٢٣٤.

وكذلك كان المهدي ونشأته بالمشرق ثم هاجر إلىٰ المغرب، فقام من جهته، وبالمشرق يتم أمره، ويقوم من ذريته من يتم الله به ذلك فيما هناك، ويورثه الأرض كما قال ﷻ في كتابه المبين: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (الأنبياء: ١٠٥)، وكله ينسب إلىٰ المهدي لأنَّه مفتاحه وبدعوته امتد أمره، وكل قائم من ولده من بعده مهدي قد هداهم الله ﷻ ذكره، وهدىٰ بهم عباده إليه سبحانه، فهم الأئمة المهديون والعباد الصالحون الذين ذكرهم الله في كتابه أنَّه يورثهم الأرض وهو لا يخلف الميعاد[١].

٥ - ومما رواه زاذان، عن سلمان الفارسي رحمه الله، ومن ذلك مما آثره عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنَّه قال: «لابد من قائم من ولد فاطمة **يقوم من المغرب** يقتل الزنادقة، ويملك الترك، والخزر، والديلم، والحبش، ويؤتىٰ بملوك الروم مصفدين في الحديد، ولا تقوم راية إلَّا راية الإيمان».

وهذا من معنىٰ ما تقدم ذكره وشرحناه[٢].

٦ - وروىٰ زاذان، عن سلمان الفارسي، أنَّه قال: لا بد من قائم من ولد فاطمة **يقوم من المغرب** فيكسر شوكة المبتدعين، ويقتل الظالمين.

وكذلك قام المهدي من المغرب، وهو من فاطمة، ولما جاءت به الروايات من هذا خاف بنو العباس من إدريس بن الحسين لما صار إلىٰ المغرب،

١. شرح الأخبار - القاضي النعمان المغربي: ج٣، ص٣٦٤، ح١٢٣٥.
٢. شرح الأخبار - القاضي النعمان المغربي: ج٣، ص٣٧٦، ح١٢٤٧.

واحتالوا في أن سموه - وقد ذكرت فيما مضىٰ - وكانوا في ذلك كما قال الله تعالىٰ: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِؤُا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَىٰ اللهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[1].

ولبيان كيفية استخدام وإعمال المنهج التحليلي في الموروث المهدوي لابد من دراسة شخصية المؤلف أولاً، ثم الظرف الزمكاني لكتابة الكتاب ثانياً، ثم بيان مخالفته ومعارضته للأُسس والقواعد التاريخية والروائية الثابتة في الموروث المهدوي المتسالم عليه عند المسلمين جميعاً شيعةً وسُنَّة.

**أولاً: دراسة في شخصية المؤلف:**

عند مراجعة كتب التراجم لشخصية القاضي أبي حنيفة النعمان بن محمد التميمي المغربي (ت ٣٦٣هـ) نجد أنَّ المشهور ذهب إلىٰ أنَّ عقيدة القاضي النعمان هي عقيدة إسماعيلية تؤمن بأنَّ المهديين هم من أبناء إسماعيل بن الإمام الصادق عليه السلام.

ولنذكر بعض ما ذكره مقدِّم كتاب القاضي النعمان (شرح الأخبار) وهو سماحة السيد محمد حسين الحسيني الجلالي حيث قال في بيان فضله أولاً: (وقال معاصره المعز لدين الله (ت٣٦٥هـ) رابع خلفاء الفاطميين: (... من يؤدي جزء مما أداه النعمان أضمن له الجنة بجوار ربِّه).

ووصفه ابن زولاق الحسن بن إبراهيم الليثي (ت٣٨٧هـ) بقوله: (... في غاية الفضل من أهل القرآن والعلم بمعانيه، وعالماً بوجوه الفقه وعلم اختلاف الفقهاء واللغة والشعر والعقل والمعرفة بأيام الناس مع عقل وإنصاف).

وذهب الأعلام جلّهم إلىٰ كونه من أتباع العقيدة الإسماعيلية حيث قال

١. شرح الأخبار - القاضي النعمان المغربي: ج٣، ص٣٩٥، ح١٢٧٥.

عنه محمد بن علي بن شهرآشوب (ت٥٨٨هـ): (ابن فياض القاضي النعمان بن محمد ليس بإمامي وكتُبُه حِسانٌ...).

ويقول عنه الكاتب الإسماعيلي فيض: (إنَّ النعمان كان إسماعيلي المذهب منذ نعومة أظفاره).

والإسماعيلي المعاصر مصطفىٰ غالب يقول: (لقد أدّىٰ القاضي النعمان للدعوة الإسماعيلية خدمات علمية جلّىٰ كان لها الفضل الأكبر في تركيز دعائم الدعوة، ولا غروّ، فقد كان اللسان الناطق للإمام، واستحق أن يتربّع علىٰ عرش الدعوة العلمية وأن يورث أبناءه هذه الزعامة).

هذا مضافاً إلىٰ ما تجده في كتبه من التصريح والتأكيد علىٰ إمامة ومهدوية الخلفاء الفاطميين، وقد ذكرنا بعض تعليقاته.

لكن بعض الأعلام ذهب إلىٰ أنَّ القاضي النعمان كان إمامياً اثني عشرياً ولكنه تستَّر واتَّقىٰ وتماشىٰ مع الخلفاء الفاطميين وسايرهم خوفاً من بطشهم في أقوالهم، وأول من ذهب إلىٰ هذه الفكرة هو العلامة المجلسي (ت١١١١هـ) وتبعه جمع من الأعلام، قال ما نصه:

(كان مالكياً أولاً ثم اهتدىٰ وصار إمامياً، وأخبار هذا الكتاب [دعائم الإسلام] موافقة لما في كتبنا المشهورة، لكن لم يروِ عن الأئمة بعد الصادق عليهم السلام خوفاً من الخلفاء الإسماعيلية وتحت ستر التقية، أظهر الحق لمن نظر فيه متعمقاً، وأخبارُه تصلح للتأييد والتأكيد).

وهكذا وصفه الكاظمي (ت١٢٣٧هـ): (بأنَّه من أفاضل الإمامية...)[1].

وكيف كان فسواء قلنا بإسماعيليته أو إماميته فإنَّ ما في كتابه - من التصريحات والتعليقات علىٰ الروايات التي تذكر خروج الإمام المهدي عجل الله فرجه

١. مقدمة كتاب شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار عليهم السلام - مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرسين، ط٢ ١٤٣١هـ، بتصرف واختصار.

من المغرب - موافقة ومنسجمة مع تطلُّعات الخلفاء الفاطميين، فلذا لا يمكن بأي حالٍ من الأحوال قبول ما ذكره من روايات أو تعليقات.

**ثانياً: دراسة الظرف الزمكاني لحياة المؤلف:**

عند استعراض حياة وسيرة المؤلف نجد أنَّه قضاها في بطانة الخليفة الفاطمي الأول - وهو عبد الله المهدي - حيث شارك في الدعوة الفاطمية في مهدها بالمغرب، وقام بتأصيل أصولها حتَّىٰ أصبحت الدعوة تعتمد علىٰ النشاط الفكري للمؤلف بقدر اعتمادها علىٰ النشاط السياسي للخلفاء الفاطميين.

وخدمه تسع سنين وشهوراً وأياماً من أواخر عمر المهدي (ت ٣٢٢هـ)، وهكذا في عهد الخليفة الثاني الفاطمي القائم بأمر الله أبي القاسم محمد (ت ٣٣٤هـ) حيث خدمه لفترة اثني عشر عاماً، ثم من بعده الخليفة الفاطمي الثالث إسماعيل الذي لُقِّب بأبي طاهر المنصور بالله وتولىٰ في عصره القضاء حيث قال هو: (وكنتُ أول من استقضاه من قضاته، وأعلىٰ ذكري ورفع قدري...).

وكذلك في عهد الخليفة الفاطمي الرابع المعز لدين الله، فقد كانت بينهما مصاهرة مما زاد في علو شأنه عندهم، حيث صحبه إلىٰ مصر بعد انتقال المعز إليها، قال اليافعي (ت ٧٦٨هـ): (كان ملازماً صحبة المعز ووصل معه إلىٰ الديار المصرية أول دخوله إليها من أفريقية).

وبعد أقل من عام - بعد انتقاله إلىٰ مصر - توفي المؤلف النعمان في القاهرة في ٢٩ جمادىٰ الآخرة، سنة ٣٦٣هـ.

فبعد الاطِّلاع علىٰ حياته بهذا الشكل نجد أنَّ عنده طاعة مطلقة إلىٰ الخلفاء الفاطميين وبه يتَّضح مدىٰ انصياعه لرغباتهم ومراداتهم، حيث صرَّح بذلك وقال: (... وكان اعتمادي أيام المنصور بالله فيما أحاوله عنده وأرفعه إليه وأطالعه فيه علىٰ المعز لدين الله، فما أردته من ذلك بدأته به ورفعته إليه

وسألته حسن رأيه فيه، فما أمرني أن أفعله من ذلك فعلته... وما كرهه لي تركته...).

فهذه الطاعة المطلقة للمعز هي التي سهَّلت له الوصول إلىٰ أعلىٰ المراتب في الدولة الفاطمية، وجعلته من أقطاب الفكر الإسماعيلي، وفي هذا العهد بلغ المؤلف مبلغاً عظيماً من الثراء حيث يقول عن ملك له: (فبلغ كراؤه في السنة نحواً من مائتي ديناراً)، كما أنَّه في هذا العهد كتب ونشر كتبه وتصانيفه[1].

**ثالثاً: دراسة معارضته القواعد التاريخية الثابتة في الموروث المهدوي:**

لا أجد داعياً للعناء في الفحص والتتبُّع لبيان مكان ظهور الإمام صاحب العصر والزمان عجل الله فرجه، فقد تسالم المسلمون جميعاً علىٰ أنَّه عجل الله فرجه يخرج من مكة المكرمة، وقد تواترت الروايات من الطرفين في ذلك، نذكر بعضاً منها لمزيد من الإيضاح:

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: «وَاللهِ لَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ وَقَدْ أَسْنَدَ ظَهْرَهُ إِلَىٰ الْحَجَرِ، فَيَنْشُدُ اللهَ حَقَّهُ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ يُحَاجُّنِي فِي اللهِ فَأَنَا أَوْلَىٰ النَّاسِ بِاللهِ. أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ يُحَاجُّنِي فِي آدَمَ فَأَنَا أَوْلَىٰ النَّاسِ بِآدَمَ. أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ يُحَاجُّنِي فِي نُوحٍ فَأَنَا أَوْلَىٰ النَّاسِ بِنُوحٍ. أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ يُحَاجُّنِي فِي إِبْرَاهِيمَ فَأَنَا أَوْلَىٰ النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ. أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ يُحَاجُّنِي فِي مُوسَىٰ فَأَنَا أَوْلَىٰ النَّاسِ بِمُوسَىٰ. أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ يُحَاجُّنِي فِي عِيسَىٰ فَأَنَا أَوْلَىٰ النَّاسِ بِعِيسَىٰ. أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ يُحَاجُّنِي فِي مُحَمَّدٍ فَأَنَا أَوْلَىٰ النَّاسِ بِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله. أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ يُحَاجُّنِي فِي كِتَابِ اللهِ فَأَنَا أَوْلَىٰ النَّاسِ بِكِتَابِ اللهِ، ثُمَّ يَنْتَهِي إِلَىٰ الْمَقَامِ فَيُصَلِّي عِنْدَهُ رَكْعَتَيْنِ وَيَنْشُدُ اللهَ حَقَّهُ».

---

١. مقدمة كتاب (شرح الأخبار) بتصرف.

ثُمَّ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: «وَهُوَ وَاللهِ الْمُضْطَرُّ الَّذِي يَقُولُ اللهُ فِيهِ: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾ [النمل: ٦٢]، فِيهِ نَزَلَتْ وَلَهُ»[١]،[٢].

وعن أبي داود في (سننه) والترمذي في (جامعه) وأحمد في (مسنده) وابن ماجة في (سننه) والحافظ أبي عبد الرحمن في (سننه) والبيهقي في (البعث والنشور) وغيرهم، عن أم سلمة زوجة النبي صلى الله عليه وآله أنَّه قال: «يكون اختلاف عند موت خليفة فيخرج رجل من أهل المدينة هارباً إلىٰ مكة فيأتيه الناس من أهل مكة فيخرجونه وهو كاره فيبايعونه بين الركن والمقام»[٣].

وهكذا فإنَّ هناك العشرات من الروايات المثبتة لمكان خروجه عجل الله فرجه، فإذن ما انفرد به القاضي النعمان في كتابه (شرح الأخبار) يعارض ويخالف القاعدة الروائية والتاريخية التي اتَّفقت عليها الأُمَّة.

**تنبيه:**

مضافاً إلىٰ ما سبق من الدراسات الثلاث، فإنَّ التأمل فيما ذكره القاضي النعمان في بعض الروايات من التأكيد والإصرار علىٰ ذكر علامة وهي أنَّ (بساقه شامة) تدعو للتأمل في إدراج هذه العلامة لاحتمال وجود خلل في ساق الخليفة الأول الفاطمي (عبد الله المهدي) مما استدعىٰ ذكر هذه العلامة والتشديد عليها لكي تنطبق علىٰ شخصية المهدي الفاطمي، خصوصاً وأنَّها غير موجودة في الروايات الشيعية.

كما فعل الحسنيون في تطبيقهم المهدوية علىٰ محمد بن عبد الله الحسني (ذي

---

١. الغيبة للنعماني: ص٢٧٠، ح[٢٠٢/ ٣٠]، تقديم وتحقيق مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي عجل الله فرجه.

٢. ونحوه في: تفسير العيَّاشي (ج ٢/ ص ٥٦ و٥٧/ ح ٤٩)، تفسير القمِّي (ج ٢/ ص١٢٩ و٢٠٥).

٣. بحث (خروج المهدي عجل الله فرجه بمكة بين الركن والمقام - للشيخ كاظم المصباح) - منشور في جريدة صدىٰ المهدي عجل الله فرجه التي صدرت عن مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي عجل الله فرجه، لسنة ١٤٣٦هـ - ذو الحجة - العدد ٧٨.

النفس الزكية) حيث ذكروا أنَّ من علامة المهدي أن يكون في لسانه رِتَّة، حيث كان محمد هذا في لسانه رِتَّة، فلكي يطبّقوا الحديث الذي يقول: إنَّ المهدي هو محمد بن عبد الله الحسني أضافوا له هذه العلامة لمزيد من التطبيق علىٰ صاحبهم محمد.

حيث قال صاحب كتاب مقاتل الطالبيين: (وكان محمّد بن عبد الله الحسني في لسانه رتَّة فوضعوا حديثاً رفعوه إلىٰ أبي هريرة بأنَّه قال: (إنَّ المهديَّ اسمه محمّد بن عبد الله، في لسانه رتَّةٌ)[1].

**الخلاصة:**

وباختصار شديد فالنص الروائي القائل بخروج المهدي من المغرب حتىٰ إذا كان صحيح السند إلّا أنَّ الملم بالتاريخ الإسلامي وتاريخ الحركات المهدوية المنحرفة يعلم بأنَّ هذا النص إنَّما جيء به للترويج للعقيدة الإسماعيلية حيث أسست دولتها في المغرب العربي، ولتدعيم دعوتها بين المجتمع المسلم استخدمت آليات عدَّة، منها وضع الأحاديث ونسبتها إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله للتأثير علىٰ عموم المسلمين، أو نسبتها إلىٰ العترة الطاهرة للتأثير علىٰ أتباعهم وشيعتهم باعتبار أنَّ الإسماعيلية فرقة شيعية تعتقد بإمامة بعض الأئمة – أي إلىٰ الإمام الكاظم عليه السلام – ثم إسماعيل ولده وأنَّه المهدي المنتظر، وهكذا إلىٰ بقية خلفائهم الفاطميين.

**وختاماً:**

فإنَّ الباب مفتوح وواسع لإعمال المنهج التحليلي في كثير من موارد الموروث المهدوي، وكمثال علىٰ ذلك:

١ – طائفة كبيرة من الروايات في مدح الشام وبيت المقدس وتفضيلها علىٰ مكة، كما مرَّ في الرواية السابقة[2].

١. مقاتل الطالبيين – أبي الفرج الأصفهاني: ص١٦٤.

٢. مرَّ في صفحة ٢٤.

مما يُشعِر بأنَّها روايات موضوعة جيء بها تملُّقاً وتزلُّفاً إلىٰ البلاط الأموي ونكايةً بأهل بيت النبوة عليهم السلام.

وهكذا يمكن أن تكون بسبب ضغينة اليهود المتأسلمين علىٰ الدولة البيزنطينية، بل وعلىٰ الدولة الإسلامية أيضاً.

٢ – طائفة كبيرة من الروايات في فتح القسطنطينية وتفاصيلها، مما يُشعِر بأنَّها روايات كان للعامل السياسي والعسكري يدٌ فيها من قِبَل السلاطين ووعّاظهم، إضافةً إلىٰ نكاية اليهود المتأسلمين ضد النصارىٰ.

٣ – طائفة كبيرة من الروايات تتحدَّث عن تفاصيل خروج الدجال، وفيها الكم الهائل من الأساطير والأوهام التي لا واقع لها.

لذا ذهب الشيخ محمود أبو رية إلىٰ أنَّ الروايات الذاكرة خروج الدجال وخصائصه الخارقة إنَّما هي من أوهام القصّاصين.

٤ – دراسة شخصيات وأقطاب القصاصين وأصحاب الإسرائيليات أمثال كعب الأحبار[١] وتميم الداري[٢]...

١. كعب الأحبار: كعب بن ماتع الحميري المحدّث اليهودي، أسلم في زمن أبي بكر، وقدم اليمن في خلافة عمر، وتوفّي في خلافة عثمان، إن كان صادقاً فهو صاحب الإسرائيليات المحرّفة والكاذبة المعتمد علىٰ الكتب المحرّفة بنص القرآن الكريم، فلم يكن عنده سوىٰ تلك الأساطير والقصص الموهومة، أمّا إذا كان كاذباً فالخطب أفدح وأجل، ولا يقارن بشيء.

والمطالع في مروياته يقف علىٰ أنَّه يركز علىٰ القول بأمرين: التجسيم والرؤية، وقد اتَّخذهما أهل الحديث والحنابلة من الآثار الصحيحة، فبنوا عليهما العقائد الإسلامية وكفروا المخالف. [بحوث في الملل والنحل – الشيخ السبحاني: ج١، ص٨٢/ بتصرّف].

٢. تميم بن أوس الداري: من رواة الأساطير الإسرائيليات المبثوثة في كتب التفسير والحديث والتاريخ التي ترجع أُصولها إلىٰ رجال الكنائس والبيع، وله دور كبير في بثّها حيث إنَّه أوَّل من تولىٰ نشر هذه الأساطير، وقد حدّث عنه علماء الرجال والتراجم وأطبقوا علىٰ أنَّه كان نصرانياً قدم المدينة فأسلم في سنة ٩هـ، وله من الأوّليات أمران:

١ – كان أوّل من أسرج في المسجد.

٢ – أوّل من قصّ بين المسلمين، واستأذن عمر أن يقصّ علىٰ الناس قائماً، فأذن له، وكان يسكن المدينة ثمّ انتقل إلىٰ الشام بعد قتل عثمان. ←

... ووهب بن منبِّه[١] وغيرهم، حيث نجد أنَّ أمثال هؤلاء قد ثنيت لهم الوسادة وفُتِحت لهم أبواب الحديث بعد أن حُرّمَ علىٰ الأُمَّة وأُغلِق عليها حديث رسول الله صلى الله عليه وآله، فكان لأمثال هؤلاء الباع الطويل في اختراق تراث الأُمَّة الإسلامية ونشر الأساطير والخرافات بينها بمباركةٍ ورعايةٍ خاصة ودعمٍ لا محدود من قِبَل الثلاثة الأوائل مروراً بالعصر الأموي والعباسي.

٥ - روايات (دابة الأرض) التي تصفها بصفات خيالية لا يمكن تعقُّلها.

هذه نماذج من الروايات المهدوية التي ينبغي إعمال المنهج التحليلي فيها لكثرة التخليط والتحريف فيها، نأمل من الأخوة المحققين النظر في ذلك.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلّىٰ الله علىٰ محمد وآله الطيبين الطاهرين.

* * *

---

← هذا ما اتّفقت عليه الكتب الرجالية، ويستنتج منها ما يلي:

إنَّ الرجل كان قصّاصاً في المدينة يوم لم يكن هناك من يعارضه، بل كان هناك من يكافئه، وبما أنَّ الرجل كان قد قضىٰ شطراً من عمره بين الأحبار والرهبان، فمن الطبيعي أن يقوم بقص كلّ ما تعلّمه من أساتذته من الإسرائيليات والأساطير المسيحية وبثّها بين المسلمين وهم يأخذونها منه زاعماً أنَّها حقائق راهنة. [بحوث في الملل والنحل - الشيخ السبحاني: ج١، ص٩١/ بتصرّف].

١. وهب بن منبّه: كتابي آخر قد بلغ الغاية في بثّ الإسرائيليات بين المسلمين حول تاريخ الأنبياء والأُمم السالفة، وقد تسنَّم الرجل، منبر التحدُّث عن الأنبياء والأُمم السالفة يوم كان نقْلُ الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله، ممنوعاً وأخذ بمجامع القلوب فأخذ عنه من أخذ، وكانت نتيجة ذلك التحدُّث انتشار الإسرائيليات حول حياة الأنبياء في العواصم الإسلامية، وقد دوّن ما ألقاه في مجلد واحد، أسماه في كشف الظنون (قصص الأبرار وقصص الأخيار)، ويظهر من تاريخ حياته أنَّه أحد المصادر لانتشار نظرية نفي الاختيار والمشيئة عن الإنسان، حتَّىٰ المشيئة الظلية التي لولاها لبطل التكليف ولغيت الشريعة. [بحوث في الملل والنحل - الشيخ السبحاني: ج١، ص٩٠/ بتصرّف].

المعود
ALMAUOOD

# الولادة المعجزة للإمام المهدي عجل الله فرجه

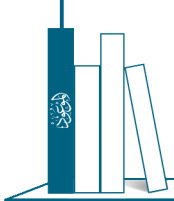

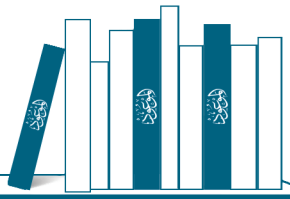

السيد حسين العوامي

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علىٰ محمد وآله الطيبين الطاهرين واللعن الدائم علىٰ أعدائهم أجمعين وبعد..

لعل من صلب الواقع والحقيقة القول بأن ليس في التاريخ الإسلامي ولادة ارتبطت أحداثها بنسيج معرفي وعقدي واجتماعي كولادة الإمام المهدي المنتظر عجل الله فرجه فقد ترقبها ورعاها وترصد بها وكتب عنها مختلف الفئات البشرية، هناك عقول وقلوب كتبت عنها وتفاعلت معها في أزمنة تجاوزت حدود زمانها ومكانها وانتمائها، فلم تكن ولادة كالتي ألفتها الطبيعة الإنسانية ولم تكن شبيهة بالولادات التاريخية التي صنعت الأُمم ورجالها، كل ذلك بسبب أهمية هذا المولود المبارك ودوره في الحياة، وارتباط الأديان السماوية به تطبيقاً وتمثيلاً، وحاجة البشرية لعدله وإنصافه وهدايته.

هذا المعنىٰ يستثير العقول ويرسل سيلاً من الأسئلة الفضولية حول ملابسات هذه الولادة وأحياناً تُقذفُ مشاغباتٌ بقصدٍ أو بدون قصد!

والمنشأ الأول لهكذا أسئلة يكمن في طبيعة الأمل المرجو، وما يستتبعه من تغيير - ومن نافلة القول لفْتُ الانتباه إلىٰ حقيقة رعاية المولود والتحوط لسلامته من قبل استهلاله، فهذا المعنىٰ ضروري ومألوف لدىٰ كل المجتمعات، وتختلف تلك الرعاية، وذاك التحوط تبعاً لاختلاف وضع المولود وما يرتجىٰ

منه ويرجىٰ له – فتارة تعلن الولادة، وتخفىٰ تارة أخرىٰ، ومن المفيد الاطِّلاع علىٰ بعض الأساليب المذكورة في تاريخ الأُمم حول هذه النقطة، ومقارنتها بالسلوك الفعلي للإنسان في هذا الموضوع، حينها سيرىٰ القارئ أساساً عقلانياً يمهد لمعرفة الواقع وتستبين له الكثير من الأحداث التاريخية حول هذا العنوان، ويكفي المنصف عرض جملة أحداث خاصة ذات شأن أسري جرت لجملة من الأنبياء، وقد وثّقت في الكتاب العزيز أو في التراث الديني التي لها صلة بفكرة هذه الكلمات، فإنَّ الناظر في الكتاب العزيز يقرأ آيات تتحدَّث عن ولادات جرت علىٰ غير العادة، فهذا الخليل عليه السلام يهب الله له ذرية بعد هرمه، ومثله زكريا عليه السلام، وذاك أيوب عليه السلام يحيط به البلاء، ولا يبقىٰ له شيء فيرحمه الله ويرد عليه ما قد فات من أهله ومثلهم معه، وكانت ولادة موسىٰ عليه السلام موعدة نجى بها بنو إسرائيل، وتأبىٰ فرعون ظلالها فهزَّت عرشه، وتلك مريم غمر وجودها الابتهال فكانت تباشير المواهب الإلهية، وكذا يحيىٰ عليه السلام كان مشرق وجوده آية الله ورحمته التي ألهبت رغبة زكريا عليه السلام في هبة من الله، لم تكن هذه العناية الإلهية بولادة هؤلاء الخلص إلّا مَعلَماً يأخذ بالعقول نحو معاني اللطف الإلهي وعظيم هباته، لذا ترىٰ في الوجدان بقايا أمل وأخلاق لا تخنقها منافع الإنسان وأنانيته، وذكر هذه الغيوب كان السبيل الأمثل لهداية البشر لنعم الله ولطفه، فهو نبّه علىٰ عظيم المنن وحذّر من التغافل عن نهج الهبات الربانية، فإنَّ مواهبه لا تستوعب وعطاياه لا تخضع لمقاييس الاستيهاب البشري، فهذا زكريا عليه السلام حينما رأىٰ عناية الباري بمريم عليها السلام طلب، ما يتطلع أمثاله له، فكان عطاء من لا يعجزه شيء قد غمره بلطفه، وكوّن له ما لا يخطر بباله غلاماً ليس له مثيل حتّىٰ أنَّ اسمه جاء من الوحي فضلاً عن علمه وحكمته، هذا الترتيل لولادة الخُلَّص يذكِّر بأنَّ العادة في حياة هؤلاء خرق العادة السائدة بين الناس حتّىٰ في مقدمهم لهذه الحياة ودرجهم في هذا

العالم، لذا ترىٰ سلوكيات المعاصرين لهؤلاء الخُلَّص يتَّسم بالتعظيم والرهبة والحسد علىٰ اختلاف مشارب القوم.

فعرض ولادات هؤلاء الأولياء في كتاب سماوي ليس من قبيل الترف المعرفي أو التشويق الديني، فهذه أساليب لا تنسجم مع القيم الكبرىٰ في سرد حياة أمثال موسىٰ عليه السلام سيما وأنَّ القرآن الكريم كتاب هداية، فإذن يمكن درك بعض الدواعي لذكر هذه الأحداث وتفاصيلها، ولعله لأن الأُمَّة سيعرض لها ما يشبه هذه الأحداث، فهو أحد الأسباب التي قضت توثيق جملة منها في أهم الكتب السماوية، فحاجة الأُمَّة إلىٰ دروس وتنبيه إلىٰ مثل هذه القضايا من أجلىٰ دواعي ذكر ولادةِ موسىٰ عليه السلام كمثال في الذكر الحكيم، حيث يدرك الإنسان السنن الربانية، وبه يعرف أن السنن تسري وتحكم علىٰ كل الخلق ولو كانوا أهل الصفوة، وبمعرفته هذه يتمكَّن المنتمي للدين أنْ يسلم من الشطحات المعرفية في الدين والعقيدة ويتمكن القارئ - ولو لم يكن منتمياً - أن يتعرَّف علىٰ طبيعة الرعاية الربانية لحججه وصفوته، من أجل ذلك وغيره جاءت مثل هذه التفاصيل في كتاب لا ريب فيه.

**ولادة موسىٰ عليه السلام في الكتاب العزيز:**

قال تعالىٰ: ﴿وَأَوْحَيْنا إِلىٰ أُمِّ مُوسىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلا تَخافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝٧ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَناً إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهامانَ وَجُنُودَهُما كانُوا خاطِئِينَ ۝٨ وَقالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لا تَقْتُلُوهُ عَسىٰ أَنْ يَنْفَعَنا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ۝٩ وَأَصْبَحَ فُؤادُ أُمِّ مُوسىٰ فارِغاً إِنْ كادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْ لا أَنْ رَبَطْنا عَلىٰ قَلْبِها لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝١٠ وَقالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ۝١١ وَحَرَّمْنا عَلَيْهِ الْمَراضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ

لَهُ ناصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْناهُ إِلىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُها وَلا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَلٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَلَمّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوىٰ آتَيْناهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (القصص: ٧-١٤).

عرض الكتاب العزيز في الآيات التي ذكرناها وفي غيرها مما لا يسعنا ذكرها بعض الأحداث المهمة في بدايات حياة موسىٰ عليه السلام في موضعين:

الأول: في موضع امتناني، فقد ذكَّر موسىٰ بالألطاف الربانية التي رعته، فقد أوحي لأُمِّه أمور أدَّت لحفظه ولم تكن لتُعلم - عادة - لولا الوحي، بل لم تكن لولا اللطف.

والموضع الثاني: عرض فيه الحالة التي كان فيها قوم موسىٰ عليه السلام من استذلالٍ وقتلٍ وفقدٍ لأبسط مقوِّمات الحياة، وبيَّنت كيف رتَّبت العناية الربانية الأوضاع لاستقبال المنقذ بشكل ينسجم مع السنن الكونية والألطاف الإلهية فحملت أُم موسىٰ عليه السلام به دون أن ينتبه لحملها أحد وولدته ولم يعلم بها - بحسب ظاهر البيان القرآني - إلّا أخته.

والغرض من هذا العرض القرآني هو نفس الغرض من إنزال الكتاب العزيز ﴿كِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النّاسَ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلىٰ صِراطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ (إبراهيم: ١).

فما هي الهداية التي تبدو من سرد قصة ولادة موسىٰ عليه السلام في موضعين، تُرىٰ أراد ذكر موارد تبيِّن عظمة الباري ولطفه - وهو الأمر البيِّن في قرآن التدوين وقرآن التكوين - وهو أمر لا ينافي سواه من الأغراض، بل ولا يفي بيان موارد اللطف بالهداية، وإن أعطت النفس اعتزازاً وامتناناً وشعوراً بالعناية الربانية، إذاً يمكن القول بكل ثقةٍ: إنَّ سرد ولادة موسىٰ عليه السلام ينبّه علىٰ مضمونها، وأنَّه أسلوب متَّبع في صدّ كيد الفراعنة، فهذا الذكر يشبه الضربة الاستباقية في الحروب والأمن القومي، فهو تذكير وإخبار يزيِّن التاريخ بوقائع

جرت، وفي عين الحال تكون علامات مضيئة في سبيل الهدىٰ، وبذا لا ينتفع أرباب الفتن والتشكيك بالكذب والتكذيب والافتراء والتشكيك في الحقائق الدينية والعقائد الحقة.

**ولادة موسىٰ عليه السلام في الحديث:**

ورد في إكمال الدين بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنَّ يوسف بن يعقوب (صلوات الله عليهما) حين حضرته الوفاة جمع آل يعقوب وهم ثمانون رجلاً، فقال: إنَّ هؤلاء القبط سيظهرون عليكم، ويسومونكم سوء العذاب، وإنَّما ينجيكم الله من أيديهم برجلٍ من ولد لاوي بن يعقوب اسمه موسىٰ بن عمران، غلام طويل جعد آدم، فجعل الرجل من بني إسرائيل يسمي ابنه عمران، ويسمي عمران ابنه موسىٰ».

ذكر أبان بن عثمان عن أبي جعفر عليه السلام رواية طويلة مسردها يؤكد أن قضية موسىٰ نبأ لما يجري علىٰ صاحب الأمر عجل الله فرجه وولادته وبدأ أمره ومن أهم ما ورد فيها:

١ - ما خرج موسىٰ حتىٰ خرج قبله خمسون كذاباً من بني إسرائيل كلهم يدَّعي أنَّه موسىٰ بن عمران... وهذا المعنىٰ حصل وسيحصل في المستقبل.

٢ - رصد فرعون نساء بني إسرائيل وقباله ما حصل من رصد لبيت الإمام العسكري عليه السلام.

٣ - نافحت نساء بني إسرائيل عن أولادهن... وهو ما يثبته التاريخ عن البيت العلوي عليه السلام.

٤ - رصد أُمِّ موسىٰ وكذا أم صاحب الأمر عجل الله فرجه.

٥ - كانت رعاية الباري لهما.

٦ - هلكت أُم موسىٰ والقابلة فنشأ موسىٰ لا يعلم به بنو إسرائيل

وكانوا يطلبونه ويسألون عنه فيعمىٰ عليهم خبره... وهكذا كان الحال في شأن صاحب الأمر إلىٰ اليوم.

٧ - علم فرعون بطلب بني إسرائيل فزاد في عذابهم واليوم ترىٰ عذاب القائلين بإمامته وطلبهم للإمام.

**ولادة إبراهيم الخليل عليه السلام:**

ذكروا أنَّ ولادة إبراهيم عليه السلام في زمن نمرود بني كنعان وقد علم النمرود بأنَّ هلاك دولته علىٰ يد غلام سيولد - وكان الوقت هو وقت ولادة إبراهيم عليه السلام - فتفحص أحوال النساء فمن وجدت حبلىٰ حبست حتَّىٰ تلد، فإن جاءت بغلام قتل ولما حملت أُم إبراهيم به هربت ولجأت إلىٰ غار ووضعت فيه إبراهيم وانصرف عنه بعد أن جعلت علىٰ باب الغار صخرة، ويذكر ابن الأثير أنَّ نمرود إبراهيم عليه السلام عَلِم بالسَنة التي يولد فيها هادم ملكه، فحبس الحبالىٰ إلّا أُم إبراهيم عليه السلام فإنَّه لم يعلم بحملها لأن لم يظهر عليها أثر، فذبح كل غلام ولد.

**عرض صاحب مجمع البيان قصة ولادة إبراهيم الخليل عليه السلام:**

ذكر أهل التفسير والتاريخ أنَّ إبراهيم عليه السلام ولد في زمن نمرود بن كنعان، وزعم بعضهم أنَّ نمرود كان من ولاة كيكاوس، وبعضهم قال: كان ملكاً برأسه، وقيل لنمرود: إنَّه يولد في بلده هذه السنة مولود، يكون هلاكه وزوال ملكه علىٰ يده. ثم اختلفوا فقال بعضهم: إنَّما قالوا ذلك من طريق التنجيم والتكهن. وقال آخرون: بل وجد ذلك في كتب الأنبياء، وقال آخرون: رأىٰ نمرود كأن كوكباً طلع، فذهب بضوء الشمس والقمر، فسأل عنه فعبر بأنَّه يولد غلام يذهب ملكه علىٰ يده، عن السدي.

فعند ذلك أمر بقتل كل ولد يولد تلك السنة، وأمر بأن يعزل الرجال عن النساء، وبأن يتفحص عن أحوال النساء، فمن وجدت حبلىٰ

تحبس حتّىٰ تلد، فإن كان غلاماً قتل، وإن كانت جارية خليت، حتّىٰ حبلت أُم إبراهيم، فلما دنت ولادة إبراهيم خرجت أُمّه هاربة، فذهبت به إلىٰ غار، ولفته في خرقة، ثم جعلت علىٰ باب الغار صخرة، ثم انصرفت عنه، فجعل الله رزقه في إبهامه.

فجعل يمصها فتشخب لبناً، وجعل يشب في اليوم كما يشب غيره في الجمعة، ويشب في الجمعة كما يشب غيره في الشهر، ويشب في الشهر كما يشب غيره في السنة، فمكث ما شاء الله أن يمكث، وقيل: كانت تختلف إليه أُمُّه، فكان يمص أصابعه، فوجدته يمص من أصبع ماء، ومن أصبع عسلاً، ومن أصبع تمراً، ومن أصبع سمناً.

**عرض ابن الأثير لولادة إبراهيم الخليل** عليه السلام:

فلما أراد الله أن يبعث إبراهيم حجة علىٰ خلقه ورسولاً إلىٰ عباده ولم يكن فيما بينه وبين نوح نبي إلّا هود وصالح عليهما السلام، فلما تقارب زمان إبراهيم أتىٰ أصحاب النجوم نمرود فقالوا له: إنّا نجد غلاماً يولد في قريتك هذه يقال له إبراهيم، يفارق دينكم ويكسر أصنامكم في شهر كذا من سنة كذا، فلما دخلت السنة التي ذكروا، حبس نمرود [الحبالىٰ] إلّا أُم إبراهيم، فإنَّه لم يعلم بحبلها لأنَّه لم يظهر عليها أثره، فذبح كل غلام ولد في ذلك الوقت.

لعلَّ فرعون استلهم أسلوب نمرود في تعامله مع ولادة موسىٰ عليه السلام وكأنَّه لم يجد بديلاً عن هذا الأسلوب فتلافىٰ بعض الإخفاقات في تطبيق الفكرة:

- ففي البدايات حصل خبر لدىٰ الدولة بقرب ولادة عدوها.
- تسعىٰ من أجل القضاء عليه أو منع ولادته.
- فرَّقت بين النساء والرجال.
- فحصن النساء.

- حبست الحبالىٰ.
- ذبح كل غلام ولد.
- استبقيت كل أنثىٰ.
- لم يظهر أثر حملٍ علىٰ أُم إبراهيم.
- مع اقتراب ولادتها تهرب من البلد.
- تضع حملها في مكان خفي.
- تتركه.
- تتولىٰ العناية به السماء.
- تعود إليه بين فينة وأخرىٰ حتّىٰ نشأ وأظهر الله أمره.

**ولادة يحيىٰ عليه السلام:**

لم تكن ولادة يحيىٰ محفوفة بالمخاطر كما هو حال ولادة إبراهيم عليه السلام [وإنَّما كانت ولادته حدث خارق للعادة] ومع ذلك أخفت أُمه نفسها خمسة أشهر كما جاءت في قصته في الإنجيل فأصل إخفاء الحمل والولادة ليس بالأمر المستنكر المستغرب.

**قصة ولادة يحيىٰ عليه السلام في الإنجيل:**

كان في أيام هيرودس ملك اليهودية كاهن اسمه زكريا وزوجه من بنات هارون، في يومٍ كان نصيبه أن يدخل هيكل الرب ويبقىٰ وحده فظهر له ملاك الرب فوقع عليه الخوف، فقال له الملك: (لاَ تَخَفْ يَا زَكَرِيَّا، لأَنَّ طِلْبَتَكَ قَدْ سُمِعَتْ، وَامْرَأَتُكَ أَلِيصَابَاتُ سَتَلِدُ لَكَ ابْنًا وَتُسَمِّيهِ يُوحَنَّا * وَيَكُونُ لَكَ فَرَحٌ وَابْتِهَاجٌ، وَكَثِيرُونَ سَيَفْرَحُونَ بِوِلاَدَتِهِ، لأَنَّهُ يَكُونُ عَظِيمًا أَمَامَ الرَّبِّ، وَخَمْرًا وَمُسْكِرًا لاَ يَشْرَبُ، وَمِنْ بَطْنِ أُمِّهِ يَمْتَلِئُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ * وَيَرُدُّ كَثِيرِينَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَىٰ الرَّبِّ إِلهِهِمْ. وَيَتَقَدَّمُ أَمَامَهُ بِرُوحِ إِيلِيَّا وَقُوَّتِهِ، لِيَرُدَّ قُلُوبَ الآبَاءِ إِلَىٰ الأَبْنَاءِ، وَالْعُصَاةَ إِلَىٰ فِكْرِ الأَبْرَارِ، لِكَيْ يُهَيِّئَ لِلرَّبِّ شَعْبًا مُسْتَعِدًّا...

وَبَعْدَ تِلْكَ الأَيَّامِ حَبِلَتْ أَلِيصَابَاتُ امْرَأَتُهُ، وَأَخْفَتْ نَفْسَهَا خَمْسَةَ أَشْهُرٍ...).

لاحظ أنَّ أُم يحيىٰ أخفت نفسها خمسة أشهر، ومهما كان داعي الاختفاء فهو يفيد في المقام، فأصل إخفاء الحمل والولادة ليس بالأمر المستنكر المستغرب.

**ولادة عيسىٰ عليه السلام:**

لم تكن ولادة عيسىٰ عليه السلام علىٰ جري العادة المألوفة حتّىٰ فيما ذكر من ولادات الأنبياء عليهم السلام، فهذا المولود المبارك تقدَّمته إرهاصات عَلِم الناس بها أنَّ ذرية هؤلاء الأنبياء ليست من نفس نمط ذراري الأنبياء، فأُمُّه جاءت إلىٰ الدنيا من أبوين هرمين لا رجاء لهما في الذرية، وإنَّما جاءتهم البشرىٰ من الله بنبي يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتىٰ، وإذا بإشراقة تلك البشرىٰ أنثىٰ، تعجبت حنة زوج عمران فإنَّ البشرىٰ كانت بنبي ولا رجاء لها في مولود غيرها فإنَّ عمران توفي، ومع كل هذا لم يذهب الرجاء من قلبها، فللّه أمرٌ هو بالغه وليس في وسعها الاقتراح بما ترىٰ وتريد، فلقد عاشت بين نسّاك السماء وسدنة الدين ورجال الوحي، ترىٰ ولياً بعد ولي، ونبياً بعد نبي، وقلباً إثر قلبٍ يهزُّ كيانه لمعان اللطف الإلهي، فحررت وليدتها وفاءً لنذرها، وتسابقت الأقلام كلٌ يأمل الفوز بكفالة مريم، فهم يعلمون أنَّ لها شأناً، فهي هبة معظّمة خرجت عن مألوف السنن حتّىٰ تلك السنن الجارية في العباد المخلصين، ونشأت واللهُ يكفل رزقها، بما لم تجر به العادة، حتّىٰ أَلِف الناس اختصاصها الوثيق بأمر الله، في وسط كانت طبيعة العيش فيه نفعية آنية، تكاد تخلو من أخلاقيات السماء وضرورات الوجدان، فضلاً عن المعارف الدينية والتي تبدو أنَّها آخر همهم، لاحظ آيات الأنبياء في تلك الفترة ترها من اللون المادي المحض: الإخبار عن الأكل، الشرب، الادِّخار، إحياء الموتىٰ ومداواة الأمراض المزمنة.

وتأمَّل في تعاليم الأنبياء: الأمر بالتقوىٰ وشؤونها وجلّ الوصايا الدينية من قبيل التسامح والمحبة، ولعل هذا النمط من العيش من مخرجات نهج الفراعنة مع بني إسرائيل، نمط من السلوك تحكم فيهم بقوة موازين الرغبة والسلطة والمنافع الملموسة وما تتطلبه السلطنة، ولّما حان وقت مجيء المنجي المعلّم لهم كانت طلّته عليهم من ثنايا الغيب والقدرة الربانية، وهو أمر يُنبت بقوة ووضوح مغارس الفطرة، فمعها لن يخطر ببال عاقل التنكر لكلمات المسيح وهدْيه، فلقد تكلَّم وهو في المهد، ومع هذه البداية التي لا مثيل لها، لم تتمكن تعاليم المسيح من النفوذ في وجدان الناس حتّىٰ أنَّهم أحاطوا بعيسىٰ كي يقتلوه، هكذا كان تفكّه الاتباع بموائد الشهوة، فلقد حوّروا ما جاء به عيسىٰ لذة وتجبراً.

**بيان ولادة المسيح ابن مريم عليهما السلام في الكتاب العزيز:**

شاء الله أن يكون عيسىٰ عليه السلام من غير أب، ومن الحكمة تهيأت الأجواء والنفوس لهكذا حدث، فالناس يبهرهم ما هو خارج المألوف وما لم تجر به العادة لكن في حدود ما، بحيث يمكن أن يتخيَّل الإنسان قدرته عليه، ولو كان مستحيلاً فعلاً علىٰ الإنسان، ولو تجاوزت الأحداث الخارقة للعادة حدود المخيال المعقول فقد يفتح الإنسان ثقباً أسوداً في معارفه وتعقلاته، من هنا اعتنىٰ الكتاب العزيز ببيان ولادة عيسىٰ عليه السلام، فتأمل في كيفية سرد ولادة عيسىٰ فلقد مهد بمقدمات طويلة ومتجذرة، لاحظ.. هناك إشارة إلىٰ مبدأ الاصطفاء، وتتبعها إشارة إلىٰ الأفراد والبيوت المصطفين، وإلفات النظر إلىٰ عناية الباري بهؤلاء الثلة، عناية تحيط بأدق تفاصيل شؤونهم، وما كانت هذه العناية بهم إلَّا لأنَّ الله اصطفاهم لدينه واصطفىٰ لهم الدين، ومن الطبيعي والمنطقي جداً أن يكون لهذه العناية مظهرٌ ملموسٌ يحكي قرب أولئك المصطفين من الله ويظهر رعاية الله لهم، وما ظنك بمن كان قريباً من الله ومن كان الله يرعاه، أتراه

يكون رقماً في المعادلة الكونية أم يكون في حساب الأعداد الضائعة، هنا تقف الكلمات قليلاً لتأخذ نفساً يجمع الفكرة، فمن بيان الكتاب العزيز لولادة عيسىٰ عليه السلام تكشفت أمورٌ منها ما يرجع لشخص المسيح، ومنها ما يخبر عن رسمِ عُرفٍ رباني، يطبَّقَ ويجرىٰ في مناسبات تشرّف الدنيا بثلة خاصة من المصطفين، هذا البيان القرآني - وهو كتاب هداية لأُمَّة الإسلام - يوثق واقعاً عملياً لمثل هذه الحوادث في عداد من اصطفاهم حتّىٰ لو فات المؤرخ توثيقه، لأنَّ المؤرخ عادة لا يدرك قيمة الأحداث وأهميتها طبق القيم الربانية، بل يصنفها طبق قيمه العلمية والمعرفية، وفي حالات كثيرة ترىٰ أقلاماً تحكم قيم الانتماء، ولو رجعت الكلمات إلىٰ موضوع البحث لوجدت أنَّ الأحداث المنقولة - والتي لا يراها الأحول صحيحةً - والتي تحمل معانٍ خارقة للعادة الكونية أو العرفية لا تخرج عن إطار مظاهر العناية الإلهية بصاحب الولادة، ولو تفكَّر متفكِّر في الحدث لأدرك عجائب الحكمة فيه، ووفرة الألطاف الإلهية في معانيه، ولا يذهب بك الخيال إلىٰ الربط بين العناية الإلهية والأفعال الخارقة للعادة، فليس كل فعل خارق للعادة كاشفاً عن عناية الباري تبارك وتعالىٰ ما لم يكن مصاحباً لدعوىٰ الارتباط بالسماء، ويظهر من أحداث ذلك التاريخ أنَّ الأفعال الخارقة للعادة كانت معياراً للحق في تلك الحقبة من عمر الإنسان، ولعلَّ شدَّة أُنس أولئك بالماديات أدَّىٰ إلىٰ تهميش الإدراك عندهم[1] وهذا المعنىٰ قد انقطع وتوقف بعد أن كذَّب بالآيات الأوَّلون، وكأنَّ تكذيبهم بها كونهم حصروا أنفسهم بنهج ضيق من التعقل، فكان لزاماً - ومن أجل فتح مناهج المعرفة والعلم - تغيير نهج الاستدلال نوعاً من الدلائل المادية الملموسة إلىٰ دلائل غير مادية فحلَّت محل مناهج البراهين العقلية وصارت هي المعيار السائد في إثبات الحق، ومن المهم الالتفات إلىٰ أنَّ العلم وإن كانت

١. ويشاهد هذا المعنىٰ القاري لتاريخ بني إسرائيل وثقافتهم.

التجارب بابه المفضل عند البشر إلّا أنَّ ما تدرك به التجارب وأُسس تعقلها يرفدان الإنسان بقواعد علمية وحقائق كونية قبل أن تتمكن التجربة من البرهنة عليها.

ولو رجعت إلىٰ ولادة عيسىٰ عليه السلام فسترىٰ خفاء حمله وولادته مع أنَّ الكرامات والدلائل علىٰ عظيم أمره من قبل ولادته بفترة زمنية كبيرة.

فولادة أُمِّه بكرامة ومعجز وحياتها كرامات في كرامات فالإخفاء ينبئ عن أنَّ ولادته لا تحتملها نفوس القوم فكان الإخفاء ضروري، ودواعيه متنوعة وفي المقابل تجد أنَّ صاحب الأمر يعلم بحاله أعداؤه ومحبوه، وأنَّه صاحب السيف فقد انتشر خبره وأخبار النبي عنه وأنَّه الثاني عشر خاتم الأوصياء فكانت دواعي قتله متكثرة بخلاف دواعي قتل آبائه.

فلك أن تنظر وتقارن بين أحوال من تقدم من الأنبياء وبين أحوال صاحب الأمر ستجد ما يخبرك بواقع الحال.

**الولادة حديث وحدث:**

لم يكن حديث الغيب بين أتباع الأديان ضرباً من ضروب الترف ولا شكلاً من أشكال التسلية، وإن حوىٰ الحديث علىٰ أُنس ولذّة، فهذا يوسف عليه السلام يخبر آل يعقوب بغلبة القبط عليهم، فهم السادة الجدد، وطبع الحال يقتضي أن يسومهم المناوؤون لهم من الأقباط الذين قادوا عملية الانقلاب علىٰ نهج يوسف عليه السلام سوء العذاب وأنَّ المنقذ من شباك القبط هو من نسل لاوي اسمه موسىٰ بن عمران عليه السلام، أخذ هذا الحديث صداه، فطمع الكثير من بني إسرائيل في أن يكون المنقذ من ذريته، فسمّوا أبناءهم باسم الأب وسمىٰ الآباء أبناءهم باسم المنقذ، ودغدغ هذا الحلم الكثير ممن سمع بحديث يوسف، حتّىٰ خرج قبل موسىٰ خمسون كذاباً كلهم يدَّعي أنَّه المنقذ موسىٰ بن عمران، وفرعون يرصد بني إسرائيل إذ كانوا مصدر القوىٰ العاملة في دولته فبلغه كثرة

حديثهم عن المنقذ، هذا يعني أنَّ لهم رفضاً له وقابليةً للخروج عن سلطانه وكان جهاز إدارته يؤكد تلك الأحاديث الدائرة بين بني إسرائيل، فلابدَّ من التحرك لقتل المنقذ، لم يكن يعلم بحمل موسىٰ إلّا دائرة ضيقة جداً، فقد كانت عيون فرعون تراقب كل بيت وترصد كل أنثىٰ، وتشي بكل مولود، هنالك أخذت المحبة مفعولها فصار العدو محباً وحامياً، رغم إصراره علىٰ عداوته وشدَّة عناده للحق، أثمرت هذه المحبة، جعلت القابلة تحرص علىٰ حياة موسىٰ عليه السلام، فوظَّفت موقعها الرسمي في الجهاز الأمني لتحمي الوليد، فلم يعلم بموسىٰ أحد سوىٰ أُمّه وأخته والقابلة، مضت الأيام، ماتت القابلة وماتت أُم موسىٰ، فنشأ المنقذ، وبنو إسرائيل لا يعلمون به، كانوا يطلبونه ويسألون عنه فيعمىٰ عليهم خبره، وفرعون يرصد أخبارهم ويعلم طلبهم، فرَّق بينهم، نهاهم عن السؤال والتحدُّث بأخباره...

في ليلة اجتمع بنو إسرائيل عند عالِم لهم، دار حديث الأمل الموعود، علا التململ والضجر، حتّىٰ متىٰ.. وإلىٰ متىٰ..، صار العالِم يصبّرهم..، يذكّرهم بقول يوسف..، عندها جاء أمر الله إذ أقبل موسىٰ عليه السلام، قرب منهم..، وقف عليهم، فلمعت صفته في عيني العالم، فسأله عن اسمه واسم أبيه، فعرف أنَّه المنقذ..، عرَّف من حوله بحقيقة الأمر، فتعارفوا، بدأ موسىٰ عليه السلام العمل بشيء من العلن فاتَّخذ شيعة.. ومكث ما شاء الله....

**الولادة عقيدة أو معرفة:**

وجود الإمام المهدي المنتظر عجل الله فرجه عقيدة دلَّت عليها الأدلة العقلية والنقلية القطعية التي تفيد العلم.

لكن نفس الولادة قد ينظر إليها كحدث تاريخي يتكفل بإثباته ونفيه قواعد النفي والإثبات التاريخي.

والسؤال: لو لم تسعف الباحث المادة التاريخية لإثبات حدث الولادة، فهل يصير إلىٰ نفي أصل الموضوع؟!

قد يسارع عَجِلٌ في خضم تزاحم المعاني إلىٰ جواب ما، وبين الواقع ودفائن التاريخ توجد ملايين الحوادث التي يسلّم بوقوعها مع عدم وجود شواهد وأدلة علىٰ بداياتها، فكم من رجال التاريخ والحضارات ليس لهم سجل منذ ولادتهم، بل كم من الأحداث المعاصرة يصعب، بل يستحيل توثيق بداياتها، إذاً القول بأنَّ الولادة كحدث تاريخي لا يمكن توثيقه لا يعني انتفاءه، بل ولا يصح نفيه دون حجة موجبة.

ومجرد الاستبعاد أو وجود ما يوهم بالنفي لا يكون دليلاً علىٰ النفي، هذا المعنىٰ واضح، وكذا المعاني المتقدمة لا لبس فيها.

وقد يقول قائل: ولادة الإمام عليه السلام تختلف عن بقية الولادات لأنَّ البحث فيها انصبَّ علىٰ الولادة وهو عليه السلام لم يظهر بعدُ، وبقية الولادات التي خفي أمرها تناولتها الأقلام بعد ظهور أصحابها، والفرق بين الأمرين بيِّن وواضح.

هذا القول في بادي النظر له قيمة بحثية.

والسؤال الفني هنا: هل هذا المعنىٰ يشكِّل فارقاً بشكل ينفي الوحدة البحثية بين الولادتين؟

هنا تصورات الأقلام تختلف بحسب أسسها فيما تكتب، فالقلم المستند إلىٰ الإثبات الديني في الموضوع لا يثبت فارقاً بين الولادتين، بل تكون أحدهما دليلاً علىٰ الأخرىٰ، لأنَّ أقل ما في أدبياته أنَّ ولادة الحجج بشكل خارق للعادة يبتني علىٰ مقتضيات موضوعية وحِكَم إلهية، منها سنةُ الابتلاء.

والقلم الذي يستبعد الإثبات الديني - بغض النظر عن دواعي استبعاده - فتارة يكون اتِّجاهه البحثي يعتمد ويقبل الإثبات العقلي للقضية الدينية، فهذا الاتجاه لا يسعه تجاهل مخرجات العقل والتي من أهمها ضرورة وجود الحجة في كل زمان ومكان معيَّن منصوص عليه.

وتارة يكون الاتجاه البحثي مستبعداً الإثباتات العقلية في القضية الدينية، فهذا اللون من البحوث في واقعه يعالج ظواهر مجتمعية بما يمكنه منها بغض النظر عن

حقيقتها، أو قل: يطلب في بحثه معرفة الظاهرة ضمن تجربته، أو ضمن سياق ما يراه من أفكار، بغض النظر عن وفاء أفكاره ببيان الواقع.

وكما ترىٰ لا يصح أن تعتمد مخرجاته ونتائجه في خارج نطاقها، وكثيراً ما تسمع عن مثل هذه الأبحاث الاجتماعية التي لها معانٍ خاصة بها، ففي أغلب هذه البحوث تعرِّف الدين ومفرداته مقتطعة إياها عن سياقاتها الأصلية وتأخذ انطباعات البشر ورؤاهم كدين منسوب للباري والواقع أن دين الله في وادٍ ونظرات البشر في وادٍ آخر.

تنبيه:

١ - من المرتكز عند الإنسان أنَّه إذا جاءه خبر ما، قد دلَّ علىٰ مفاده حكم عقلي فإنَّه يقبل بمضمون الخبر، بل يرتقي به الحال إلىٰ القبول بنفس الخبر كدليل؛ فيما إذا كان مدعماً بقرائن وشواهد تدل عليه، ومقبولية الخبر الموافق لحكم العقل كدليل تجده شائعاً في العرف وعند العقلاء.

٢ - إنَّ الحدث الذي دلَّت عليه لابدية العقل، لا ينتظر عاقل تفاصيل خبره من النقل، فليس النقل حينئذٍ بأوثق من دلالة العقل، لذا ترىٰ العقلاء يعتمدون في توثقهم من المعلومات علىٰ المعطيات العقلية، من هنا تجد أنَّ الاستبيانات، وإن كثرت عيِّناتها وبلغت الآلاف لا يكتفىٰ بها، بل غاية ما تفيدهم تلك الاستبيانات هو توجيه بوصلة البحث والتحري.

كما هو جارٍ في عالم التجربة فالتجربة مادة الحكم وليست هي بنفسها حكماً.

٣ - الأخبار التي تتضارب فيما بين نفي وإثبات كيف يتعامل معها العقلاء؟

في الواقع مثل هذه الإشكاليات لا تجد لدىٰ العقلاء قاعدة سيالة، إذ إنَّ حقل الخبر من المؤثرات المهمة في التعامل معه، فأخبار الأحكام الشرعية

يُدقَّق فيها كثيراً لأنَّها إخبار عن الله عزّ وجلّ، وأخبار العقائد لا يكاد يجدي فيها التدقيق، إذ المعوَّل في باب العقائد العلم، وهو في الحقيقة صنو دليل العقل، هنا تبدو إشكالية أخبار الولادة فإنَّ مادة البحث مضمون خبر لا ريب فيه - وفي عين الحال هو خبر لا حجية له - لو قلنا بأنَّ الخبر غير ثابت، وإلّا فأخبار الولادة صحيحة بلا ريب، بل هي من دلائل النبوة وأدلة الحق.

**محل النزاع والبحث:**

محل البحث ليس في أصل الولادة، فهذا أمر مفروغ عنه عند أتباع المذهب الحق وعند من أنصف الأدلة العقلية المقامة علىٰ ضرورة وجود الحجة من لطف وغيرها، وعند من بلغه تواتر الأخبار عن الأئمة الاثني عشر أو عن خاتم الأوصياء، وإنَّما البحث في روايات وأحداث الولادة، ومن حاول أن ينفي روايات الولادة، فتارة يعتمد علىٰ بعض المنقول النافي للولد، وهذه قد تكون صادرة قبل الولادة، أو تكون صادرة تقية، والبعض يشكك في أصل صدور روايات الإثبات إمّا بدعوىٰ عدم تمامية السند، أو بدعوىٰ تكذيب روايات النفي لها؛ فأمّا دعوىٰ عدم تمامية السند - لو فرض أنَّه كذلك - فلا يوجد مبرّر عقلي ولا عقلائي ولا فني للارتكاز عليه، لأنَّ تمامية السند تشكّل عاملاً في المحاسبة والاستحقاق في الأوامر والنواهي، فإنَّ من يخالف الأمر أو يأتي به، فإنَّ العذر وعدم العذر يرتكز علىٰ وصول الخبر إليه وعدم وصوله له من طريق معتبر، والعقلاء ببابك تراهم يعاقبون مخالف الأوامر بدعوىٰ أنَّ المراد قد حصل والأمر قد وصل عبر قنوات معتمدة، ولو تصرَّف متصرِّف علىٰ أساس قناعته أنَّ هناك أمراً لا يقبل منه، ولكن لو حصل عنده تشخيص موضوع خارجي من دون تعلق أمر به، فليس له عدم ترتيب الأثر بدعوىٰ أنَّ ليس لديه أوامر بذلك.

نعم، يصح منه ذلك في حال كونه آلة صرفة لتنفيذ الأمر، أو ليس بيده تحديد تنفيذ الأمر وقتاً وكيفيةً كما في الأوامر العسكرية، وهناك بعض الموارد لا تحتاج لأمر بعد معرفة أصل الموضوع.

فإذن محل البحث أخبار الولادة، ويبدو للذهن أنَّه يكتفي بتحكيم قواعد إثبات الخبر فإن تمَّ تحكيم قواعد الإثبات تم خبر الولادة وإلَّا فلا، لكن لكون الولادة مرتبطة بقضية هي من دلائل النبوة، ومرتبطة بالنسيج العقائدي، وفي نفس الوقت هي معترك مصالح الأضداد من ساسة يهمهم نسف كل ما يرتبط بها، ومن أحباب يعنيهم كل شؤونها، صارت جهات للبحث في هذه المسألة ومشارات تحكي توجه مثيرها، وهو ما جعل ظواهر البحث انتمائية رغم أنَّ المسألة ليس لها انتماء خارج عن سياق أمثالها من الولادات.

**التاريخ والدين:**

سجَّل الإنسان الأحداث حسب رؤيته وروايته، وهما منطلقان يتأثران كثيراً بمعطيات نفسية متعدِّدة الجوانب وبدواعٍ مصلحية تتطلب قولبة متقنة – وفي بعض سريعة – للأحداث، وهذا المعنىٰ يجعل التاريخ في مهب الأهواء، وبعد حصول الإنسان علىٰ نضج معرفي، حسب أنَّ وطأة القولبة تلاشت، ولكن أغلب الظن أنَّه وجد مسارب يعرف بها فن القولبة، هذا ما يجده متابع حدثه اليومي، وتاريخ الدين يعد من أهم المواضيع وأكثرها حساسية وأشدها تعرضاً للقولبة بحسب المصالح والرؤىٰ، من هنا ترىٰ صاحب الدين أولىٰ عناية خاصة بتاريخ الدين والتدين، كي يتمكَّن الإنسان من معرفة الحقيقة، فإنَّ تشويه التاريخ وسيرة الرسل والأنبياء تشويه للدين نفسه، وهذا المعنىٰ بديهي.

**فكيف أرَّخ الدين نفسه؟**

**وكيف وثَّق حقائق الأحداث التي تمَّت به؟ أو تمت إليه بصلة؟**

هذا الحديث شيِّق وشائك، وزبدة القول فيه: إنَّ الدين عمد إلىٰ الحقائق الثابتة والخصائص النابتة في معالم الدين، وأولياء الدين من رسل وأوصياء ومن حولهم وما يرتبط بهم، فشيَّدها ونبَّه إلىٰ شؤون حياتهم ومظاهر ارتباطهم بالباري، فضرب أمثلة من واقع سِيَر الرسل والأنبياء والأولياء والفراعنة وبنىٰ عليها الأسس التي تحمي الحقيقة الدينية من رؤية ورواية الإنسان، فإذن يمكنك القول: إنَّ فهم الرواية التاريخية للأحداث المرتبطة برسل الله وخلفائه، لابدَّ وأن يستند إلىٰ معرفة شؤونهم بحسب النص القرآني؛ ويمكن القول - إن لم يرقَ إلىٰ مستوىٰ البداهة - بأنَّ أسلوب توثيق الحدث الديني يختلف عن المناهج المتبعة والمعروفة، من هنا لا يتَّسع المجال الديني إلىٰ كلمات ومعاني (روايات وتفاسير للأحداث) تفتقد المصداقية في المعرفة الدينية، فإنَّها معارف تطلبها الحقيقة التاريخية لتثبت، ولا تطلب التاريخ لتثبت، هنا تجد الروايات - ومن هذا القبيل موضوع البحث - تحتاج لمؤشرات من الوحي كي يؤخذ بها ولا تكون جزافاً، فالنبي الأكرم صلى الله عليه وآله ما كان قصّاصاً ولا حكواتياً، وما كان القرآن يذكر شيئاً لا ينفع في هداية المسلمين لدين الحق وما يحويه الدين ويطلب التعرف عليه من قبل المكلف، فذكر قصة ولادة موسىٰ وعيسىٰ وناقة صالح، وذكر ما هو خارج عن مألوف الإنسان مما يقتضي تعجب الإنسان منه، هو في واقعه ناتج طبيعي جداً، وضمن إطار المألوف في الوسط العلمي هناك كثير من معارف الإنسان وعلومه تعد عند عموم الناس من العجائب والغرائب وهي عند العلماء أمر طبيعيٌ، بل قد يكون ضرورياً وخلافه هو العجيب، وهذا المعنىٰ ينطبق علىٰ كل عالم في مجاله، فالشخص البعيد عن عالم الكهرباء وطبيعتها - عادة - ما يتنقل من دهشة إلىٰ دهشة ومن غرائب إلىٰ

عجائب، ولكن العالم بطبيعة الكهرباء، لا تأخذه دهشة ولا يرىٰ ما يرىٰ من غرائب الأمور.

والغرض من هذه الكلمات لفت النظر إلىٰ ما ذكر في الكتاب العزيز من شؤون الرسل والأنبياء وكيفية تجلي الرحمة الإلهية والقدرة الربانية في ذواتهم.

**ولادة الإمام المهدي عجل الله فرجه:**

شأن من شؤون أولياء الله، ويمتاز هذا الولي بأنَّه بقية الله، جاء إلىٰ الدنيا وهي ساحة حرب بين الحق والباطل، وجملة أعدائه يعلمون ما يعني وجوده في هذا العالم، فما ظنك بمن هذا حاله؟ بحسب السير الطبيعي وجاري العادة في مثل حاله أقل ما توصف به حياة آبائه بأنَّها محاطة بالأخطار القاتلة، فضلاً عن حياته نفسه. هذا مقدار ما يُدرَك بحسب المعطيات المتوفرة، وإلّا بحسب الاحتمالات، فالمخرجات تفوق ذلك بكثير، فكيف يمكن الحفاظ عليه بنحو لا تخرج الأمور عن الإطار الجاري في الكونيات، بما يبدي كونه بعين الله ورعايته.

هنا تجد الاقتراحات كثيرة، وكل عقل يفصل ويفضل أمنياته، والسماء لها شأنها الذي بيَّنته فيما سبق من الرسل والأولياء، فهناك إبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ وغيرهم عليهم السلام، كل له ملحمة في بدايات وجوده، فإبراهيم عليه السلام هربت أُمُّه به إلىٰ كهف وربَّته حتّىٰ استوىٰ عوده، ولكن فرعون موسىٰ تجنَّب فعل النمرود فلم يمكن أُم موسىٰ من الهرب فألقته باليم وتكفل الباري بأمره.

**الجدل المثار حول ولادة المهدي عجل الله فرجه:**

ترتبط ولادة الإمام عجل الله فرجه بعدَّة قضايا، بعضها تاريخي وبعضها عقدي، وبعض منها يمس أصل بيانات النبي البلاغية لشؤون الشرع والشريعة، والأعجب من ذلك أنَّ قضية الولادة وجوداً وعدماً لها ارتباط بسُنَّة الاصطفاء المذكورة في الكتاب العزيز فأصابها وهن ونسف لتلك السُنَّة، والنظر هنا لكل

عنوان على حدة بشكل مختصر، ففي الجنبة التاريخية هناك عدَّة أحداث تمحورت حول ولادته ووجوده بشكل مباشر أو غير مباشرة، وأبرز مثال لارتباطها بالقضايا التاريخية الأحداث التي وقعت في تلك الفترة، فإنَّ كبس بيت الإمام من قبل السلطة ودعوىٰ جعفر عدم وجود ولد لأخيه، وجملة من الحركات التي ظهرت بلباس المهدي - بعد غيبته - تبتني علىٰ أصل وجوده فعلاً، لا أنَّه سيوجد، وإلَّا لا يتم لتلك الحركات ما تدَّعيه، فهذه الحركات ابتنت علىٰ يقين الناس بأنَّه مولود موجود فعلاً، ولو كان اليقين السائد أنَّه سيولد لكانت أيقونة دعواهم هباءً منثوراً.

وفي مجال العقيدة كان نفي ولادته نفياً لأصل دعوىٰ الإمامة بالنهج المطروق عند الآل، فإنَّ النبي صلى الله عليه وآله أسَّس الإمامة وذكر منبتها وبيَّن أهلها وحصر أفرادها، فإنكار الولادة أقل ما ينتج عنه محاولة تشويه ذلك البناء الذي لا ريب فيه، ولا شك في رفض جملة من الأتباع لفعل رسول الله صلى الله عليه وآله، فإنَّ ولادة الإمام ووجوده يتطابق مع إخبار النبي صلى الله عليه وآله به وشأن الإمامة، وينتظم مع البنىٰ الدينية، فإنَّ الكتاب العزيز يصرِّح في مواطن عدَّة بأنَّ الباري تبارك وتعالىٰ يحتج علىٰ عباده بحجج كما في سورة الرعد والنحل والإسراء وغيرها.

فنصب الحجة قرار إلهي ذكر أمير المؤمنين عليه السلام سببه في قوله: «اللهم بلىٰ لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة إمّا ظاهراً مشهوراً، وإمّا خائفاً مغموراً، لئلا تبطل حجج الله وبيناته»، وهذا المعنىٰ مستند إلىٰ جملة من آيات الكتاب العزيز، منها ما أشير إليه.

بل طلب الحجة مطلب بشري، فإنَّ المذنب والمخطئ أوَّل ما يبحث عن عذرٍ له ينفي البيان، ووجود الحجة عليه، ويجعل عدم الحجة والبيان حجة ليست معذرةً له فقط بل وبعدمها يلزم خصمه التقصير، ﴿لَوْ لا أَرْسَلْتَ إِلَيْنا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آياتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزىٰ﴾ (طه: ١٣٤).

وإذا وصلت إلىٰ نفس البيانات النبوية بعنوان أنَّها بيان لا بما ينتج عنها من أحكام وأمور تشريعية ودينية سترىٰ أنَّ الولادة الشريفة هي الفصل الصريح الذي مكَّن عدَّة طوائف من الخطاب النبوي في شأن الإمامة من التعالي عن تفسير وتحوير المنتفعين وأشباههم، مع إذعانهم بصدورها من النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وبالولادة الشريفة جاء وقت تجلي آيات النبوة في رفد الأُمَّة بمزيد من الأدلة علىٰ الحق الحقيق.

هنا تجد أنَّ الجدل المثار حول ولادة الإمام المهدي المنتظر عجل الله فرجه ليس جدل مناكفة بين الأقلام، بل هو صراع يجد البعض أنَّ وجوده يتمحور حول النفي فيسعىٰ لترسيخ نفي الولادة بشتّىٰ الطرق، ففي نفيه عَيشُه، بينما يرىٰ المقابل أنَّ مسألة الولادة الشريفة حدث تاريخي يثبته ما يثبت أمثاله ولا يشكل إثبات أو نفي الولادة تاريخياً رقماً يهز كيانه فضلاً عن أن يهدم بنيانه، وأنَّ تداخل هذا الحدث مع قضايا العقيدة يجعله متأثراً بها لا مؤثراً فيها، لأنَّ أُس العقيدة عقلي لا يبنيه ولا يهدمه إلّا المعطيات العقلية، ولا شأن للمؤرخ في ذلك فتتبُّع هذا الجدل له معطيات مهمة جداً.

فقد لاحت جملة من الأمور التي تضع الأُسس لأجوبة أسئلة من قبيل:

لماذا هذا الجدل؟ وثمة مصلحة يتجاذبها النافي والمثبت، ومتىٰ بدأ؟

ومتىٰ احتدم النقاش حوله؟

ومتىٰ خفت سَوْرته؟ وهل ثمة أمل في أن يخبو الجدل حوله؟

ومن هم أطراف النزاع؟

وما هو سر تنوع البيان النبوي في هذا الشأن والاعتناء بعدم صدور البيانات بشكل صريح ومباشر؟

صياغة السؤال موجهة، وتقضي بأنَّ ثمة أشخاصاً من مصلحتهم وجود ابن للإمام الحسن العسكري عليه السلام، وهؤلاء لابد أن يكونوا أحد شخصين إمّا

ترجع إليهم مصلحة من حيازة ميراث الإمام من خلال ابنه أو من الاستفادة من وجود عنوان الإمامة في ولد الإمام، وفي الاحتمال الأول من الطبيعي أن يكون هؤلاء الأفراد من أسرة الإمام فإنَّه لا يحوز المال إلّا من كان من الرحم، والاحتمال الثاني وهو مقابل إثبات الولادة (نفي وجود الولد) فإنَّه يفترض أن يكون هناك من يقدر علىٰ الاستفادة من هذا العنوان، والقادر علىٰ هذا النحو من الاستفادة أيضاً لا يكون أجنبياً عن الأسرة العلوية فإنَّ الأجنبي عنها لا يرث، ولا يمكنه الاستفادة من عنوان الإمامة بدون دعم من أهل بيت الإمام، فالمدَّعي يحتاج إلىٰ دعم منها، والذي يقف أمام هذا الاحتمال أنَّ السلطان آنذاك كان له سعي خاص في الظفر بالوريث الشرعي للإمام الحسن التقي عليه السلام، لأنَّ بظفره به تنقطع سلسلة الإمامة ويقرّ قرار ملكه، وقد طلب جعفر أخو الإمام من كبار رجال الخليفة أن يصيِّره مكان أخيه فزبره ملوّحاً أن الخليفة جرَّد السيف فيمن يقول بهذا الأمر ولم يأتِ بشيء، وأنت تريده أن يصيِّرك فيه[1].

هذا ما يمكن أن ينالـه نافي الولادة من العلوية، وأمّا السلطان وأصحاب المذاهب فنفيه الولادة يعني لهم الكثير إذا لم يتمكنوا الظفر بالإمام وقتله، ففي نفي الولادة إبطال لأمر الشيعة، لذا ترىٰ إلىٰ اليوم تعلو الأمنيات وتبذل الأموال من أجل نفي الولادة.

**وبكلمة جامعة**: لم يتمكَّن أحد من دعوىٰ وجود الإمام آنذاك لأنَّ مجرد الادِّعاء يعني الموت، ولم يتجرأ علىٰ نفي وجوده، سوىٰ جعفر من أجل المال وقد حازه.

وهل يوجد أحد سعىٰ في الأمر سوىٰ جعفر؟

لم يظهر فيما هو موجود من كتب أحد سواه.

وفي المقابل هل ادَّعىٰ أحد وجوده؟

١. البحار: ج٥٠، ص٣٢٩.

القارئ لتلك الأيام يعلم أنَّه لا يسع أحد الجهر بهذا المعنىٰ، فإنَّ أقل ما يلزم الدلالة عليه، وإلّا فلن يسلم من بطش الدولة، وأهل البيت أنفسهم لم يجهروا بالولادة، ولم يصدر نفي علىٰ لسانهم، نعم وردت روايات عن الإمام تنفي أنَّه ولد له وهذا اللون من الروايات لا يضر لاحتمال صدورها قبل الولادة أو صدورها تقية كما يفرضها ظرف ذلك الوقت.

ولو توهَّم متوهِّم بأنَّ دعوىٰ وجود الإمام لم يكن وقت الإمام، بل تم بعد ذلك بزمن طويل من خلال مجموعة من علماء وسدنة المذهب، فهل توجد شواهد تدعم هذه المقالة أم لا؟

هذه المقالة تبتني علىٰ أنَّه ما قبل هؤلاء لا رسم ولا أثر لقضية ولادة الإمام، وإنَّما ما رسم من قضايا تاريخية فإنَّما هي منهم تثبيتاً لأمر في أنفسهم، فهل هذا المعنىٰ يقبله الواقع التاريخي أو يرضاه عاقل؟

متىٰ بدأ؟

يركِّز الطرف النافي في جداله علىٰ مبدأ النزاع في الولادة وعدمها أيام وفاة الإمام العسكري عليه السلام حيث حاز إرثه عم الإمام المهدي عجل الله فرجه، فلو كان للإمام ولد لما حاز الميراث غيره، وقد ثبت عند الخليفة ورّاث الإمام العسكري عليه السلام.

**المنهج العقلائي والعرفي في إثبات الولادة:**

المعروف عند العقلاء، والسائد في الأعراف أنَّ خبر الولادة يؤخذ من أهل الولد، ومن القابلة، فهؤلاء المصدر الأول للخبر، لا يصغىٰ لغيرهم لا نفياً ولا إثباتاً.

**الولادة في سيرة أهل البيت عليهم السلام:**

الحديث هنا من طرائف الكلام، أن تذكر عادات لمناسبة لها وقع خاص جدّاً في نفوس أصحابها، لا يرغب أهلها عادة بإذاعتها، وإن قيلت فإنَّما تقال

للخاصة، وبحسب الظروف، ومنها استقبال الولد في بعض الأحيان، من الأمور التي يتحفظ الناس على بداياتها، لأمور وأسباب ليس محلها هنا، وشأن أهل البيت عليهم السلام في أمرهم هذا يكشف عنه الشريف الرضي في رسالة له إلى فخر الملك أبي غالب محمد بن خلف وزير بهاء الدولة يعتذر عن ردِّ صلته في مولود له ينقلها أبو حامد محمد بن محمد الأسفرائيني الفقيه الشافعي يحكي الفقيه بعض ما أراه الوزير من تلك الرسالة: (إنَّنا أهل بيت لا يطَّلع على أحوالنا قابلة غريبة، وإنَّما عجائزنا يتولَّيْنَ هذا الأمر من نسائنا، ولسن ممن يأخذن أجرة ولا يقبلن صلة)[1]، ولو قلبت أوراق التاريخ أكثر لرأيت تحفظاً ووقاية تتخطى التحفظات المألوفة، فالناس تحفظ المهم من شؤونها، والقارئ لسيرة الآل وآبائهم من الأنبياء والمرسلين عليهم السلام سيدرك سريعاً أنَّ الذرية وما يرتبط بها من أهم أمورهم وشؤونهم، فلا يفرطون في شؤونها بدءاً من اختيار القرين.

لاحظ وصايا النبي صلى الله عليه وآله في هذا المعنى وتأمل في اختيارات أهل البيت عليهم السلام لأُمَّهات أولادهم، ومن قبل تأمل في كتب حول ولادة أبي الأنبياء وولادة موسى وعيسى عليهم السلام ستقف على لحظات توارت عن مسرح التاريخ، وخفيت عن أعين أقرب المقربين.

فإذن ولادة الإمام عجل الله فرجه حينما تختص عمته حكيمة بالحضور دون سواها له مبرراته في سيرة آباء الإمام من الأنبياء والمرسلين على نبينا وآله وعليهم أفضل الصلاة وأزكى التسليم، ولستر ولادته مبررات موضوعية أيضاً، فإنَّ حديث تملُّكه ودولته وظهوره على كل الدنيا بمن وما فيها، قد ظهر للناس فخيف عليه كما جرت الحال في ولادة جملة من الأنبياء والمرسلين، بل وجملة من كبار البشر فراجع[2].

١. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١، ص٤٠.
٢. كتاب الغيبة لشيخ الطائفة.

**القيمة التاريخية لإثبات تواريخ الولادات:**

لحظات مُرَّة أو حلوة لصقت بذهن الإنسان اهتزَّ لها وجدانه، فكانت تخبو وتطفو علىٰ صفحته.. كانت ذكرىٰ تأخذ بيد الإنسان تارة وتردعه تارة أخرىٰ.. يسامر بها أحبابه.. يناكد بها أعداءه.. تقادمت تلك الأحداث ولفَّتها الأيام وصيَّرتها بدايات تاريخ.. نما شيئاً فشيئاً.. صقلته روابط وهموم تَشارَك فيها أفراد وجماعات.. فكان ديوان الأيام والأحداث التي تصنع الإنسان فتفيده في مقبل أيامه، ولم تكن هوامش الأحداث مما يعنىٰ بضبطها، فيوم الولادة وشؤونها.. يوم الختن.. يوم العرس.. يوم الشهادة، هذه وأشباهها بشكل عام لا تشكِّل قيماً معرفية ولا تؤثر في معرفة المستقبل وإن كانت لها أهمية عند أصحابها وذوي العلاقة بهم لكون تذكّرها يشي بالتعظيم والمحبة وينفخ روح السعادة والرضا في قلوب أصحابها، وبهذه اللفتة تتَّضح للقارئ حالة الإهمال وعدم الاعتناء المبكر بتفاصيل ولادة عظماء البشر، والاعتناء المتأخر بهذه الجزئيات جاء كمحاولة من بعضهم لإرساء أهمية قد تعطي لها قيمة ترفع اللوم عن إهمال من تقدَّم في ضبط هذه الجزئيات رغم أنَّ إهمال المتقدِّمين لهذه القضايا نابع من عدم رؤية قيمة معرفية لها، فهي لون من الترف المعرفي، ولا يُعدُّ القول بأنَّ (الاشتغال بهذه الأمور حرفة من لا حرفة له)، ضرباً من التحامل طالما لم تستبن قيمها وأهميتها، نعم في مثل هذا الوقت تدخل في عداد الاعتناء وإحياء ذوي المآثر، ولها قيمة علمية تكمن في ربط تفاصيل الحدث، وتسلسل الوقائع، وجديتها، وللناس فيما يعشقون مذاهب.

والملفت أنَّ الالتزام الاجتماعي المترتِّب علىٰ هذه الأمور الجزئية نسبي إضافي فتعني شيئاً عند قوم ولا تعني شيئاً عند آخرين، بل عند من يعتني بها، تارة تخبو جذوتها وتشتعل تارة أخرىٰ، تخبو فيكاد يلمس أهلها عبء

أمرها، تشتعل وكأنَّها حدث الساعة ووجدان الآباء والأزواج خير شاهد، فقد يأتي وقت تمر به ذكرىٰ أولادهم وكأن شيئاً لم يكن.

لكن هوس الأقلام بصناعة الحدث والإثارة وحماستها لمثيرات النظر، أطعم الأحرف هوامش التاريخ وأعطاها زخماً أكثر من واقعها، وهذا مما لا ينبغي أن يكون ولا تذهب بك المذاهب ذات اليمين وذات الشمال، فإنَّ من هوامش التاريخ أحداثاً لها قيمتها في الأديان، وعند العقلاء وذلك فيما لو ارتبطت بقضية دينية أو مقصد عقلاني.

فمثل مواليد الأنبياء، وأحداث ولادتهم يعد في التدوين حدث هامشي يأخذ قيمته التاريخية من مستقبل أيام الوليد لكنه حين الولادة يبقىٰ مما لا يعتنىٰ بتدوينه، حتّىٰ من يعلم بأنَّ الوليد نبيٌّ، لا يولي أمر ولادته اهتماماً بالغاً فضلاً عن أن يعنىٰ بها عناية مؤرِّخ رصين، ولكن حينما تظهر له آثار ذلك الوليد، يولع بكل صغيرة وكبيرة في حياة هذا الوليد، ومع ذلك لا يجعل أمر ولادته محور الأيام، فالبحث في شؤون ولادة من يُعرَف مستقبله، يتأثر كثيراً بحسب نظرة الباحث ومصالحه فيسخّر كل شيء لهدفه وبكل شكل ممكن - فإنَّ الباحث قد يعلم أنَّ حدث الولادة ليس بالأمر الهامشي، بل هو عين مبدأ انفجار التاريخ لكنه حدث لا يصب في مصلحته ولا ينسجم مع رغباته كما في ولادة إبراهيم الخليل وموسىٰ الكليم عليهما السلام، فلاحظ كيف كانتا ذواتا أحداث مفصلية، فنمرود وفرعون استنفرا كل مقدراتهما من أجل منع هذه الولادة - ومن لا يعلم بمآل هذه الشخصيات لم تكن لتعني له تلك الولادة شيئاً.

وقضية ولادة الإمام عليه السلام لها شبهٌ بالولادتين، ولها امتياز عنهما فجلّ الناس لا تعني لهم تلك الولادات شيئاً، ومن يعنىٰ بأمرها فهم طوائف وفئات.

فطائفة تريد معرفة الأمر كي تقضي علىٰ الوليد لأمر ما، وتطفي أمره بكل حال وعلىٰ جميع الأصعدة.

وطائفة تريد الحفاظ عليه لأمر ما.

وطائفة متفرِّجة تستمع بالأخبار ويغريها فضولها بتزويق الأخبار لتكون مادة مشوِّقة تصلح للسمر وما شابه.

وبين الجميع طائفة رابعة مشفقة علىٰ نفسها، محبة، لا تملك معرفة وليس لها قدرة علىٰ فعل شيء، فهي تتلهف لكل كلام ولا تميز وجهه.

وبين أعين الكل حق وحقيقة وهي المهم!

فمن يرد أن يطفئ نور الله يسعَ للقضاء علىٰ شخص الإمام، ومع العجز عن ذلك يجهد في كتم الحق، وتزييف الحقائق وتشويه الأخبار، وهذه الأساليب لا حاجة للبرهنة عليها، فكل شخص يكاد يراها بشكل يومي في حياته، والكثير من المؤرخين اعتادوا الكتابة من منطلق المصالح إذ كانت مهنتهم، أو كان لديهم انتماءات انحازوا إليها، فما كتبوه مشوب بالانحياز المعرفي، قلَّما تجد قلماً قد سلم من صاحبه.

ومن يرد الحفاظ علىٰ نور الله، تره يسير بحسب نهج رسل الله فترىٰ في تاريخ الأديان أنَّ الرسل والأنبياء استعملوا التقية ومداراة الناس ما أمكنهم ذلك حتّىٰ يسلموا من القتل والكيد، وطبيعي في مثل هذه الحال أن يتكتموا ويأخذوا حذرهم بأشد ما يمكن، في مثل هذه الظروف يكون السكوت وتورية الحدث من الضروريات، وإن كان من الضروري أيضاً بيان أصل الموضوع في بعض الحالات، وشواهد هذا المعنىٰ موجودة في الآيات والأخبار فلاحظ سيرة الأنبياء والرسل ترىٰ صحة هذا القول.

وهل المنتفع من الحدث يمكنه صنعه من غير أساس واقعي له؟

من حيث الإمكان العقلي ممكن ولكن من جهة المعطيات الخارجية فغير ممكن كما سيأتي بشكل مجمل.

والمتفرِّج يتابع بشغف الأخبار ويملكها بما يهوىٰ ويروق لكنه في أصل

المعنىٰ ينشد الواقع كي لا يفقد قيمته كمصدر للخبر أو التصدر في الناس وهي مصداقية لها اعتبارها، وهذا النوع من الناس ليس بالقليل حتّىٰ في الحاضر.

والغالب من الناس من يتطلَّع لما لدىٰ غيره من إخبار أو معرفة يملي بها فارغ عقله وهباء عمره، وقد يدري أنَّ مصادر المخبرين مزوقة ذات مصالح خاصة غير مرئية، أو أنَّ مصادرهم مما لا يعنىٰ بها، لكن لأنَّ لدىٰ هؤلاء المتحدِّثين ما يشتهيه السامع فيقبل كلامهم، وفن هؤلاء يعتمد علىٰ قرن الأخبار بأمور أخرىٰ تعجب المستمع وتأخذ بلبِّه، وكثيراً ما تبتني صناعة الإعلان علىٰ هذا اللون من المحتوىٰ يقدِّم شيئاً ويطعم شيئاً آخر، لذا ترىٰ الجمال يقدم وَهمَ الحدث بلباس الحقيقة.

والحقيقة أنَّ صناعة الانحياز المعرفي فن قديم، ذو تأثير كبير وتكلفة قليلة، وتلتقي مخرجاته مع المصالح، والانتماء وهما رباط وثيق يلوي الحقيقة....

فلو نظر ناظر إلىٰ قضية ولادة الإمام المهدي المنتظر عجل الله فرجه لرأىٰ - إلىٰ اليوم - تلك الحالات تحوط أخباره، وأيامه.

فناصبة تسعىٰ من قبل أيامه في إطفاء نوره علىٰ جميع الأصعدة، فمحاولات القتل وتزييف الحقائق وإثارة فضول الجهل - علماً وعملاً - بالدين وبتاريخه أبرز أساليبهم إلىٰ اليوم.

وأهل مصالح تحاول أن تستفيد من أخباره في تحقيق طموحها - وما ظهور الحراك باسم المهدي إلّا شاهد علىٰ هؤلاء - ولكن تُرىٰ هل يمكن أن يصوغ هؤلاء كل ما ورد في شأن المهدي عجل الله فرجه؟!

من المستحيل ذلك - عادة - لأنَّ ما ورد في شأنه عجل الله فرجه سبق طموح الطامحين بقرون، وفاق عقول المدبرين بدهور، وأبان عوار المدعين ببيان لا يتسنىٰ طمسه، فحُدد شخص الإمام، ونسبه، وصفته، وشاكلة أتباعه - في زمن حضوره وغيبته -، ورسمت سيرتهم، وأسست ضمائرهم بما يحكي

مراسم أخلاقه ويبدي شعائر دينه، وبذلك تتجلّىٰ معالم الآتي من أيامه في حاضر محبيه ومواليه.

فإذا نظر العقل لمجموع ما تقدَّم فإنَّه يسلِّم - في الجملة - بأنَّ مقدار الأخبار الموجودة اليوم - والتي ستصاب في مستقبل أيامها بمحاولات تلوين عسىٰ ولعل أن تذهب من الأذهان أو تبقىٰ كأسطورة - مما يستحيل عادة اختلاقها، فهي أخبار تتَّسق مع أدبيات العقول -، ومن أدبياتها ما لم تدركه البشر في سابق أيامها كتوق العقول إلىٰ الإتقان والعصمة في إنجازاتها، فإنَّك ترىٰ مسارعة العقول إلىٰ محو هامش الخطأ فيما تصنع، فكيف بمن أتقن كل شيء خلقه - وتتوافق مع أسس الشريعة وتجلياتها -، ومن أسسها وتجلياتها ظهور وثبات الحكمة في التشريع علماً وعملاً، وهذا ما لا يتسنّىٰ لغير مَن جعله الله خليفة دون سواه، فإنَّ غاية قدرة المكلف ظواهر يراها قد شيبت حقائقها بقلة درك المكلف وسوء تقديره، بينما ترىٰ الأخبار التي تصف شأن المهدي عجل الله فرجه تصف نتائج التشريعات التي لو أخذ بها الإنسان لاستقام حسن الكون وبان جماله - وتنسجم مع ألوان الفطرة تلك الأساسات التي تعنىٰ بتوافر إمكانية التكامل والكمال، وتسد عثرات الإنسان في سيره وسيرته، هكذا نسيج لا يمكن لبشر أن يحققه واقعاً وقد وردت الأخبار ومن قبلها الآيات تتحدَّث عن سلالة وذرية قد اصطفيت وانتخبت من أجل هذا الدين بها يستدل ويهتدىٰ وعلىٰ يديها تتحقق هذه المنشودة.

فهل ترىٰ عقلاً يهضم دعوىٰ انقطاع سلسلة الهداة وقادة الكمال المنشود؟!

وهل يصح في الدين والحكمة لوثة حمق تهدم بناء الإنسان؟!

وهل تؤسس وتعلو فكرة وعقيدة تعاند الفطرة وتقاتلها؟!

* * *

المعود
ALMAUOOD

# وَهمُ الإمامة المُعَطَّلَة

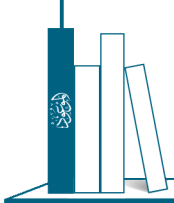

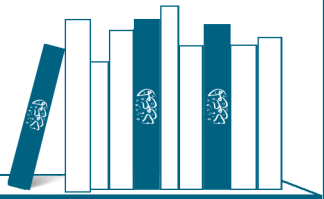

الشيخ حسن الكاشاني

**نبذة:**

اتَّفقت كلمة الشيعة الإمامية منذ القرن الأول إلىٰ اليوم علىٰ أنَّ مقام الإمامة لا يقبل التعطيل بحال من الأحوال، وأنَّ الإمام قائم بأدوار الإمامة والهداية سواء كان علىٰ رأس الأمور في الحكم الظاهر أو مقصياً، ظاهراً أو غائباً، فإنَّ أيَّة صلاحية وولاية هي ترجع إليه في جميع هذه الأحوال.

نعم لإقبال الناس وإدبارهم تأثيرٌ في رعاية السقف الأدنىٰ أو الأعلىٰ من الصلاح.

وهنالك أدلَّة كثيرة تثبت هذا المعتقد الشيعي من العقل والقرآن والسنة المتواترة والمستفيضة.

وقد حصلت الغفلة عن فعلية إمامة الإمام الحي في عصر الغيبة لدىٰ بعضٍ، فأنتجت بعض الظواهر التي توحي إلىٰ وَهم الإمامة المعطَّلة، كما أنَّها لم تتوخّ الدقة اللازمة في بعض العبارات فأوهمت تعطيل مقام الإمامة في عصر الغيبة.

**طرح المسألة:**

مما تميَّزت به مدرسة الإمامية الاثني عشرية هو أنَّ الأرض لا تخلو من إمام حي قائم بالأمر ومتصدٍّ بالفعل لمهام الإمامة وخلافة الله في الأرض، في

حال إقبال الناس إليه أو إدبارهم، وفي حال ظهوره وغيابه، وأنَّه لا تعطيل في الإمامة بحال من الأحوال، وأنَّ عدم قيام الإمام بأدوار الإمامة وعدم تصدّيه لهداية الناس وتدبير أمورهم يوجب بطلان الحجج الإلهية وبيّناتها وزوال الأمن العام في الأرض وسيخها، وهو ينافي ربوبية رب العالمين.

إنَّ تعريف الإمامة ومهامّها عند الإمامية غير معلّق علىٰ التصدي العلني الظاهري للحكم، بل للإمام أساليب أخرىٰ في بسط سيطرته وقيامه بتنفيذ السياسات الإلهية علىٰ وجه الأرض لا تشعر بها الدول والحكومات الوقتية البشرية، نعم تصدّي الإمام لذلك ذو مراتب، فلو أقبل الناس إليه وسلّموا له تسليماً فإنَّه يقوم بالسقف الأعلىٰ من الإصلاح، وأمّا مع إدبارهم فإنَّه لا يترك مهمة الاستخلاف الإلهي التي ألقيت علىٰ عاتقه في حفظ الدين والحجج الوحيانية ومنعه من دروس تمام أعلام الهداية، لكي يهلك من هلك عن بيِّنة وتكون الحجة البالغة لله تعالىٰ علىٰ الخلق، ولا يترك أرض الله أرضية خصبة للطغاة يفعلون فيها ما يشاؤون ويهلكون الحرث والنسل، بل هنالك خطوط حمراء في الدولة الإلهية يقف الإمام وراءها ويمنع من الاقتراب منها، لكونه أمين الله في أرضه وخليفته في بلاده.

**أهمية المسألة:**

وكانت هذه الرؤية المتجذرة في ركيزة الشيعة الإمامية حصناً أمام حصول أيَّة زعزعة في عقيدتهم بأئمتهم في الظروف الصعبة التي كانت تمرّ عليهم، من غصب مقامهم الظاهري وإدبار الناس عنهم، وقتلهم وتشريدهم وحبسهم عليهم السلام، ففي كل هذه الظروف كانوا يعتقدون - ولو تعبُّداً - أنَّ الإمام قائم بأمور الإمامة وهداية البشر عبر ممارسات قد تخفىٰ عليهم أساليبها.

ومن هنا فالغيبة رغم صعوبتها علىٰ الشيعة إلّا أنَّها لم تسبِّب زعزعة عقيدتهم بفعلية إمامة الإمام الحي وتصدّيه لأمور العباد عبر طرق مخفية

وغائبة عنّا، فلم يبحثوا عن بديل لمقام الإمامة ولا للقيام بدور الإمام في الغيبة الكبرىٰ، بل أصرّوا علىٰ أنَّ الحافظ للدين هو الإمام الغائب وتنتهي إليه جميع الصلاحيات والولايات، وكل من يشرع له التصدي للأمور العامة فإنَّما يكون نائباً من قبله (سلام الله عليه).

**رأي الشيعة الأوائل وأصحاب الأئمة عليهم السلام إلىٰ القرن الرابع:**

فَهِمَ الشيعة الأوائل عن أدلَّة الإمامة، أنَّها مقام إلهي لا يقبل التعطيل وأنَّها تبقىٰ علىٰ نشاطها في جميع الظروف المتغيِّرة، سواء كان الإمام مبسوط اليد أو غير مبسوط اليد وسواء كان ظاهراً أو غائباً، وإن كان تختلف أساليب القيام بأدوار الإمامة إلَّا أنَّ الأصل الذي لا يقبل الترديد هو أنَّها فعّالة في جميع الظروف.

وذلك يرجع لوضوح وقوة النصوص القرآنية والروائية الواردة بهذا الصدد، فكانوا يفهمون من قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ (الرعد: ٧) أنَّ كل إمام يقوم بدور الهداية للقرن الذي هو فيه، تصدياً فعلياً مباشراً لا يقبل التعطيل وإن أدبر الناس.

ففي صحيحة بُرَيْدٍ الْعِجْلِيِّ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فِي قَوْلِ اللهِ: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ قَالَ عليه السلام: «رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله الْمُنْذِرُ، وفِي كُلِّ زَمَانٍ مِنَّا هَادٍ يَهْدِيهِمْ إِلَىٰ مَا جَاءَ بِهِ نَبِيُّ اللهِ، ثُمَّ الْهُدَاةُ مِنْ بَعْدِ عَلِيٍّ ثُمَّ الْأَوْصِيَاءُ وَاحِداً بَعْدَ وَاحِدٍ»[1].

صريح الحديث دالٌّ علىٰ التصدي الفعلي للهداية من كلِّ إمام في كلّ زمان، ومعلومٌ أنَّ سنخ هداية الإمام يكون من سنخ الهداية الإيصالية، أي أنَّه يصاحب الناس ويرافقهم في سلوكهم الصراط المستقيم ويرفع عنهم العوائق وينير لهم الدرب ليتمكّنوا من العمل بالهداية الإرائية التي جاء بها النبي صلى الله عليه وآله،

١. بصائر الدرجات: ١/ ٢٩.

فتكون الآية دالة على فعلية تصرف الإمام في أمور العباد والبلاد، سواء كان مصدراً للأمور في الحكم الظاهري البشري أو كان مقصياً ومغيباً.

وروى الصفار والكليني عَنِ الْفُضَيْلِ، قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللهِ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللهِ تَبَارَكَ وتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ قَالَ: «كُلُّ إِمَامٍ هَادٍ لِلْقَرْنِ الَّذِي هُوَ فِيهِمْ»[١].

روى الصفار والكليني عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْقَصِيرِ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فِي قَوْلِ اللهِ تَبَارَكَ وتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ فَقَالَ: «رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله الْمُنْذِرُ وعَلِيٌّ الْهَادِي، واللهِ مَا ذَهَبَتْ مِنَّا ومَا زَالَتْ فِينَا إِلَىٰ السَّاعَةِ»[٢].

وحيث إنَّ أئمة أهل البيت عليهم السلام مرّوا بظروف صعبة في ظل حكومات جائرة وقد أقصوا عن حقهم في التصدي العلني للقيام بأمور الناس، فكانوا يمتحنون شيعتهم في الاعتقاد بعدم تعطيل دور الإمام في القيام بهداية الناس في تلك الظروف والحقبات، كما حصل ذلك لأبي بصير.

فقد روى الصفار والكليني عَنْ أَبِي بَصِيرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام قَالَ: قُلْتُ لَهُ: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ فَقَالَ: «رَسُولُ اللهِ الْمُنْذِرُ وعَلِيٌّ الْهَادِي؛ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ فَهَلْ مِنَّا هَادٍ الْيَوْمَ»؟ قُلْتُ: بَلَىٰ جُعِلْتُ فِدَاكَ مَا زَالَ فِيكُمْ هَادٍ مِنْ بَعْدِ هَادٍ حَتَّىٰ رُفِعَتْ إِلَيْكَ. فَقَالَ: «رَحِمَكَ اللهُ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، ولَوْ كَانَتْ إِذَا نَزَلَتْ آيَةٌ عَلَىٰ رَجُلٍ ثُمَّ مَاتَ ذَلِكَ الرَّجُلُ مَاتَتِ الْآيَةُ مَاتَ الْكِتَابُ ولَكِنَّهُ حَيٌّ جَرَىٰ فِيمَنْ بَقِيَ كَمَا جَرَىٰ فِيمَنْ مَضَىٰ»[٣].

يظهر من الحديث أنَّ الأئمة عليهم السلام كانوا متشدّدين في أن تتجذَّر هذه العقيدة لدى شيعتهم، فيختبر الإمام عليه السلام أبا بصير بذلك، وجواب أبي بصير

١. بصائر الدرجات: ١/ ٣٠؛ والكافي: ١/ ١٩١.
٢. بصائر الدرجات: ١/ ٣٠؛ الكافي: ١/ ١٩٢.
٣. بصائر الدرجات: ١/ ٣١؛ الكافي: ١/ ١٩١.

أيضاً دليل على أنَّ عقيدة الشيعة آنذاك كانت مستقرّةً على أنَّ شأن الهداية الفعلية للإمام لا يقبل التعطيل إلى قيام الساعة.

وقد حدث نظير ذلك لعبد الرحيم بن القصير - على ما رواه العياشي -:

حيث قال: كنت يوماً من الأيام عند أبي جعفر عليه السلام فقال: «يا عبد الرحيم» قلت: لبيك، قال: «قول الله: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ إذ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا المنذر وعلي الهاد، ومن الهاد اليوم»؟ قال: فسكتُّ طويلاً ثم رفعتُ رأسي، فقلت: جعلت فداك هي فيكم، توارثونها رجل فرجل حتى انتهت إليك، فأنت جعلت فداك الهادي، قال: «صدقت يا عبد الرحيم، إنَّ القرآن حي لا يموت، والآية حية لا تموت، فلو كانت الآية إذا نزلت في الأقوام ماتوا فمات القرآن، ولكن هي جارية في الباقين، كما جرت في الماضين»[١].

وفي هذا دلالة على تأكيد الأئمة عليهم السلام وإصرارهم على فعلية الإمامة والتصدي الفعلي من الإمام لهداية الناس في كل عصر وزمان.

روى علي بن إبراهيم القمي (وهو من علماء القرن الثالث الهجري) في تفسيره عَنْ أَبِي بَصِيرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام قَالَ: «الْمُنْذِرُ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وَالْهَادِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام وَبَعْدَهُ الْأَئِمَّةُ عليهم السلام».

ثم علَّق القمي على الحديث وقال: وهو قوله: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ أي في كل زمان إمام هادٍ مبين - وهو رد على من ينكر أنَّ في كل عصر وزمان إماماً - وأنَّه لا تخلو الأرض من حجة، كَمَا قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: «لَا تَخْلُو الْأَرْضُ مِنْ إِمَامٍ قَائِمٍ بِحُجَّةِ اللهِ، إِمَّا ظَاهِرٍ مَشْهُورٍ وَإِمَّا خَائِفٍ مَقْهُورٍ، لِئَلَّا يَبْطُلَ حُجَجُ اللهِ وَبَيِّنَاتُه»[٢].

---

١. تفسير العياشي: ٢/ ٢٠٣.

٢. تفسير القمي: ١/ ٣٥٩.

وهذا الكلام من علي بن إبراهيم صريح في الهداية الفعلية للإمام في كل عصر وأنَّ الغيبة لا تضر بقيام الإمام بهذا الدور، وأنَّ عدم قيام الإمام بهذا الدور حتّىٰ ولو كان من أجل غيبته يؤدي لا محالة إلىٰ بطلان حجج الله وبيناته.

**حفظ الدين وبينات الوحي بالإمام الحي القائم بالأمر:**

يظهر من احتجاجات هشام بن الحكم وغيره من المتكلمين أنَّ ذلك المعنىٰ المشار إليه آنفاً كان شعار الشيعة وكانوا يُعرَفون به، فإنَّهم كانوا يفحمون المخالفين بحجة أنَّ خلوّ الأرض من إمام يكون حاملاً لمجموع علم النبي، يؤدي لا محالة إلىٰ تغيُّب أعلام الهداية وعدم تمكُّن عامة الناس من الاهتداء بهدي القرآن، وأنَّه ينافي اللطف الإلهي الذي عمَّ الخلق ببعثة سيد الرسل، أي إنَّ فقدان الإمام في زمان يساوي زوال الدين وانقضاء أمد الشريعة الختمية، وأنَّ بقاء القرآن والوحي الإلهي وخلود شريعة الإسلام إنَّما هو رهن وجود الإمام الحافظ له في كل زمان.

فعدم الإمام أو عدم تصديه لحفظ الدين حتَّىٰ لو كان ذلك من أجل عدم بسط يده أو غيبته، ينشأ منه بطلان الدين وتعطيل حجج الله وبيناته التي من أعظمها هو القرآن الكريم، كما مرَّ في حديث أمير المؤمنين عليه السلام لكميل بن زياد النخعي وقد رواه علي بن إبراهيم في التفسير والشريف الرضي في نهج البلاغة.

هذا هو مؤدّىٰ احتجاج هشام بن الحكم علىٰ الرجل الشامي الذي احتج عليه بمحضر من الإمام الصادق عليه السلام.

ففي الكافي: ... قَالَ لِلشَّامِيِّ: يَا هَذَا أَرَبُّكَ أَنْظَرُ لِخَلْقِهِ أَمْ خَلْقُهُ لِأَنْفُسِهِمْ؟

فَقَالَ الشَّامِيُّ: بَلْ رَبِّي أَنْظَرُ لِخَلْقِهِ.

قَالَ: فَفَعَلَ بِنَظَرِهِ لَهُمْ مَا ذَا؟

قَالَ: أَقَامَ لَهُمْ حُجَّةً ودَلِيلًا، كَيْلَا يَتَشَتَّتُوا أَوْ يَخْتَلِفُوا، يَتَأَلَّفُهُمْ ويُقِيمُ أَوَدَهُمْ ويُخْبِرُهُمْ بِفَرْضِ رَبِّهِمْ.

قَالَ: فَمَنْ هُوَ؟

قَالَ: رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله.

قَالَ هِشَامٌ: فَبَعْدَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله؟

قَالَ: الْكِتَابُ والسُّنَّةُ.

قَالَ هِشَامٌ: فَهَلْ نَفَعَنَا الْيَوْمَ الْكِتَابُ والسُّنَّةُ فِي رَفْعِ الِاخْتِلَافِ عَنَّا؟

قَالَ الشَّامِيُّ: نَعَمْ.

قَالَ: فَلِمَ اخْتَلَفْنَا أَنَا وأَنْتَ وصِرْتَ إِلَيْنَا مِنَ الشَّامِ فِي مُخَالَفَتِنَا إِيَّاكَ؟

قَالَ: فَسَكَتَ الشَّامِيُّ.

فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ عليه السلام لِلشَّامِيِّ: «مَا لَكَ لَا تَتَكَلَّمُ»؟

قَالَ الشَّامِيُّ: إِنْ قُلْتُ: لَمْ نَخْتَلِفْ كَذَبْتُ، وَإِنْ قُلْتُ: إِنَّ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ يَرْفَعَانِ عَنَّا الِاخْتِلَافَ أَبْطَلْتُ، لِأَنَّهُمَا يَحْتَمِلَانِ الْوُجُوهَ، وإِنْ قُلْتُ: قَدِ اخْتَلَفْنَا وكُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا يَدَّعِي الْحَقَّ فَلَمْ يَنْفَعْنَا إِذَنِ الْكِتَابُ والسُّنَّةُ. إِلَّا أَنَّ لِي عَلَيْهِ هَذِهِ الْحُجَّةَ.

فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ عليه السلام: «سَلْهُ تَجِدْهُ مَلِيّاً».

فَقَالَ الشَّامِيُّ: يَا هَذَا مَنْ أَنْظَرُ لِلْخَلْقِ أَرَبُّهُمْ أَوْ أَنْفُسُهُمْ؟

فَقَالَ هِشَامٌ: رَبُّهُمْ أَنْظَرُ لَهُمْ مِنْهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ.

فَقَالَ الشَّامِيُّ: فَهَلْ أَقَامَ لَهُمْ مَنْ يَجْمَعُ لَهُمْ كَلِمَتَهُمْ ويُقِيمُ أَوَدَهُمْ ويُخْبِرُهُمْ بِحَقِّهِمْ مِنْ بَاطِلِهِمْ؟

قَالَ هِشَامٌ: فِي وَقْتِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله، أَوِ السَّاعَةَ؟

قَالَ الشَّامِيُّ: فِي وَقْتِ رَسُولِ اللهِ، رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله، والسَّاعَةِ مَنْ؟

فَقَالَ هِشَامٌ: هَذَا الْقَاعِدُ الَّذِي تُشَدُّ إِلَيْهِ الرِّحَالُ، ويُخْبِرُنَا بِأَخْبَارِ السَّمَاءِ

والْأَرْضِ وِرَاثَةً عَنْ أَبٍ عَنْ جَدٍّ ...[١].

فإنَّ مركز الخلاف فيما بين هشام والرجل الشامي، إنَّما في وجود وبقاء الحجة بعد رسول الله ﷺ ليحتجَّ بها عند بروز الاختلاف.

والسؤال: هل يمكن للقرآن والسنة الصامتين دون وجود الإمام أن يرفعا الاختلاف؟

الجواب: تارة يوجد شيء فيه قابلية رافعية الاختلاف، لكن يبقىٰ الاختلاف لإدبار الناس عنه، كما لو أرسل الله نبياً فأعرض الناس عنه، وأخرىٰ من أجل عدم وجود ما يصلح لرفع الاختلاف.

ويدَّعي هشام أنَّ الكتاب والسنة الصامتين من دون وجود الإمام الحي هما من القسم الثاني.

وذلك لأنَّ أُفق الوحي فوق أُفق فهم وعقل البشر، ومن ثَمَّ احتاج البشر إلىٰ النبي، إذ لو كان بمستوىٰ عقولهم لما احتاجوا إلىٰ النبي، ومن البديهي أنَّ الحافظ لكل علم لابد وأن يكون بمستوىٰ ذلك العلم، وإلَّا فيتنزل العلم بقدر سعة علم الحافظ، كما أنَّ علم الأستاذ يتنزّل بقدر فهم التلميذ، ولن يحفظ التلميذ من علم الأستاذ إلَّا بمقدار ما وعاه من علمه، وهكذا.

فلو كان الحافظ للوحي هم الصحابة لتنزّل الوحي إلىٰ أُفق الطاقة البشرية، فيتضيَّق لضيق المسار والحافظ.

كيف يكون البشر العادي حاملاً للمعاني والحقائق الوحيانية التي تكون فوق الطاقة البشرية، لاسيما بعد سعيهم في منع تدوين الحديث ورواج سوق الكذابين وغيرها من المؤثرات التي تسلب عن الوحي صفة الحجية الوحيانية.

ففي حالة عدم الإمام المعصوم لا تكون حجية الكتاب والسُنَّة حجية إلهية ووحيانية، بل يكون مستواه مستوىٰ حجية العقل البشري، وهو رجوع

١. الكافي: ج١، ص١٧٢.

عن الحاجة إلىٰ الوحي الذي يفوق عقل البشر، فبقاء الوحي بالبشر لا يفرق عن حالة عدم إرسال الرسول، وذلك للإشكال في المتلقي والحافظ دون المُلقي.

وقد جاء الاستدلال بهذا البرهان أيضاً في مناظرة هشام مع عمرو بن عبيد، حيث قال: إنَّ الجوارح مع أنَّها صحيحة وسليمة إلَّا أنَّها تحتاج للجهة الرقابية المهيمنة عليها، فبالاعتماد عليها أولاً تكتسب الجوارح الحجية ثانياً، ولولا القلب لم يمكن الاعتماد علىٰ الجوارح مع أنَّها تبصر وتسمع وتذوق وتلمس وتتحرك، إلَّا أنَّ العاصم لها عن الخطأ والحافظ لها هو القلب والعقل.

(قال هشام بن الحكم) فقلت له:

ألك عين؟ فقال: يا بني أي شيء هذا من السؤال؟ وشيء تراه كيف تسأل عنه؟ فقلت: هكذا مسألتي، فقال: يا بني سل وإن كانت مسألتك حمقاء، قلت: أجبني فيه، قال لي: سل، قلت: ألك عين؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع بها؟ قال: أرىٰ بها الألوان والأشخاص، قلت: فلك أنف؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع به؟ قال: أشم به الرائحة، قلت: ألك فم؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع به؟ قال: أذوق به الطعم، قلت: فلك أذن؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع بها؟ قال: أسمع بها الصوت، قلت: ألك قلب؟

قال: نعم، قلت: فما تصنع به؟ قال: أميِّز به كلما ورد علىٰ هذه الجوارح والحواس، قلت: أَوَليس في هذه الجوارح غنىٰ عن القلب؟ فقال: لا، قلت: وكيف ذلك وهي صحيحة سليمة، قال: يا بني إنَّ الجوارح إذا شكت في شيء شمته أو رأته أو ذاقته أو سمعته، ردته إلىٰ القلب فيستيقن اليقين ويبطل الشك، قال هشام:

فقلت له: فإنَّما أقام الله القلب لشك الجوارح؟ قال: نعم، قلت: لابد

من القلب وإلّا لم تستيقن الجوارح؟ قال: نعم، فقلت له: يا أبا مروان فالله تبارك وتعالىٰ لم يترك جوارحك حتّىٰ جعل لها إماماً يصحح لها الصحيح ويتيقن به ما شك فيه، ويترك هذا الخلق كلهم في حيرتهم وشكهم واختلافهم، لا يقيم لهم إماماً يردون إليه شكهم وحيرتهم، ويقيم لك إماماً لجوارحك ترد إليه حيرتك وشكك[١]؟!

إنَّ العقل هو الناظوم الذي ينظم إدراكات المحسوسات، فيقارن بين المسموع والمبصر والملموس وغيرها، ثم يقارنه بالإدراك العقلي، ومن هنا لا يقارَن الإدراك الحسي للإنسان بالإدراك الحسي للحيوان أو المجنون، فعدم رقابة العقل علىٰ المدركات الحسية في الحيوان يعرّضه للخطأ في نفس المحسوسات، ولا يمكن أن يكون حافظاً وقيّماً علىٰ المدركات الحسية الإنسانية.

إنَّ رقابة العقل علىٰ المدركات الحسية تُصعِّد درجة حجية الإدراك المحسوس إلىٰ درجة الحجيّة العقلانية. كذا في الوحي الذي هو فوق إدراك العقل، فلا يمكن أن يوكل إلىٰ الإنسان بما له من العقل مهمة حفظ الوحي، من دون الرقابة الوحيانية المتمثلة في الإمام، لأنَّ فهمه يقصر عن ذلك، وأمّا بعد رقابة الإمام وهو حامل لروح القدس ووارث للكتاب المبين، فتصعد درجة حجيتهم إلىٰ الحجية الوحيانية، فالذي يضفي للقرآن والسُنة والدين والشريعة صفة الوحيانية إنَّما هو رقابة الإمام وإشرافه وحفظه ورعايته[٢].

ومن نتائج القول بفعلية إمامة الإمام الحي هو لزوم رجوع جميع الصلاحيات والمناصب الولائية إليه (سلام الله عليه)، فهو مصدر شرعية أيَّة ولاية أو حكم ثبتت لأيٍّ واحد من الناس، سواء كان صاحب الولاية فقيهاً أو لم يكن، كعدول المؤمنين، فتكون ولايتهم نيابية عن الإمام الحي القائم بالأمور.



١. الكافي: ج١، ص١٧٠.

٢. راجع كتاب (دروس في عقائد الإمامية) للكاتب: ٢٤٦.

**كلمات أعلام الطائفة من القرن الخامس:**

١ – قال الشيخ المفيد (المتوفىٰ ٤١٣) في المقنعة:

ومن تأمَّر علىٰ الناس من أهل الحق بتمكين ظالم له وكان أميراً من قبله في ظاهر الحال، فإنَّما هو أمير في الحقيقة من قبل صاحب الأمر الذي سوغه ذلك وأذن له فيه، دون المتغلب من أهل الضلال... ومن لم يصلح للولاية علىٰ الناس لجهل بالأحكام أو عجز عن القيام بما يسند إليه من أمور الناس، فلا يحل له التعرض لذلك والتكلُّف له، فإنَّ تكلَّفه فهو عاصٍ غير مأذون له فيه من جهة صاحب الأمر الذي إليه الولايات، ومهما فعله في تلك الولاية فإنَّه مأخوذ به محاسب عليه ومطالب فيه بما جناه[1].

ترىٰ العبارة صريحة جداً في أنَّ ولاية الإمام الغائب عجل الله فرجه لا تزول بغيبته، وأنَّ من له الولاية في شؤون الناس فإنَّما ترجع شرعيته للإمام الغائب ونيابته عنه، ولا مصدر لشرعية الولايات سواء للفقيه أو لغير الفقيه في عصر الغيبة إلَّا من قبله عجل الله فرجه، فهو الحاكم الفعلي المنصوب من قبل الله تعالىٰ، ولا ولاية ولا حاكمية إلَّا ولابد أن ترجع إليه.

٢ – السيد المرتضىٰ (المتوفىٰ ٤٣٦هـ): وهو من أعاظم متكلمي الشيعة في القرن الرابع والخامس وتلميذ الشيخ المفيد، ادَّعىٰ إجماع الطائفة والمذهب علىٰ أنَّ حجية التراث الحديثي الواصل إلينا إنَّما لأجل وجود الإمام الحي الحافظ لها، فالحجة هو الإمام الحي وبحجيته تتم حجية الأحاديث.

قال رحمه الله: (إنَّ الفرقة المحقّة القائلة بوجود إمام حافظ للشريعة هي عارفة بما نقل من الشريعة عن النبيّ صلى الله عليه وآله وما لم ينقل عنه، فبما نقل عن الأئمة القائمين بالأمر بعده عليهم السلام، وواثقة بأنَّ شيئاً من الشريعة يجب معرفته لمن لم يخل به من أجل كون الإمام من ورائها).

---

١. المقنعة: ٨١٢.

بل ادَّعىٰ أنَّه لا يعوَّل علىٰ النقل المتواتر لبقاء القرآن ولبقاء الدين بوصف كونه وحياناً، إلَّا إذا كان تحت رعاية مباشرة من الإمام، وذلك لأنَّ الناقلين ولو تعدّدوا وتكثّروا إلَّا أنَّهم لا ينقلون إلَّا ما وعوه وتحمّلوه من المعلومات، فإذا فرضنا أنَّ واقع المعطيات الوحيانية فوق عقول جميع الناقلين ولم يكن علم جميعهم في قباله إلَّا قطرة في محيطات البحار، فلا يمكن أن نعوّل لبقاء تلك المعطيات الوحيانية بنقلهم، فإنَّ ما نقلوه وإن كانت حجة إلَّا أنَّ حجيته حجية بشرية بمقدار وعيهم البشري لا بمقدار عظمة المعطيات الوحيانية.

قال رحمه الله في الرد علىٰ القاضي عبد الجبار المعتزلي حيث زعم أنَّ وجود التواتر يغني عن الإمام في حفظ الدين:

(فأمّا إلزامك تجويز حفظها بالتواتر علىٰ حدٍّ ما كانت تصل الأخبار في حياة الرسول صلى الله عليه وآله إلىٰ من غاب عنه فقد رضينا بذلك، وقنعنا بأن نوجب في وصول الشريعة إلينا بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله ما نوجبه في وصوله إلىٰ من غاب عنه حال حياته، لأنّا نعلم أنَّها كانت تصل إلىٰ من بَعُدَ عنه صلى الله عليه وآله بنقل وهو عليه السلام من ورائه، وقائم بمراعاته، وتلافي ما ثلم فيه من غلط وزلل، وترك الواجب، فيجب أن يكون من وراء ما ينقل إلينا بعد وفاته من شريعته معصوم يتلافىٰ ما يجري في الشريعة من زلل وترك الواجب كما كان ذلك في حياته وإلَّا فقد اختلف الحال، وبطل حملك أحدهما علىٰ الأخرىٰ.

فأمّا قولك: (لزمهم إثبات حجّة وهو عليه السلام حيّ) فعجيب، وأي حجّة هو أكبر من النبي المعصوم المؤيّد بالملائكة والوحي صلى الله عليه وآله ؟!

وكيف تظنّ أنّا إذا أوجبنا أن يكون وراء المتواترين حجّة أن لا نكتفي بالنبي صلى الله عليه وآله وهو سيّد الحجج في ذلك).

وكرّر رحمه الله أنَّ بقاء القرآن والدين ليس بالتواتر ولا نقل الرواة إلَّا بعد

كـون الإمـام مـن ورائـه، إلىٰ أن قـال في نهايـة المطـاف:

فقـد بيَّنـا أنَّـا قـد عرفنـا أكثـر الشريعـة ببيـان مَـنْ تقـدَّم مـن آبائـه عليهم السلام، غـير أنَّـه لا نقـضي الغنـىٰ في الشريعـة مـن الوجـه الـذي تـردد في كلامنـا مـراراً.

وقال أيضاً:

فأمّـا هـذه الطريقـة التـي حكيتهـا آنفـاً فترتيـب الاسـتدلال بهـا عـلىٰ خـلاف مـا رتبتـه وهـو أن يقـال: قـد علمنـا أنَّ شريعـة نبيّنـا صلى الله عليه وآله مؤبـدة غـير منسـوخة، ومسـتمرة غـير منقطعـة، فـإنَّ التعبُّـد لازم للمكلّفـين إلىٰ أوان قيـام السـاعة، ولابـدّ لهـا مـن حافـظ، لأنَّ تركهـا بغـير حافـظ إهمـال لأمرهـا، وتكليـف لمـن تعبَّـد بهـا ما لا يطـاق، وليـس يخلـو أن يكـون الحافـظ معصومـاً أو غـير معصـوم، فـإن لم يكـن معصومـاً لم يؤمـن مـن تغيـيره وتبديلـه، وفي جـواز ذلـك عليـه - وهـو الحافـظ لهـا - رجـوع إلىٰ أنَّهـا غـير محفوظـة في الحقيقـة، لأنَّـه لا فـرق بـين أن تحفـظ بمـن جائـز عليـه التغيـير والتبديـل والزلـل والخطـأ وبـين أن لا تحفـظ جملـة إذا كان مـا يـؤدي إليـه القـول بتجويـز تـرك حفظهـا يـؤدي إليـه حفظهـا بمـن ليـس بمعصـوم، وإذا ثبـت أنَّ الحافـظ لابـدّ أن يكـون معصومـاً اسـتحال أن تكـون محفوظـة بالأُمّـة وهـي غـير معصومـة، والخطـأ جائـز عـلىٰ آحادهـا وجماعتهـا، وإذا بطـل أن يكـون الحافـظ هـو الأُمَّـة فلابـدّ مـن إمـام معصـوم حافـظ لهـا.

وهـذا عـلىٰ خـلاف مـا ظنَّـه صاحـب الكتـاب، لأنَّ مـن أحسـن الظـنّ بأصحابنـا لا يجـوز أن يتوهـم عليهـم الاسـتدلال بهـذه الطريقـة مـع تصريحهـم في إثباتهـا بـما يوجـب الاختصـاص بشريعتنـا هـذه عـلىٰ وجـوب الإمامـة في كلّ عـصر وأوان، وقبـل ورود الـشرع[1].

٣ - وقال في الذخيرة:

دليـل آخـر عـلىٰ وجـوب الإمامـة: قـد اسـتدل أصحابنـا عـلىٰ وجـوب

١. الشافي في الإمامة: ج١، ص١٧٩-١٨١.

الإمامة بعد التعبد بالشرائع: أنَّ شريعة نبينا ﷺ قد ثبت أنَّها [مؤبدة] غير منسوخة ولا مرفوعة إلىٰ يوم القيامة، فلابدّ لها من حافظ، لأنَّه لو جاز أن يخلىٰ من حافظ جاز أن يخلىٰ من مؤدٍّ، فما اقتضىٰ وجوب أدائها يقتضي وجوب حفظها، ولابدّ أن يكون حافظها معصوماً ليؤمن عليه الإهمال ونثق بحفظه، كما لابدّ في مؤدِّيها من أن يكون بهذه الصفة، وهذا يوجب ثبوت الحافظ المعصوم في كل حال، فإذا قيل: من أيّ شيء يحفظ الشريعة؟

قالوا: من الإضاعة والتغيير والتبديل.

فإن قيل: النقل المتواتر يحفظ به الشريعة.

قالوا: النقل المتواتر إنَّما يوجب العلم إذا وقع وحصل، وقد يجوز أن يقع العدول عنه لشبهة أو عمد، وقد يجوز فيما نقل بالتواتر أن يضعف نقله فيصير في الآحاد الذين لا حجة في نقلهم، فلابدّ من تجويز ما ذكرناه من الحفظ الذي يؤمن منه كل ذلك.

وإذا قيل لهم: جوّزوا أن يكون إجماع الأُمَّة يحفظ الشريعة.

قالوا: الإجماع أيضاً كما يجوز أن يقع يجوز أن يرتفع، فمن أين لابدّ من ثبوته في كل حكم من أحكام الشريعة، علىٰ أنّا بالامتحان نعلم أنَّ الإجماع في الشريعة علىٰ القليل والاختلاف في الكثير.

وبعد، فإذا لم يثبت وجود إمام معصوم في كل زمان، لا يكون الإجماع حجة ولا فيه دلالة، لأنَّ العقل يجوّز الخطأ علىٰ الأُمَّة فرادىٰ ومجتمعين، فليس في السمع الذي يدَّعىٰ من قرآن ولا خبر ما يؤمن من اجتماعهم علىٰ الخطأ[1].

٤ - وقال الشيخ الطوسي (المتوفىٰ ٤٦٠هـ) في تلخيص الشافي:

(دليل آخر) [علىٰ وجوب الإمامة. وهو: أنَّ الشريعة مؤبدة، فلابد لها

١. الذخيرة في علم الكلام: ص٤٢٤.

من حافظ] وهو أنَّه قد ثبت أنَّ شريعة نبيّنا عليه وآله السّلام مؤبدة، وأنَّ المصلحة لها ثابتة إلىٰ قيام الساعة لجميع المكلفين. وإذا ثبت هذا فلابدّ لها من حافظ، لأنَّ تركها بغير حافظ إهمال لها، وتعبّد للمكلفين بما لا يطيقونه ويتعذر عليهم الوصول إليه. وليس يخلو الحافظ لها من أن يكون: جميع الأُمّة أو بعضها. وليس يجوز أن يكون الحافظ لها الأُمّة لأنَّ الأُمّة يجوز عليها السهو والنسيان وارتكاب الفساد والعدول عما علمته. فإذن: لابدّ لها من حافظ معصوم يؤمن من جهته التغيير والتبديل والسهو، ليتمكّن المكلفون من المصير إلىٰ قوله. وهذا الإمام الذي نذهب إليه. [الشريعة لا تحفظ بالتواتر لاحتمال الخطأ فيها المتسرب من احتمال الخطأ في الأفراد].

فإن قال قائل: ما أنكرتم أن تكون الشريعة تصير محفوظة بالتواتر - وهم الذين ينقطع بنقلهم العذر وتكون الحجة قائمة فيما نقلوه - وهؤلاء لا يجوز عليهم السهو والنسيان، لأنَّ العادة مانعة أن يشتمل الخلق العظيم والجم الغفير السهو، أو يلحقهم النسيان. وإذا لم يكن هذا جائزاً عليهم بطل ما جعلتموه وجها للحاجة إلىٰ الإمام.

قيل له: السهو - وإن لم يكن جائزاً علىٰ الخلق العظيم والجمّ الغفير - فإنَّما لم يجز في حالة واحدة وفي حال اجتماعهم، وليس يمتنع حصول السهو لكل واحد منهم بانفراده، وفي حال يكون الآخرون فيها ذاكرين. وكذلك يسهو الآخرون حالاً بعد حال، إلىٰ حد لا ينقطع به العذر، وتنقطع به الحجة وينتهي الأمر إلىٰ حافظ لا يجوز عليه ما جاز عليهم. وفي هذا إسقاط السؤال[1].

٥ - قال ابن البراج في المهذب (المتوفىٰ ٤٨١ هـ):

إذا استخلف السلطان الجائر إنساناً من المسلمين، وجعل إليه إقامة

١. تلخيص الشافي: ج١، ص١٣٣.

الحدود، جاز أن يقيمها بعد أن يعتقد أنَّه من قِبَل الإمام العادل في ذلك وأنَّه يفعل ذلك بإذنه لا بإذن السلطان الجائر[١].

هنا يؤكّد ابن البراج أنَّ أيَّة ولاية لأيِّ إنسان حتّىٰ ولو لم يكن فقيهاً لا يكون إلَّا من قبل الإمام الحي الذي يكون مصدراً لجميع الولايات، وهو صريح في فعلية ولاية الإمام وقيامه بالأمور.

٦ – وقال ابن إدريس الحلي (المتوفىٰ ٥٩٨هـ):

فإن تعذر تنفيذها بهم عليهم السلام وبالمأهول لها من قبلهم لأحد الأسباب، لم يجز لغير شيعتهم المنصوبين لذلك من قبلهم عليهم السلام تولي ذلك... ولا لمن لم يتكامل له شروط النائب عن الإمام عليه السلام في الحكم من شيعته... وعليه متىٰ عرض لذلك أن يتولّاه لكون هذه الولاية أمراً بمعروف، ونهياً عن منكر، تعين غرضهما بالتعريض للولاية عليه، وهو أن كان في الظاهر من قبل المتغلّب، فهو في الحقيقة نائب عن ولي الأمر عليه السلام في الحكم، ومأهول له لثبوت الإذن منه ومن آبائه عليهم السلام لمن كان بصفته في ذلك، فلا يحلّ له القعود عنه، وإن لم يقلد من هذه حاله النظر بين الناس، فهو في الحقيقة مأهول لذلك بإذن ولاة الأمر عليهم السلام وإخوانه في الدين مأمورون بالتحاكم إليه[٢].

٧ – و قال ابن ميثم البحراني (المتوفىٰ ٦٧٩هـ):

(الوجه الثاني) في أنَّ الشريعة التي جاء بها الرسول صلى الله عليه وآله واجبة علىٰ جميع المكلفين إلىٰ يوم القيامة، فلابد لها من حافظ ينقلها إليهم من غير تغيير ولا تحريف، وإلَّا لكان التكليف بها تكليفاً بما لا يطاق، فذلك الناقل يجب أن يكون معصوماً وإلَّا لجاز فيها التغيير والتحريف وقد أبطلنا، فذلك الحافظ المعصوم إمّا مجموع الأُمَّة أو آحاد بعض منها، والأول باطل لأنَّ عصمة مجموع الأُمَّة

١. المهذب لابن براج: ١/ ٣٤٢.

٢. السرائر لابن إدريس: ٣/ ٥٣٧-٥٣٩.

إنَّما تعلم بالنقل، فهي مشروطة بصحته، فلو جعلنا النقل مشروطاً بصحة عصمتهم لزم الدور وأنَّه محال، فتعيَّن الثاني وهو مرادنا بالأئمة المعصومين. لا يقال: لم لا يجوز أن تبقىٰ محفوظة بنقل أهل التواتر.

سلَّمناه، لكن إنَّما تكون محفوظة بنقل الناقل المعصوم أن لو كان ذلك الناقل بحيث يرىٰ ويستفاد الشريعة منه، أمّا إذا لم يكن كذلك فلا. لأنّا نجيب عن الأول: أن نقل أهل التواتر إنَّما يحفظ ما نقلوه ويدل علىٰ صحته فأمّا لا يدل علىٰ أن الذي لم ينقلوه لم يوجد فأين أحد البابين من الآخر. وعن الثاني: لا نسلم أنَّها لا تكون محفوظة بالناقل المعصوم إلَّا إذا كان بحيث يرىٰ، فإن عندنا أن الشريعة محفوظة في زمان غيبته، وهي التي في أيدينا لم يفت منها شيء، فإذا اختلت وجب ظهوره لبيانها[١].

٨ و٩ - قال الشهيد الأول (الشهيد ٧٨٦هـ) والشهيد الثاني (الشهيد ٩٦٦هـ) في مصرف الخمس:

(ثلاثة) منها (للإمام عليه السلام) وهي سهم الله ورسوله وذي القربىٰ وهذا السهم وهو نصف الخمس (يصرف إليه إن كان حاضراً أو إلىٰ نوابه) وهم الفقهاء العدول الإماميون الجامعون لشرائط الفتوىٰ، لأنَّهم وكلاؤه... ما دام (غائباً)[٢].

فقد جعل ولاية الفقيه في أخذ الخمس والتصرف فيه من باب الوكالة عن الإمام الغائب عليه السلام، لا أنَّهم مستقلون فيها.

١٠ - العلامة الحلي (المتوفىٰ ٧٢٦هـ):

قال في شرح كلام الخواجة نصير الدين الطوسي (المتوفىٰ ٦٥٣هـ) في التجريد (وجودُه لطفٌ، وتصرفه آخر، وعدمه منّا)[٣].

---

١. قواعد المرام: ص١٧٩.

٢. الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية: ١/ ١٣٧.

٣. تجريد الاعتقاد لخواجة نصير الدين الطوسي: ٢٢١.

قالوا: الإمام إنَّما يكون لطفاً إذا كان متصرفاً بالأمر والنهي، وأنتم لا تقولون بذلك، فما تعتقدونه لطفاً لا تقولون بوجوبه وما تقولون بوجوبه ليس بلطف.

والجواب: أنَّ وجود الإمام نفسه لطف لوجوه: أحدها: أنَّه يحفظ الشرائع ويحرسها عن الزيادة والنقصان. وثانيها: أنَّ اعتقاد المكلفين لوجود الإمام وتجويز إنفاذ حكمه عليهم في كل وقت سبب لردعهم عن الفساد ولقربهم إلىٰ الصلاح، وهذا معلوم بالضرورة[1].

فقد يتوهَّم من كلام الخواجة ﷺ أنَّه بصدد نفي مطلق تصرفات الإمام في غيبته، إلَّا أنَّ العلّامة الحلي ﷺ بيَّن أنَّه ليس هذا مقصود الخواجة، فلم ينف العلّامة مطلق تصرفات الإمام في غيبته، بل قال إنَّه يتصرّف في حفظ الدين والشرائع عن الزيادة والنقصان، مع أنَّ الاعتقاد به والبيعة معه موجبة لصلاح البشر وهو معلوم بالضرورة، والبيعة لا تكون إلَّا مع المتصدي الفعلي القائم بالأمور كما سيأتي. فالمراد من التصرفات المنفية في الغيبة هو السقف الأعلىٰ منها دون مطلق التصرفات المستلزم لتعطيل الإمامة في الغيبة.

١١ - قال المحقق الكركي (المتوفىٰ ٩٤٠هـ):

اتَّفق أصحابنا (رضوان الله عليهم) علىٰ أنَّ الفقيه العدل الإمامي الجامع لشرائط الفتوىٰ، المعبر عنه بالمجتهد في الأحكام الشرعية نائب من قبل أئمة الهدىٰ (صلوات الله وسلامه عليهم) في حال الغيبة في جميع ما للنيابة فيه مدخل - وربما استثنىٰ الأصحاب القتل والحدود مطلقاً...[2].

١٢ - قال صاحب الجواهر (المتوفىٰ ١٢٦٦هـ):

والأحسن... حمل... نصوص الجواز علىٰ الولاية علىٰ المباح، كجباية الخراج ونحوه مما جوز الشارع معاملة الجائر فيه معاملة العادل، بل ستسمع



١. كشف المراد للعلامة حسن بن يوسف المطهر الحلي: ١٨٣.

٢. رسائل المحقق الكركي (رسالة في صلاة الجمعة): ١٤٢.

إن شاء الله فيما يأتي أنَّ المشهور بين الأصحاب وجوب معاملته بالنسبة إلىٰ ذلك... وأنَّ الدخول والتناول ونحوهما إنَّما كان بالإذن من الإمام العادل في زمن الغيبة، وقصور اليد رأفة علىٰ المؤمنين ورفعاً للضيق والحرج في هذا الزمان، ونحوه من أزمنة التقية[١].

١٣ - قال الشيخ الأنصاري (المتوفىٰ ١٢٨١هـ):

كما اعترف به جمال المحقّقين في باب الخمس بعد الاعتراف بأنَّ المعروف بين الأصحاب كون الفقهاء نوّاب الإمام عليه السلام[٢].

والمتحصل من كلمات الأعلام منذ القرن الأول إلىٰ اليوم أنَّ فاعلية ولاية الإمام الحي في كل زمان لا تقبل التعطيل، وأنَّه هو الحافظ لدين وللقرآن المجيد، وأنَّه الراعي لأهل كل زمان وهاديهم بالهداية الإيصالية عبر طرق قد تخفىٰ علينا، وأنَّه مصدر جميع الولايات والشرعيات، فلا يوجد مبدأ آخر لشرعية الولاية لأحد يكون في عرضه (سلام الله عليه)، كما أنَّ حفظ الدين وبقاء الوحي لا يكون إلَّا بحفظه ورعايته في كل عصر وزمان، وليست الرواة والفقهاء والمحدثون وغيرهم إلَّا أدوات لا تتم حجيتهم إلَّا إذا كان الإمام من ورائهم حافظاً وراعياً، وإلَّا يكون عملهم في حفظ الدين كالمدركات الحسية للإنسان إذا لم يكن وراءها عقل يقيمها ويرعاها ويتلافىٰ خطأها وشكّها.

**الأدلة علىٰ فعلية الإمامة في كل زمان وأنَّها لا تقبل التعطيل:**

يمكن تلخيص الأدلة علىٰ فعلية إمامة الإمام الحي في كل زمان كالتالي:

**١ - برهان الحفظ:**

إنَّ الوحي الإلهي المتمثّل بما علَّمه الله تعالىٰ لنبيِّه صلى الله عليه وآله من خلال القرآن

١. جواهر الكلام (ط. القديمة): ٢٢/ ١٦٢.

٢. المكاسب: ٣/ ٥٥٩؛ وراجع حاشية الروضة لجمال الدين: ٣٢٠، ذيل عبارة الشهيد: أو إلىٰ نوّابه وهم الفقهاء.

تنزيله وتأويله، لا يمكن أن يبقىٰ إلَّا بوجود حافظ يكون علمه كعلم النبي، فإنَّ العلم يموت بموت حامليه[١]، وأنَّ علم جميع الصحابة والتابعين والفقهاء وغيرهم لا يبلغ عُشر معشار ما أوحىٰ الله تعالىٰ إلىٰ نبيه ﷺ.

فنحن أمام خيارين لا ثالث لهما: إمّا أن نلتزم بوجود من يحفظ الوحي الإلهي كما أُنزل، ويكون مشرفاً علىٰ الدين كلّه، وتكون وحيانية الدين وإمكان إسناده إلىٰ الله من أجل تقريره وتأييده وإشرافه وهيمنته، وإمّا نقول بزوال الوحي وبطلان الحجج الوحيانية، وذلك لأنَّ الحافظ لكل شيء إنما يحفظ من ذلك الشيء بمقدار ما يعيه ويفهمه، فمع قصور علم البشر عن بينات الوحي، يكون حفظ الوحي بجهد البشر مساوقاً لعدم بقائه وزواله وفنائه.

فلا تقوم لله علىٰ خلقه حجة في حال عدم قيام الإمام بأدواره في حفظ بينات الوحي، فحجيّة القرآن الموجود بين أيدينا وكذا الروايات متوقِّفة علىٰ حفظ الإمام ورعايته في كل زمان، وتعطيل الإمامة وجمودها يساوي تعطيل الدين وبطلان الحجج والبيِّنات، كما مرَّ في حديث أمير المؤمنين عليه السلام.

وقد مرَّ في كلمات أعيان الطائفة أنَّه لا يمكن التعويل علىٰ نقل الآحاد ولا المتواتر ولا الإجماع في إمكان إسناد القرآن والوحي والدين إلىٰ الله تعالىٰ ما لم يكن الإمام المعصوم من ورائه حافظاً للدين، فإنَّ التواتر ليس إلَّا تجميع نقل آحاد من الناس، وإذا فرضنا أنَّ جميع الناقلين قصر علمهم عن وعي الوحي الإلهي بتمامه فلا قيمة لتواترهم إلَّا بمقدار ما وعوه وحفظوه من المعطيات الوحيانية، ويكون إسناد ما نقلوه إلىٰ الله تعالىٰ من دون إشراف وتأييد حجة الله افتراء عليه. وهو مؤدىٰ قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ٩).

١. راجع بحث: دور الإمام الغائب عجل الله فرجه في بقاء حجج الله وبيناته، للكاتب، المطبوع في العدد السابع في هذه المجلة الموقّرة، وكتاب دروس في عقائد الإمامية، للكاتب.

فمهمة حفظ الوحي كنزول الوحي ليست مهمة بشرية بل إلهية. نعم بعد رعاية الإمام وحفظه وإشرافه يعوّل علىٰ الحجج العقلائية في درجاتها المختلفة.

ومن البديهي أنَّ بصيرة الجن والإنس ليست بدرجة بصيرة النبي، وعلمهم لن يصل إلىٰ آفاق الوحي النازل من السماء علىٰ هذا النبي الأُمّي، حتّىٰ ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً. فهنا نتساءل: هل كتب الله لهذا الدين والقرآن والوحي النبوي بقاءً واستمراراً بعد رحيل النبي صلى الله عليه وآله، أم أنَّه يزول بوفاة النبي صلى الله عليه وآله؟

فإن كان يراد بقاؤه فلابدّ أن يكون هنالك من يحفظه ويحرسه ليبقىٰ للأجيال. فيا تُرىٰ من تكون له أهلية حفظ بينات الوحي وعلوم النبي وبصائر القرآن الذي يكون تبياناً لكلّ شيء؟

لو اجتمع الجن والإنس علىٰ أن يحلّوا محل الوحي، ليكونوا حفاظاً ورعاةً وحملةً للوحي، لن يستطيعوا، لقصور علمهم وخبراتهم وقدراتهم عن وعي الوحي الإلهي. فهم بأجمعهم غير مؤتمنين لحراسة الوحي، لأنَّهم ليسوا بمستوىٰ النبي في علمه ومعرفته حتّىٰ يحفظوا علومه ومعارفه. وكيف يتوقّع ممّن لم يستوعب علم شيء ولم يعيه أن يكون له حافظاً؟

فأنّىٰ للصحابة أو التابعين والرواة أن يحفظوا الوحي؟!

إنَّهم لا يؤمنون لحفظ ألفاظ الوحي، فما ظنك بالمعاني والحقائق؟ وذلك أنَّ من لم يحط بالمعاني فلا يؤتمن لحفظ الألفاظ.

مثلاً إذا كان هنالك معهد علمي رفيع المستوىٰ، وقد وصل إلينا نتاجه العلمي عبر أناس ليسوا بذلك المستوىٰ من العلم، فهل يمكن إسناد نقولاتهم إلىٰ ذلك المعهد؟ وهل يؤمنون عليه حتَّىٰ لو كان دورهم مجرد نقل الألفاظ؟ فإنَّ الخطأ والاشتباه ليس بمنأىً عن الحس فيمن لم يكن عنده الإحاطة

بالمعاني، كما تشاهد أن المنضّد لكتاب علمي إن لم يكن من أهل الاختصاص ولا يعرف المعنىٰ ويستوعب ما يكتب، قد تقع منه أغلاط كثيرة في التنضيد، أو إذا حضر عامي في مجلس درس أحد العلماء من أهل الاختصاص، فنقل شيئاً منه فلا يصحّ إسناده إلىٰ ذلك العالم، ولا يكون كلامه حجة في ذلك.

فلو كان حفظة الدين بعد الرسول هم الصحابة مع فرض أنَّهم عدول، بل وفي أعلىٰ درجات العدالة، لما أمكن إسناد الدين إلىٰ الله كحجة وحيانية إلهية، ولكان قد انقضىٰ عصر الدين وصارت حجية الوحي بقدر حجية الناقلين، أمراً بشرياً تاريخياً جغرافياً ترابياً. لأنَّ آفاق علومهم تقصر عن أفق الوحي.

فكيف إذا كان فيهم منافقون وخونة؟ وكيف إذا كان جمع القرآن بعد مقتل جمع كبير من حفاظ القرآن، وكتابة الوحي بالبينة الشرعية التي من المستحيل أن تكون بدرجة بينات الوحي.

وذلك - بامتياز كبير - كما لو مات أستاذ خبير رفيع المستوىٰ، ولم يخلف من تلامذته إلَّا من يعي واحداً بالمائة من علومه، فالعلم يموت بموت الأستاذ، بداهة أنَّ التلاميذ لم يعوا من علم الأستاذ إلَّا واحداً بالمائة، فكيف يحفظون ما لم يستوعبوه؟

ومن هنا تجد أنَّ قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ٩).

قضية برهانية لا تقبل الترديد. حين يؤكد علىٰ أنَّ مهمة حفظ الذكر النازل من السماء ليس لها إلّا من أنزله، فنفس المعادلات المفروضة في إنزال الذكر لابد وأن تتوفر في بقائه وحفظه. فكما ليس لكل أحد أن ينزل عليه الوحي، كذلك ليس لكل أحد أن يحفظ الذكر النازل. وليس هذا الحفظ إلّا من خلال وجود أمين الله وحجته في أرضه.

لا يقال: إنَّ الله هو يحفظ الذكر والقرآن وبطونه وتأويلاته وعلومه بطريقة إعجازية.

لأنَّه يقال: إنَّ الله تعالىٰ جعل الدنيا دار الأسباب وقد جرت سنة الله علىٰ إجراء الأمور بأسبابها، وجعل لكلّ شيء سبباً. ومن هنا أرسل الرسول وجعله بشراً يأكل ويمشي في الأسواق، فلم يكل مهمة تبليغ الرسالة والذكر الإلهي لملك من الملائكة، كما قال تعالىٰ:

﴿وَما أَرْسَلْنا قَبْلَكَ إِلَّا رِجالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ﴾ (الأنبياء: ٧)، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ جَعَلْناهُ مَلَكاً لَجَعَلْناهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنا عَلَيْهِمْ ما يَلْبِسُونَ﴾ (الأنعام: ٩).

وهكذا مهمة حفظ القرآن وبقاء الذكر، أيضاً لابد وأن تكون من خلال سبب وحافظ للذكر الإلهي، يكون مؤهلاً لحفظه وحراسته. وهو الإمام والخليفة من بعد النبي صلى الله عليه وآله.

فاتَّضح أنَّه إنَّما يُعتمد علىٰ القرآن والوحي بعد النبي لرعاية حجة الله القائم بحجج الله له، كذلك الأخبار الواصلة عن أئمة الدين، إنَّما يكون الحافظ والراعي لها هو الإمام الناطق الحي في كل زمان، لأنَّها هي باطن القرآن والوحي النازل من السماء.

**٢ - برهان الصدق:**

ويظهر هذا البرهان بالالتفات إلىٰ أمور:

**الأول:** إنَّ الصدق بلحاظ مطابقة الكلام المنقول للواقع، مقولة قابلة للاشتداد والضعف. فكلما كان الناقل أكثر إحاطة بالذي يرويه، كان إخباره أكثر مطابقة للواقع. وهذا يظهر أثره في المعلومات الدقيقة العلمية التي تحتوي علىٰ أسرار وبطون ومعلومات خفية، قد تخفىٰ عن السامع ما لم يكن من أهل الاختصاص.

ومن هذا الباب نرىٰ التلميذ المقرر لدرس الأستاذ، بعد ما قرّر الدرس بتفهم وتعمق، ومع أنَّه ليس عامياً ولا أُمياً، لكنه مع ذلك يصرّ

لكي يحصل على تأييد الأستاذ وتقريظه، ليكتسب بذلك اعتباراً بدرجة اعتبار الأستاذ. حتّى ولو كان التلميذ متقارباً مع استاذه في القوة العلمية، لكنه لاحتمال قصور علمه عن علم الأستاذ، يوجد مجال للترديد في صحة إسناد نقولاته للأستاذ.

**الثاني**: لا يوجد من هو أصدق من الله تعالىٰ، كما قال: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ قِيلاً﴾ (النساء: ١٢٢).

وذلك لأنَّه أحاط بكلّ شيء علماً، فكلامه أصدق من كلّ كلام آخر، والصدق الإلهي لا يوازيه أي صدق.

**الثالث**: إنَّ واقع حقائق القرآن وبحور معارفه وعلومه غير متناهية، فإنَّه تبيان لكلّ شيء، ومن تلك الأشياء هي كلمات الله التي لا نفاد لها، كما قال: ﴿قُلْ لَوْ كانَ الْبَحْرُ مِداداً لِكَلِماتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِماتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنا بِمِثْلِهِ مَدَداً﴾ (الكهف: ١٠٩).

**الرابع**: الناقل لهذا الكلام إن لم يكن علمه يحيط بكلّ هذه الحقائق كما أنزلها الله تعالىٰ، فبطبيعة الحال لا يمكن أن يكون صادقاً عن الله تعالىٰ الذي أحاط بكلّ شيء علماً، بل غاية ما يمكن أن يوصف به الصدق البشري، وليس الصدق الإلهي.

والنتيجة: أنَّ عدم الإمام بعد النبي الواعي والحامل لعلم الكتاب ولعلوم النبي، ليكون هو الناطق عن النبي وعن الله، تسبّب في كون القرآن والدين بشرياً وليس إلهياً.

فلو فرضنا أنَّ كلام الله الذي أنزله على نبيِّه، قد حفظه ونقله لنا أناس ليس لهم أيَّة إحاطة ببحور معانيه اللامتناهية، فلا يمكن أن يكون صدقهم بدرجة صدق كلام الله، بل يكون صدق البشر عن الله، ويكون كلام البشر عن الله وليس كلام الله.

كيف يمكن أن يكون صدقهم بدرجة الصدق الإلهي، وهم غير واعين لحقائق القرآن والوحي؟

إنّهم لو كانوا مؤتمنين وصادقين، فغاية ما يمكن أن توصف منقولاتهم به هو الصدق البشري، دون الصدق الإلهي. وهذا ما يوجب انعدام وصف الحجية الإلهية عن القرآن.

فلو كان بقاء الوحي والذكر والقرآن بحفظ البشر العادي، من دون إشراف وهيمنة ورقابة إمام معصوم من الخطأ، والوارث لعلم الكتاب، لبطلت حجية القرآن والوحي ولما صح إسناد هذه الألفاظ إلىٰ الله، وكان ذلك افتراء عليه تعالىٰ.

كما ترىٰ أنَّ إسناد كتاب علمي لمؤسّسة أو معهد رفيع المستوىٰ في العلم، إن لم يكن بإشراف الممثل الواعي لعلوم المؤسسة، يكون افتراء عليها. وإنَّما لا يكون افتراء إذا كان نقله لكلام تلك الجهة العلمية، تحت إشراف ونظر الممثل لتلك الجهة الواعي لعلومها.

وهذا مؤدىٰ قول الله تعالىٰ: ﴿قُلْ آللهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللهِ تَفْتَرُونَ﴾ (يونس: ٥٩).

فجعل الإسناد إلىٰ الله مباشرة دون ترخيص منه تعالىٰ افتراء، حتّىٰ لو سمعه السامع عن النبي أو الإمام. والترخيص إنَّما يكون بعد إشراف وتدبير حجة الله والممثل للدولة الإلهية الذي يمتاز عن الآخرين بتزويده بالعلم اللدني وتأييده بروح القدس.

وإنكار حجة الله يُفقد الآخرين حجيتهم، كما لو أنكر الفرع الذي ينسب نفسه لشركة أو جامعة معينة، أن يكون يعمل تحت تدبير وإشراف الممثل الرسمي لتلك الجامعة. فبمجرّد أن أنكر ذلك، تسقط شرعيته واعتباره.

من هنا فإسناد الدين والقرآن تنزيله وتأويله وظاهره وباطنه إلىٰ الله،

من دون رعاية الإمام الحي المتصدي والمتصرف بالفعل في الأمور، يكون افتراء عليه تعالىٰ. كما أن إسناد ما نقله جماعة عن معهد علمي رفيع المستوىٰ إلىٰ ذلك المعهد علىٰ أنَّه نتاجه، افتراء عليه، إن لم يكن بإشراف وتوقيع ذلك المعهد نفسه، حتّىٰ ولو كان الناقلون من تلامذة نفس المعهد. نعم كلامهم حجة لكن بقدر حدود علمهم لا بقدر وطراز ذلك المعهد، فيأتي الافتراء في نسبة كلامهم للطراز العلمي لذاك المعهد.

**٣ - آيات ليلة القدر:**

الآيات والروايات الواردة بشأن ليلة القدر تؤكّد فعلية دور الإمام الحي في كل زمان في إدارة الأمور، وإلَّا فيكون نزول كل الأمر إليه لغواً إذا كان لا شأن له في تدبيرها. فهل يصدّقك عقلك أن تُزوَّدَ شخصاً ليس له دور فعلي في إدارة البلد وشؤونه العامة، علىٰ أدقّ تفاصيل وإحداثيات وقرارات مستقبلية للبلد التي لا يطّلع عليها إلَّا أصحاب القرار والرؤساء الموكّلون بإدارة البلد؟

أفلا يكون هذا سفهاً ولغواً يتنزّه أحدنا من أن ينسب إليه؟ فكيف يمكن أن يقال بتعطيل إمامة الإمام وانقطاع تصرفاته في الأرض، وهو يُزوّد في كل ليلة القدر بأدق تفاصيل وتقادير كلّ شيء من الأمور المستقبلية المرتبطة بإدارة الأرض؟

ويظهر من الرواة والأصحاب أنَّهم كانوا معترفين بها، وأن عدم انقطاع ليلة القدر يعني بقاء فعلية إمامة الإمام الحي في كل زمان سواء كان حاضراً أم غائباً.

ويظهر من بعض الأخبار أنَّ مدار التشيّع عندهم كان علىٰ الاعتراف بمقام ليلة القدر للإمام الحي المتصدي للأمور في كلّ زمان، وأنَّ عدم الإقرار بهذا المقام العظيم بعد قيام الحجة عليه يوجب الخروج عن المذهب.

فقد روىٰ الصفار، عَنْ عُمَرَ بْنِ يَزِيدَ، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام:

أَرَأَيْتَ مَنْ لَمْ يُقِرَّ بِمَا يأتكم [يَأْتِيكُمْ] فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ كَمَا ذُكِرَ ولَمْ يَجْحَدْهُ، قَالَ: «أَمَّا إِذَا قَامَتْ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ من [مِمَّنْ] يَثِقُ بِهِ فِي عِلْمِنَا فَلَمْ يَثِقْ بِهِ فَهُوَ كَافِرٌ، وأَمَّا مَنْ لَا يَسْمَعُ ذَلِكَ فَهُوَ فِي عُذْرٍ حَتَّىٰ يَسْمَعَ»، ثُمَّ قَالَ: عليه السلام: «يُؤْمِنُ بِاللهِ ويُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ»[١].

**٤ - وجوب البيعة مع الإمام في كل زمان:**

الحديث المتواتر الدال علىٰ وجوب البيعة مع الإمام الحي بعد معرفته، وأنَّ من لم يعرفه ولم يبايعه تكون ميتته ميتة جاهلية، إنَّ البيعة تكون مع المتصدي الفعلي للدولة والنظام ومع غيره، فلزوم البيعة مع الإمام الغائب يعني فعلية إمامته وأنَّ له نظاماً ودولةً ولابد من الانتساب إليه.

ولو كانت الإمامة في بعض نواحيها الظاهرية معطَّلة أو مجمّدة في عصر الغيبة ولو كان ذلك بسبب إدبار الناس، لم يكن وجهٌ للزوم البيعة مع الإمام الغائب في زمان تعطيل دولته، كما أنَّه لو انحلَّت الدولة أو المؤسسة، أو تجمَّدت فعاليتها لفترة قصيرة أو طويلة، فلا معنىٰ للانتساب إليها والالتزام بها والبيعة معها في تلك الفترة.

**٥ - مقام الاستخلاف الإلهي:**

الإمام هو خليفة الله في أرضه، والذي أُلقي علىٰ عاتقه إجراء السياسات الإلهية علىٰ الأرض فهو المتصدي لتنفيذ تلك السياسات التي أنزلها علىٰ البشر وبيَّنها في تأويل القرآن وتنزيله، فخلوّ الأرض عن المتصدي المباشر له يكون بمعنىٰ انحسار الدولة الإلهية عن السلطة التنفيذية، وهذا يعني انعزال الله عن ربوبيته وعن حاكميته علىٰ الأرض، حيث إنَّ إقصاء السلطة التنفيذية في أية دولة عن ممارسة مهامها تفسّر باحتلال الدولة وزوال سيادتها، وهذا معناه لابد من بقاء هذه السلطة وإن لم نعرف كيفية تصرفه فيها.

١. بصائر الدرجات: ١/ ٢٢٤.

**٦ – استمرار الهداية الإيصالية:**

ضرورة استمرار الهداية إلىٰ يوم القيامة كما هو مؤدىٰ كثير من الأدلة، وأنَّ الإمام هو القائم بدور الهداية الإيصالية في كل عصر وزمان.

**٧ – حديث الثقلين:**

حديث الثقلين المتواتر دلَّ علىٰ عدم إمكان افتراق العترة عن القرآن، والمراد عدم افتراقهما في ما يمكن للناس أن يستضيئوا بأنوارهم، وإلّا فهما في نفس الأمر غير مفترقين قطعاً، فخلو الأرض عن العترة التي يتمكّن الناس من الاستضاءة بأنوارها مع بقاء القرآن يكون افتراقاً للثقلين وهو غير ممكن بحسب الحديث المتواتر.

**٨ – تشبيه الإمام بالشمس والإمام الغائب بالشمس خلف السحاب:**

ما ورد من تشبيه الإمام الغائب بالشمس وراء السحاب، حيث تبقىٰ الشمس وضّاءة تنير درب السالكين وترافقهم وتصاحبهم في كل خطوة إلىٰ أن يصلوا إلىٰ مقصدهم، وأنَّ تعطيل الشمس وحرمان الناس عن الاستضاءة بأنوارها كلياً يوجب تغييب أعلام الهداية وعدم تمكّنهم من السير في الصراط المستقيم، بل لا يمكن العمل بالهداية الإرائية التي جاء بها النبي ﷺ في حال ركود شمس الهداية وتعطيلها عن التصدي المباشر ومصاحبة السالكين في كل خطوة يخطوها في السبيل العمل بالهداية التي جاء بها النبي.

وإنَّ حاجة الإنسان لنور الشمس مستمرة لا غناء عنها ولا شيء يقوم مقامها، ولا يمكن الاستغناء عن إشراقاتها المستقبلية بإشراقاتها الماضية، بل في كل ساعة ولحظة نحتاج إلىٰ الاستضاءة بأنوارها.

**٩ – مقام أسماء الله في نظام التكوين والتشريع:**

ولا يمكن لأحد أن ينكر دور أسماء الله تعالىٰ في نظام التكوين والتشريع، كما لا يمكن القول بتعطيل أسماء الله تعالىٰ بحال من الأحوال، حيث إنَّه

تعلَّقت مشيَّة الله المقدسة أن يَجري تقاديره عبر أسمائه الحسنىٰ، فتعطيل هذه الأسماء عن فعالياتها تعني تعطيل ربوبية الله تعالىٰ، وإمكانية الغلبة عليها تعني إمكانية الغلبة علىٰ الدولة الإلهية. ولعل ما ورد من أنّهم عليهم السلام هم الأسماء الحسنىٰ إشارة إلىٰ هذه الحيثية[١].

كما أنَّ عدم شعورنا بكيفية توسّط أسماء الله في تكوينه وتشريعه لا يسوّغ إنكار أدوارها العظيمة في نظام الخلق، كذلك عدم شعورنا بكيفية تصرفات الإمام لا يستوجب ذلك.

**١٠ - وجود الراعي للدين في كل زمان:**

ما ورد مستفيضاً عن النبي صلى الله عليه وآله: «إنّ فِي كُلِّ خَلَفٍ مِنْ أُمَّتِي عَدْلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، يَنْفِي عَنْ هَذَا الدِّينِ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ، وانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ، وتَأْوِيلَ الْجُهَّال»[٢] وغيره من مضامين أخرىٰ.

**١١ - حديث خلفائي اثنا عشر:**

الحديث المتواتر بين الفريقين من أنَّه: «لا يزال الدين قائماً منيعاً عزيزاً ما وليهم اثنا عشر أميراً»، فإنَّ صريح الحديث أنَّ عزة الدين وبقاءه منيعاً وعزيزاً مسبّب عن إمارة الاثني عشر وإمامتهم، فلو كانت إمامتهم تقبل التعطيل لما نسبت عزة الدين ومنعه إليهم (صلوات الله عليهم).

ولمزيد من التحقيق راجع هذه الأبواب من كتاب الحجة من أصول الكافي.

---

١. الكافي: عن معاوية بن عمار، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠] قال: «نحن والله الأسماء الحسنىٰ التي لا يقبل الله من العباد عملاً إلّا بمعرفتنا» [الكافي: ١/ ١٤٤؛ وراجع: بحار الأنوار: ٩٤/ ٦؛ تفسير العياشي: ٢/ ٤٢؛ بحار الأنوار: ١٠٠/ ٢٤٦؛ فرحة الغري: ٤٧؛ الغارات: ٢/ ٨٤٩؛ بحار الأنوار: ٢٧/ ٣٨؛ المحتضر: ١٣٦؛ بحار الأنوار: ١٠٠/ ٣٠٢ و٣١٤؛ مصباح الزائر: ١٤٦؛ المزار لابن المشهدي: ٢٥٧؛ بحار الأنوار: ١٠٠/ ٣٠٦؛ مصباح الزائر: ١٥٠؛ المزار لابن المشهدي: ٢١٨؛ بحار الأنوار: ١٠٠/ ٣٧٥؛ الإقبال: ٣/ ١٣٣].

٢. قرب الإسناد: ٧٧.

الأوّل: «بَابُ أَنَّ الْحُجَّةَ لَا تَقُومُ للهِ عَلَىٰ خَلْقِهِ إِلَّا بِإِمَام».

الثاني: «بَابُ أَنَّ الْأَرْضَ لَا تَخْلُو مِنْ حُجَّة».

الثالث: «بَابُ أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَبْقَ فِي الْأَرْضِ إِلَّا رَجُلَانِ، لَكَانَ أَحَدُهُمَا الْحُجَّة».

وقد أكَّد في هذه الأبواب علىٰ أنَّ الحجة لا تقوم إلّا بإمام حي، فهو حجة الحجج وقوام كل حجة، وأنَّ قوام حجية القرآن بالإمام وهو الحافظ والقيم له ومن دونه لا يحفظ القرآن.

**غياب الإمام لا يعني تجميد دوره:**

قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«هَا.. إِنَّ هَاهُنَا لَعِلْماً جَمّاً - وأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَىٰ صَدْرِهِ - لَوْ أَصَبْتُ لَهُ حَمَلَة... كَذَلِكَ يَمُوتُ الْعِلْمُ بِمَوْتِ حَامِلِيهِ، اللَّهُمَّ بَلَىٰ لَا تَخْلُو الْأَرْضُ مِنْ قَائِمٍ للهِ بِحُجَّةٍ، إِمَّا ظَاهِراً مَشْهُوراً وإِمَّا خَائِفاً مَغْمُوراً، لِئَلَّا تَبْطُلَ حُجَجُ اللهِ وبَيِّنَاتُه...»[1].

أكَّد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام علىٰ أنَّ بقاء حجج الله وبيِّناته التي من أعظمها هو كتاب الله العزيز، لن يكون إلَّا بوجود حجج إلهية أقامهم الله ليكونوا قائمين لله بحججه، وهم الحاملون لعلم الرسول صلى الله عليه وآله ولعلم القرآن بتنزيله وتأويله، لأنَّ قلبهم يعي لذلك.

وهم يمارسون دورهم في حفظ هذه البيِّنات الوحيانية عبر طريقين: إمّا التصرفات الظاهرية العلنية، أو تصرفات غيبيِّة مغمورة، إلَّا أنَّه لا تتعطل تلك الفعاليات والتصرفات، فإنَّ تعطيلها يساوي تعطيل الحجج والبيِّنات الإلهية، لأنَّ غيرهم لا يعي تلك العلوم الوحيانية، فكيف يحفظها ويحرسها؟

وإنَّما يكون الإبطال بفقد الراعي المعصوم.

وحفظه ورعايته لها لا يناط بحضوره وظهوره، بل هو يبقىٰ فاعلاً

١. نهج البلاغة: حكمة ١٤٧.

ونشطاً حتّىٰ مع كونه حجة مغمورة وغائبة، نعم هو لا يراعيها بطرق غيبية بحتة، بل بأسباب ظاهرية وعقلائية، وإن خفيت الأسباب عن العقلاء.

ومن السذاجة بمكان، توهُّم أنَّ حفظ الوحي والقرآن متوقِّف علىٰ التصرف الظاهري المعلن، وإنكار التصرفات الغيبية السرية الخفية عن عامة الناس.

وهذا أحد تفاسير الروايات الواردة في أنَّه لو بقيت الأرض ساعة بغير حجة لساخت بأهلها[1].

وهو يرجع إلىٰ نفي التفويض وأنَّه تعالىٰ ليس بمنعزل عن سلطانه، لينتج البشر إنتاجاً دون تقرير وتأييد حجة الله ثم لا يحرك ساكناً، فإنَّ الإسناد إلىٰ جهة علمية عالية المستوىٰ دون الإذن منه افتراء، وبقاءه ساكتاً دليل عجزه وضعفه، والله تعالىٰ منزّه عن ذلك.

نعم، رعاية الإمام للدين وحفظه ذات مراتب، ففي عصر الغيبة إنَّما يحفظ السقف الأدنىٰ وهو المسار العام للدين، دون السقف الأعلىٰ من كمال البرنامج الإلهي الذي حُرمنا عنه من أجل غصب الخلافة والغيبة، فإنَّ ذلك يكون في عصر الظهور.

ومن الغفلة أن نقصر دور الإمام في التصرف العلني الظاهر، والمثال الواضح لذلك العبد الصالح خضر عليه السلام، حيث منع الظالم من أخذ سفينة المساكين، والملك المسكين زعم أنَّه هو الذي اختار أن لا يأخذ السفينة، ولا يدري أنَّه عجز أمام قدرة الخضر عليه السلام وهو الذي منعه عن ذلك، فالذي يتحكَّم هو الخضر وليس ذلك الملك.

وكذلك في قتل الغلام بأمر الله، حال دون نمو طاغية يرهق أبويه طغياناً وكفراً، فينتج منه بيئة فاسدة وظلمانية في المجتمع البشري، فعوَّض الله

١. الكافي: ج١، ص١٧٩.

الأبويـن بجاريـة ولـد منهـا سـبعون نبيـاً، فضـخّ هـذا الكـم مـن الأنبيـاء، والحيلولـة دون وجـود هـذا الطاغـي أمـر لا يـأتي في حسـبان مـن يدَّعـي أنَّ بيـده مركـز القـدرة، واليتيـمان لم يدريـا يومـاً أنَّ الخـضر عليه السلام هـو الـذي هداهمـا لكنـز أبيهـما، وزعـما أنَّ ذلـك بقـدرة أنفسـهما بينـما مركـز التحكـم بيـد الخـضر عليه السلام.

نعـم إنَّـما يحفـظ الإمـام ويراعـي السـقف الأدنىٰ مـن الرعايـة للحجـج الوحيانيـة والعقليـة في عـصر الغيبـة، وأمّـا الرعايـة بمقـدار السـقف الأعلىٰ فسـيكون بعـد ظهـور الأمـر عـلىٰ يدهـم (صلـوات الله عليهـم).

**مظاهر من وَهمِ الإمامة المعطّلة:**

صحيـحٌ أنَّـه لم يـصرِّح أحـد مـن الإماميـة بتعطيـل مقـام الإمامـة في عـصر الغيبـة، إلَّا أنَّ هنـاك بعـض المظاهـر قـد توحـي إلىٰ الغفلـة عـن فعليـة دور الإمـام في الغيبـة الكـبرىٰ، فكثـيراً مـا نشـاهد التركيـز في إمامـة الإمـام المهـدي عجل الله فرجه عـلىٰ ظهوره وانتظـاره وغـير ذلـك ممـا هـو مرتبـط بمسـتقبل الإمامـة، أو مـا يرتبـط بولادتـه وطـول عمـره ممـا هـو مرتبـط بماضيهـا، وقلَّـما نتحـدَّث عـن الإمامـة الفعليـة للإمـام عجل الله فرجه، وقـد سـبَّب هـذا الإهمـال مـن حيـث نشـعر أو لا نشـعر ظهـور بعـض المظاهـر المبنيـة عـلىٰ عـدم الاعتقـاد بفعليـة إمامـة الإمـام الحـي القائـم بالأمـر في وقتنـا هـذه.

فمـن تلـك المظاهـر توهّـم أنَّ مهمّـة الإصـلاح أو حفـظ الديـن ونـشره ملقـاة بصـورة تامـة عـلىٰ عاتـق البـشر في عـصر الغيبـة، وأنَّنـا نحـن الفاعلـون في ذلـك والسـاعون، ولولانـا لم يقـم للديـن اسـمٌ ولا للإسـلام والإصـلاح رسـمٌ، وهـذه غفلـة كبـيرة عـن واقـع الأمـر، فكـما مـرَّ أنَّ حفـظ الديـن لا يمكـن أن يكـون إلَّا بالإمـام المعصـوم المحيـط بالديـن، كـما أنَّ الصـلاح والأمـن الموجـود أيضـاً يعـود فضلـه إليـه، وليـس خيـار المؤمنـين وأعاظـم الفقهـاء وكبـار المصلحـين في عـصر الغيبـة بـل عـصر الحضـور إلَّا كالأعضـاء والجـوارح للقلـب، كـما ورد في احتجـاج هشـام بـن الحكـم عـلىٰ عمـرو بـن عبيـد البـصري، فكـما أنَّ انقطـاع علاقة المـدركات

الحسية عن القلب يفقدها الحجية الإنسانية العقلية وتكون حجية مدركاتها حجية حيوانية، كذلك انقطاع علاقة هذه الأعضاء في نظام ولي الله عن قطب الرحىٰ وهو الإمام المعصوم، يوجب فقد الحجية الوحيانية، ومعه يفقدون مشروعيتهم.

ومن تلك المظاهر توهّم أنَّ بقاء القرآن وحفظه عن الضياع والتحريف وكذا بقاء الدين المتمثل في سنة النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، إنَّما حصل بفضل الرواة والنقلة دون الحاجة لإشراف وهيمنة الإمام الحي في كل زمان، وأنَّ التواتر البشري ونقل الرواة والفقهاء يسوّغ لنا إسناد الوحي إلىٰ الله تعالىٰ وإن لم يكن الإمام من ورائه حافظاً وراعياً.

ومن تلك المظاهر إسناد مصدر مشروعية الولايات والصلاحيات الحكومية إلىٰ جهة أخرىٰ لا تنتهي إلىٰ جعل وإمضاء ونيابة الإمام الحي القائم بالأمور، سواء ضيَّقنا دائرة الولاية أم وسَّعناها، فإنَّ وجود أيَّة ولاية لا تنتهي إلىٰ ولاية ولي الله الحي والنيابة عنه وجعله وإذنه، مساوٍ لانحسار ولاية ولي الله في تلك البقعة، وهو القول بتعطيل الإمامة وتجميدها في تلك الزاوية.

المعود
ALMAUOOD

# أحاديث الاثني عشر وإمامة الحجة بن الحسن عجل الله فرجه
## بحث في الدلالة ودفع الشبهات

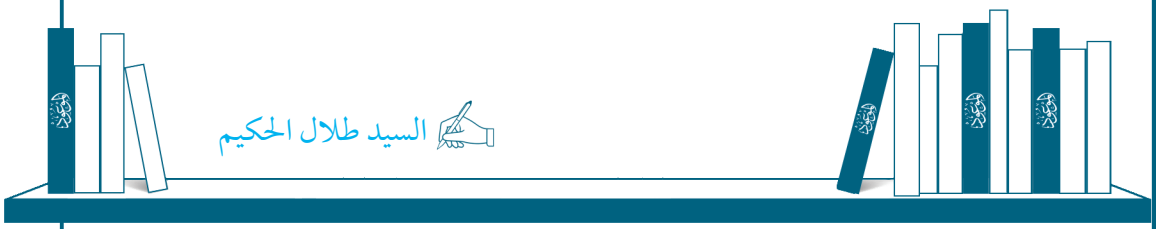

السيد طلال الحكيم

**تمهيد:**

من الأحاديث المهمة في عقيدتنا حديث (أنَّ الأئمة اثنا عشر إماماً)، وفي هذه المقالة نحاول الإلمام ببعض زوايا دلالات هذا الحديث من جهة إثبات إمامة الإمام المهدي عجل الله فرجه.

عندما تكون المقدمات صحيحة سليمة تكون النتائج متطابقة متكاملة، وعندما يكون الأساس قوياً متيناً ستضمن أن يكون البناء متماسكاً رصيناً، والعكس بالعكس، وهذا بالدقة ما حصل بين أصلٍ يرجع تأصيله إلىٰ قرآن[1] وكلام نبي[2]، وبين أصل يرجع تأصيله إلىٰ فلتة[3] وإلىٰ إرهاب وتهديد.

١. مثل الآيات التي نزلت في علي عليه السلام خاصة أو في أهل البيت عليهم السلام عامة، فمثال الأول قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ (المائدة: ٥٥).

٢. مثل قوله صلى الله عليه وآله في حديث الثقلين: «وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدىٰ والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به» فحث علىٰ كتاب الله ورغّب فيه ثم قال: «وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي...» [صحيح مسلم ٧/ ١٢٣؛ سنن الترمذي ٥/ ٣٢٩]. أو قوله في حديث السفينة: «مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح، من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك...» [مسند البزار ٩/ ٣٤٣].

٣. قال عمر بن الخطاب: (كانت بيعة أبي بكر فلتة، وقىٰ الله شرَّها، فمن عاد لمثلها فاقتلوه) [صحيح البخاري: ٨/ ٢١٠؛ مسند أحمد بن حنبل: ١/ ٣٢٣؛ الجمع بين الصحيحين للحميدي: ١/ ١٠٤؛ الجمع بين الصحيحين للموصلي: ١/ ٢٦٠؛ ابن حجر - فتح الباري شرح صحيح البخاري: ص١٥١؛ ابن كثير - البداية والنهاية: ٨/ ٨١؛ المصنف: ٧/ ٦٥١].

من هنا ترىٰ كيف أنَّ أحاديث الاثني عشر جاءت متوافقة متناسقة متناسبة منسجمة مع حديث الثقلين وحديث السفينة وحديث الباب في أنَّ التمسك بأهل البيت عليهم السلام ضمان وحصن من الضلال والانحراف والغرق، وهو نفسه المعنىٰ الموجود في أحاديث الاثني عشر من أن ولايتهم عليهم السلام سلامة في الدين وعزة للإسلام وكونهم عليهم السلام مع القرآن ومنعة من الضلال[١].

فيما صدرت عن غيرنا أقوال غريبة وتأويلات بعيدة لا تنمّ إلّا عن الحب الأعمىٰ وتقليد الآباء في الاتِّباع، فحاولوا جاهدين واجتهدوا مرهقين في إقصاء آل محمد عليهم السلام وإبعادهم وصرف الأمر عنهم بما لا يجعلونهم حتىٰ في ضمن دائرة الاحتمالات أو أن يجعلوهم من ضمن ما يطرح من الخيارات، فجعلوا تلك الأحاديث في غيرهم ممن لا تنطبق عليهم الأوصاف الواردة فيها، فتاهوا وتحيروا وشرّقوا وغرّبوا وأقرَّ بعضهم بالعجز واعترف آخر بعدم وضوح معنىٰ لهذه الأحاديث تركن إليه النفس، فهذا ابن الجوزي في كشف المشكل يقول: هذا الحديث قد أطلت البحث عنه، وتطلبت مظانه، وسألت عنه، فما رأيت أحداً وقع علىٰ المقصود به[٢].

وقال ابن بطال عن المهلب: لم ألق أحداً يقطع في هذا الحديث بشيء معين[٣].

وإليك بعضاً من تلك الآراء التي صدرت عنهم:

* قول بن حبان وغيره: أن المراد بالاثني عشر: الخلفاء الأربعة، ثم معاوية، ثم يزيد ابنه، ثم معاوية بن يزيد، ثم مروان بن الحكم، ثم عبد

---

١. روىٰ البخاري عن أبي هريرة: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم» [صحيح البخاري: ٤/ ١٤٣؛ صحيح مسلم: ١/ ٩٤؛ مسند أحمد: ٢/ ٣٣٦].

٢. كشف المشكل: ١/ ٤٤٩؛ فتح الباري: ١٣/ ٢١٢.

٣. فتح الباري - شرح البخاري: ١٦/ ٣٣٨.

الملك ابنه، ثم الوليد بن عبد الملك، ثم سليمان بن عبد الملك، ثم عمر بن العزيز وكانت وفاته على رأس المائة[١].

* رأي الخطابي (٣١٩-٣٨٨هـ): أنَّ المراد بالاثني عشر: أهل الولاية والملك الذين استقامت لهم السلطة ويكون منه ﷺ مجرد إخبار بلا قصد المدح.

قال الخطابي: قيل: أشار رسول الله إلى ما يكون بعده وبعد أصحابه وأنَّ حكم أصحابه مرتبطٌ بحكمه، وأشار بذلك إلى مدة ولاية بني أمية، ويكون المراد بالدين: الولاية والملك، إلى أنْ يذهب اثنا عشر خليفة ثم تنتقل الإمارة، وهذا على شرح الحال في استقامة السلطنة، لا على طريق المدح فأولهم: يزيد بن معاوية، ثم ابنه معاوية بن يزيد، ولا يذكر ابن الزبير لكونه من الصحابة، ولا مروان لكونه بويع له مع ابن الزبير، ثم عبد الملك، ثم الوليد، ثم سليمان، ثم عمر بن عبد العزيز، ثم يزيد بن عبد الملك، ثم الوليد بن يزيد بن عبد الملك، ثم يزيد بن الوليد، ثم إبراهيم بن محمد، ثم مروان بن محمد، وقيل: أراد وجود اثني عشر خليفة في جميع مدة الخلافة إلى يوم القيامة، يعملون بالصواب، وإنْ لم تتوالَ أيامهم، فقد يكون الرجل منصفاً، ويأتي بعده من يجور[٢].

وضعف ووهن هذه الأقوال يغني الرد عليها على أنَّنا استقصينا آراء ومقولات هؤلاء وقد وصلت إلى (٩) أقوال ذكرناها مع ردّها مفصلاً في بحث مستقل[٣].

والأئمة عندنا هم من يكون الإسلام بهم عزيزاً منيعاً.

١. تفسير ابن حبان كما في عون المعبود في شرح أبي داود: ١١/ ٣٦١.

٢. معالم السنن وهو شرح سنن أبي داود: ٦/ ١٥٧؛ ابن حجر - فتح الباري: ١٣/ ٢١٢.

٣. أحاديث الاثني عشر وخلافة المهدي المنتظر - دراسة تحليلية لأحاديث الاثني عشر سنداً ودلالة ومصداقاً - بقلم السيد طلال الحكيم.

ومما يدل علىٰ أنَّ الاثني عشر هم أهل البيت عليهم السلام أحاديث الميتة الجاهلية «مَنْ مات بغير إمام مات ميتة جاهلية»[١] أو «من مات ليس عليه إمام فميتته جاهلية»[٢] أو «مَنْ مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية»[٣] أو «مَنْ مات وليستْ عليه طاعة مات ميتة جاهلية»[٤].

**ببيان**: أن أحاديث الميتة الجاهلية تنص وتؤكد علىٰ استمرارية تواجد الأئمة الهداة إلىٰ يوم القيامة، إذ لا يعقل ومن غير المنطقي أن نحمل مقصود النبي صلى الله عليه وآله في مسألة (معرفة الإمام) نحمله علىٰ أنَّه الحاكم أو إمام الجماعة أو مطلق رجل الدين أو أي عالم، فإنَّ الجهل بهذا لا يتطلب ولا يترتب عليه أن تكون هناك ميتة جاهلية ولا عقاب، بل الذي يترتب عليه ذلك هو من جعل رسول الله صلى الله عليه وآله ولايته كولايته وقال: «من كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه»، ومن نزّله منه منزلة هارون من موسىٰ كنائب ووصي وخليفة، ولا شك أنَّ عصيان النائب هو عصيان للنبي.

نحن أمام (اثني عشر رجلاً) عدَّتهم كعدة نقباء بني إسرائيل كما دلَّت عليه الروايات المعتبرة، وعليه إذا أردنا أن نطابق هذا العدد مع ما تقوله الفِرَق الإسلامية علىٰ اختلاف نظرياتها ومبادئها وأدلتها ومروياتها لوجدنا أنَّ الفرقة الوحيدة التي لها اثنا عشر إماماً معصوماً، حجة، منصّباً، مذكوراً في إرثها الروائي وتراثها الفكري ومبناها العقائدي، هو المذهب الإمامي، فقد

---

١. مسند أحمد، أحمد بن حنبل: ٤/، ٩٦؛ ومجمع الزوائد، الهيثمي: ٥/ ٢١٨؛ ومسند الطيالسي: ص٢٩٥؛ والإحسان بترتيب صحيح ابن حبان: ٧/ ٤٩؛ وحلية الأولياء: ٣/ ٢٢.

٢. المعجم الكبير: ١٠/ ٢٩٨؛ والمعجم الأوسط: ٢/ ٣١٧ و٤/ ٢٣٢؛ ومسند أبي يعلي: ٦/ ٢٥١؛ وكتاب السنة، ابن أبي عاصم: ٢/ ٤٨٩؛ ومجمع الزوائد، الهيثمي: ٥/ ٢٢٤-٢٢٥.

٣. صحيح مسلم: ٣/ ١٤٧٨؛ والسنن الكبرىٰ، البيهقي: ٨/ ١٥٦؛ ومجمع الزوائد: ٥/ ٢١٨؛ ومشكاة المصابيح: ٢/ ١٠٨٨؛ وسلسلة الأحاديث الصحيحة: ٢/ ٧١٥.

٤. مجمع الزوائد: ٥/ ٢٢٤؛ وكتاب السنة: ٢/ ٤٨٩.

تسموا بالاثني عشرية علىٰ أساس ذلك، بينما نجد الفرق والمذاهب الأخرىٰ ليس فيها هذا التطابق، بل هو عندهم إمّا ناقصٌ وإمّا زائدٌ.

قد عرفت أنَّ (الاثني عشر) هم ليسوا إلّا أهل البيت عليهم السلام، ولكن ثمة بعض الشبه والإشكالات التي أثيرت علىٰ هذا القول الذي ذهب إليه أتباع أهل البيت عليهم السلام سوف نسلِّط الضوء علىٰ بعضها في هذا المبحث ونجيب عليها، فنقول:

**الإشكال الأول:**

هذا الحديث مجمل جدّاً ولا يمكن تطبيقه لا علىٰ أهل البيت عليهم السلام ولا علىٰ غيرهم، ذلك لأنَّ أغلب صيغ الحديث تقول باستمرارية عزة الإسلام ومنعة الدين بوجود هؤلاء الاثني عشر، والحال أنه لم يحصل ذلك لظهور الضعف في أكثر الأزمان، فإمّا أن يرد علم هذا الحديث إلىٰ أهله، وإمّا أن نقول ببطلانه وعدم صحته؟

الجواب:

كون العزة باقية والمنعة موجودة والأمر مستمراً ليس بمعنىٰ غلبة الإسلام علىٰ بقية الأديان وتبعيتها له، وإنَّما هو بمعنىٰ بقاء الدين الواقعي الذي نزل به الوحي علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله والذي حمل مسؤوليته وحفظ أمانته هؤلاء الاثنا عشر، نظرياً وعملياً، نظرياً كأحكام شرعية وتكاليف وقرآن وسنَّة وعلمهم بها، وعملياً وهو تطبيقهم لها وسيرتهم فيها وكذا وجودهم الذي شكَّل ويشكِّل مصدر الأمان للأُمَّة تحسُّباً من كل من يريد الكيد بهذا الدين والنيل منه.

وهذه العزة ستتجلىٰ بشكل أوضح وأظهر عندما ينتشر الإسلام إلىٰ كل العالم ويظهر الدين علىٰ الدين كله كما قال تعالىٰ، حيث ستجري الإرادة الإلهية علىٰ يديه، وليكون سبباً في ذلك، لأنَّه عجل الله فرجه وهو غائب أيضاً ينتفع به المسلمون

ويعز به الإسلام حيث يكون وجوده الشريف رعاية وعناية وصوناً وحفظاً لأحكام جده رسول الله صلى الله عليه وآله التي نزل بها جبرئيل عليه السلام، فكيف لا يكون صوناً للدين وبقاء للأمر! من هنا قال رسول الله صلى الله عليه وآله وقد سئل: هل ينتفع الشيعة بالقائم عليه السلام في غيبته؟: «إي والذي بعثني بالنبوة إنهم لينتفعون به، ويستضيئون بنور ولايته في غيبته كانتفاع الناس بالشمس وإن جللها السحاب»[1].

**الإشكال الثاني:**

إذا كان المقصود من الاثني عشر هم أئمة أهل البيت عليهم السلام وأنَّهم منصّبون معيّنون من الله ورسوله، فلماذا لم يكن تعيينهم بشكل واضح وصريح بدلاً عن هذا الإجمال والغموض، فإنَّ التعيين من غير بيان طريق المعرفة هو في حكم عدم التعيين، بل أوضح بطلاناً منه، لأنَّ هذا مثل أن يعين الملك واحداً للإمارة، ولا يبيِّنه لهم بوجه من الوجوه للناس، ثم يعاتبهم علىٰ عصيانهم الأمير، وهذا باطل ولا يكون للملك فيه الحجة، فما بالك بمن له الحجة البالغة!

الجواب:

هذا الإشكال يتم لو كان الموجود هو فقط هذا الحديث، أي حديث (الاثني عشر) وبهذه الصيغة المحرّفة والمزيَّفة التي فيها «كلهم من قريش»، أمّا مع ما نذهب إليه من أنَّ الصيغة الصحيحة: «كلهم من أهل بيتي» أو «كلهم من عترتي» كما في سياق حديث الثقلين فينتفي الإشكال، لأنَّ البيان واضح والتعيين موجود، علىٰ أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد بلَّغ وعيَّن في أحاديث أُخر كحديث الثقلين وحديث الغدير وحديث المنزلة وحديث السفينة وحديث الكساء وغيرها.

---

١. البحار: ٥٢/ ٩٣/ ٨.

**الإشكال الثالث:**

لا يوجد تواتر في أنَّ الأئمة الاثني عشر هم أهل البيت الذين عند الشيعة، لا في كلهم ولا في كل واحد منهم، وإن كان هناك علىٰ أحدهم فهو غير موجود في كتب السنة!

الجواب:

دعوىٰ نفي التواتر بقول مطلق غير صحيح، لأنَّ التواتر في الكتب الشيعية موجود، إجمالاً في مجموعهم كوصف (أهل بيتي - وعترتي) وتفصيلاً كذكر أسمائهم واحداً بعد واحد، وأمّا في الكتب السنية فهو وإن لم يكن موجوداً لكن العلم بإمامتهم لا يتوقف علىٰ النص المتواتر في مجموعهم أو في كل واحد منهم، بل يكفي فيه اليقين والاطمئنان الحاصل بكثرة الروايات واستفاضتها وبالقرائن الأخرىٰ المعينة إلىٰ القول بإمامته، فاليقين بوجوب استمرار الإمام المعصوم بتعيين الله ﷻ وتعيين رسوله مع اليقين بانتفاء الوصف عن غيرهم سيكون هو المعيِّن لهم، ولا يحتاج حينئذٍ في العلم بإمامتهم إلىٰ العلم بتحقق النص المتواتر في كل واحد منهم.

**الإشكال الرابع:**

إنَّ بعض الأحاديث الصحيحة دلَّت علىٰ أنَّ أولئك الخلفاء كلّهم يجتمع عليه الناس، مع أن أئمة أهل البيت عليهم السلام لم يجتمع عليهم الناس، حتّىٰ أمير المؤمنين عليه السلام اختلف الناس في زمانه، فكيف يكونون هم الأئمة المعنيين في تلك الأحاديث؟

الجواب:

ليس المراد من معنىٰ اجتماع الناس ما فهمه بعض أهل السُنَّة من الاتفاق علىٰ البيعة، لأنَّ هذا المعنىٰ لا ينطبق علىٰ أي واحد ممن تولّىٰ أمر الناس، بما في ذلك أبو بكر وعمر، فإنَّ أبا بكر تمَّت له البيعة في سقيفة بني

ساعدة وأكثر المهاجرين كانوا غائبين عنها[١]، وأمّا عمر فكانت خلافته بنص أبي بكر، لا باجتماع الناس، حتّىٰ قال بعضهم لأبي بكر: ما أنت قائل لربّك إذا سألك عن تولية عمر علينا وقد ترىٰ غلظته[٢]؟

وإنَّما المراد من اجتماع الناس في الحديث هو اجتماعهم علىٰ صلاح هؤلاء الخلفاء وحسن سيرتهم وطيب سريرتهم، والاجتماع بهذا المعنىٰ متحقق في أئمة أهل البيت عليهم السلام دون غيرهم، فهُم وحدهم الذين اتَّفق أهل الشيعة وأهل السُنَّة علىٰ اتِّصافهم بذلك، فيكون هذا المعنىٰ هو المراد من الحديث، لوجود مصاديق له دون المعنىٰ الأول.

قال الذهبي: (فمولانا الإمام علي من الخلفاء الراشدين المشهود لهم بالجنّة رضي الله عنه نحبّه... وابناه الحسن والحسين فسبطا رسول الله صلى الله عليه وآله وسيّدا شباب أهل الجنّة، لو استُخلفا لكانا أهلاً لذلك)[٣].

وقال في ترجمة الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام: (وكان له جلالة عجيبة، وحقّ له والله ذلك، فقد كان أهلاً للإمامة العظمىٰ، لشرفه وسؤدده وعلمه وتألّهه، وكمال عقله)[٤].

وقال في ترجمة الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام: (وكان أحد مَن جمع بين العلم والعمل والسؤدد والشرف والثقة والرزانة، وكان أهلاً للخلافة)[٥].

وقال في ترجمة الإمام جعفر الصادق عليه السلام: (مناقب جعفر كثيرة، وكان يصلح للخلافة، لسؤدده وفضله وعلمه وشرفه رضي الله عنه)[٦].

---

١. راجع ابن سعد، الطبقات الكبرىٰ: ٢/ ٢٧٢؛ الطبري، تاريخ الطبري: ٢/ ٤٥٥؛ الواقدي، المغازي: ٢/ ٦٧٨؛ المسعودي، التنبيه والإشراف: ص٢٤٧؛ ابن قتيبة، الإمامة والسياسة: ١/ ٣٠.

٢. تاريخ الطبري ٤: ٥١؛ الرياض النضرة ١: ٢٣٧؛ منهاج السنة ٢/ ١٧٠؛ الصواعق الحرقة: ص٥٣؛ كنز العمال ٥/ ٤٤٩؛ الطبقات ٣/ ١٩٩. ٢٧٤ عن عائشة.

٣. سير أعلام النبلاء ١٣/ ١٢٠.

٤. المصدر السابق ٤/ ٣٩٨، ١٣/ ١٢٠.

٥. المصدر السابق ٤: ٤٠٢، ١٣/ ١٢٠.

٦. سير أعلام النبلاء ١٣/ ١٢٠؛ تاريخ الإسلام ٩/ ١٦٠.

وقال في الإمام موسىٰ بن جعفر الكاظم عليه السلام: (كبير القدر، جيّد العلم، أولىٰ بالخلافة من هارون)[١].

وقال في ترجمة الإمام علي بن موسىٰ الرضا عليه السلام: (وقد كان علي الرضا كبير الشأن، أهلاً للخلافة)[٢].

وقال الدهلوي: (وقد عُلم أيضاً من التواريخ وغيرها أنَّ أهل البيت ولا سيما الأئمة الأطهار من خيار خلق الله تعالىٰ بعد النبيين، وأفضل سائر عباده المخلصين والمقتفين لآثار جدّهم سيد المرسلين)[٣].

**الإشكال الخامس:**

إنَّ الثاني عشر منهم معدوم عند جمهور العقلاء، فامتنع أن يكون إماماً.

الجواب:

إن كان يقصد المستشكل من عبارة (المعدوم) كونه غائباً فهذا لا يضر، لأنَّ عزة الإسلام ومنعة الدين ومضي الأمر تتأتىٰ وتتسنىٰ بوجود خزانة الحكم الشرعي الواقعي الحقيقي، الذي نزل به جبرئيل علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله عند الإمام، ولو كان غائباً مستتراً، فكونه مستتراً لا يلغي وجوده وإمامته، علىٰ أن عدم ممارسة أهل البيت لدورهم القيادي في زعامة الأُمَّة الإسلامية وخلافتهم عليها لا يقدح بإمامتهم وحصول عزة الإسلام، فمادام ولي الله الأعظم وحجته علىٰ خلقه موجوداً، فهذا يعني وجود السبب المتصل بين الأرض والسماء، ووجود الحجة في الأرض، وأنَّ الإذن لم يحصل بعد.

يقول ابن حجر: (... وفي صلاة عيسىٰ خلف رجل من هذه الأُمَّة مع

١. المصدر السابق نفسه.

٢. المصدر السابق ٩/ ٣٩٢.

٣. مختصر التحفة الاثني عشرية: ص٥.

كونه في آخر الزمان وقرب قيام الساعة دلالة للصحيح من الأقوال إنَّ الأرض لا تخلو عن قائم لله بحجة)[١].

ويقول ابن تيمية: كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ٩)، ولا تزال فيه طائفة قائمة ظاهرة علىٰ الحق فلم ينله ما نال غيره من الأديان من تحريف كتبها وتغيير شرائعها مطلقاً؛ لما يُنطِقُ اللهُ به القائمين بحجة الله وبيناته الذين يحيون بكتاب الله الموتىٰ ويبصرون بنوره أهل العمىٰ فإنَّ الأرض لن تخلو من قائم لله بحجة؛ لكيلا تبطل حجج الله وبيناته)[٢].

وأمّا إذا قصد المستشكل من قوله المعدوم أي عدم الوجود، فهو كلام مبنائي لا يصلح به الإشكال، لأنَّهم يصيبون ويخطئون ولا يوجد عندهم حكم الله الواقعي، وليسوا هم الذين قال عنهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «لا تخلو الأرض من قائم لله بحجّة، إمّا ظاهراً مشهوراً أو خائفاً مغموراً لئلا تبطل حجج الله وبيّناته»[٣]، علىٰ أنَّ في حديث الاثني عشر دلالة واضحة علىٰ حياته وولادته ووجوده منعاً عن غياب الحجة علىٰ الناس بعد الإمام العسكري عليه السلام، هذا من جهة، ومن جهة ثانية أنَّه لمّا قال النبي صلى الله عليه وآله في بعض صيغ الحديث: «لا يزال الدين قائماً حتّىٰ تقوم الساعة»، عُرف منه الدوام والاستمرار، ودلَّ هذا علىٰ وجوده وحياته وطول عمره الممتد إلىٰ آخر الزمان وقيام الساعة، فحديث الاثني عشر دلَّ علىٰ خلافة وحياة المهدي المنتظر عجل الله فرجه.

**دفع دخل فيما يتعلق بالتقية:**

قد يقول القائل: إنَّ معرفة أسماء الأئمة الذين اختارهم الله وفرض

١. فتح الباري ١٠/ ٢٥١؛ عُمدة القاري ١٦/ ٤٠.

٢. فتاوي ابن تيمية ٦/ ٦٨.

٣. نهج البلاغة شرح محمّد عبده ٤: ٣٧ (١٤٧)؛ كتاب تاريخ دمشق ٥٠/ ٢٥٤.

طاعتهم علىٰ العالمين والتي لا نجاة لمسلم إلَّا بها - حسب مدَّعىٰ الاثني عشرية - أمرٌ ينبغي أن يُعلن ويُنشر، لا أن يُخفىٰ ويُستر عند فرد أو يكون من وراء التقية، خصوصاً أنَّها أصل من أصول الدين عند الاثني عشرية؟

قلت:

١ - الحال والأجواء والظروف التي حصلت في ملابسات ومحنة الإمامة وتعيين الأئمة هي نفسها التي حصلت للأنبياء ومحنتهم وتعيينهم عند أُممهم وناسهم ومجتمعاتهم، رغم أنَّ النبوة هي أيضاً أصل من الأصول، بل تتوقف عليها الإمامة، فالحال هناك هو الحال هنا.

٢ - إنَّ الإخفاء الموجود لم يحصل كيفاً ولا صار اختياراً، إنما هي السلطات المتعاقبة الظالمة والأحزاب الغاشمة وخصوصاً من أسّس أساس الظلم علىٰ أهل البيت عليهم السلام يوم السقيفة[١] ومن قبله كما حصل في رزية يوم الخميس كما في تعبير عبد الله بن عباس[٢] حيث كانت البداية وأول المواقف الصريحة والمعلنة التي صار فيها إقصاء لأهل البيت عليهم السلام.

**الإشكال السادس:**

هناك بعض الروايات ذكرها الشيخ الكليني تشير إلىٰ أنَّ الأئمة ثلاثة عشر وليس اثني عشر، وهو يعارض تلك الروايات الناصّة علىٰ (الاثني عشر) ومن تلك الروايات:

**أولاً:** ما رواه الكليني عن محمد بن يحيىٰ عن محمد بن الحسين عن ابن محبوب عن أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام، عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: (دخلت علىٰ فاطمة عليها السلام وبين يديها لوح فيه أسماء الأوصياء من ولدها

١. الإمامة والسياسة: ١/ ١٢-١٥؛ تاريخ الأُمم: ٢/ ٤٥٥-٤٥٦.

٢. صحيح البخاري: ١/ ٣٤.

فعددت اثني عشر، آخرهم القائم عليه السلام ثلاثة منهم محمد، وثلاثة منهم عليّ...)[١].

اثنا عشر إماماً (من ولدها) أي من ولد فاطمة عليها السلام ومع الإمام عليّ عليه السلام يكون المجموع ثلاثة عشر إماماً.

الجواب:

١ - إنَّ قول جابر في الرواية: (من ولدها) غير موجود في بعض الروايات، وبنفس السند؛ ففي رواية الصدوق في (الخصال) لم يذكر ذلك القول[٢]، وفي روايته في عيون أخبار الرضا عليه السلام لم يذكر القول أيضاً[٣]، وفيهما قوله: (وأربعة منهم عليّ عليه السلام)، فيحتمل وقوع الزيادة سهواً إذا ما علمنا أنَّ رواية اللوح مروية بغير طريق أبي الجارود ولم يكن فيها هذا التشويش في العدد.

٢ - إذا تنزَّلنا عن السند أو السهو، فيمكن أن يكون قصدها بالاثني عشر هم الأوصياء جميعاً بما في ذلك أمير المؤمنين عليه السلام وبقولها: (من ولدها) بما لا يشمل المجموع، فيكون المقصود أن هؤلاء الأئمة عدا زوجها أمير المؤمنين كلهم من ذريتها، والدليل علىٰ هذا المعنىٰ أنَّ المتن في الرواية لم يذكر غير هؤلاء الاثني عشر.

٣ - سلمنا جدلاً بسندها وظاهر دلالتها، ولكن مع ذلك لا تقاوم التواتر والتسالم علىٰ كون الأئمة اثني عشر ولا تعارضه.

**ثانياً**: روىٰ الكليني بسنده عن أبي سعيد العصفري عن عمرو بن ثابت عن أبي الجارود عن أبي جعفر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إني واثنا عشر من ولدي وأنت يا علي زر الأرض يعني أوتادها وجبالها...»[٤].

---

١. الكافي ١/ ٥٣٢.

٢. الخصال: ص٤٧٧.

٣. عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١/ ٥٢.

٤. الكافي: ١/ ٥٣٤.

الجواب:

١ - هناك سهو في النقل، لأنَّ الموجود في أصل العصفري الذي يروي الكليني عنه هو: (وأحد عشر من ولدي) و(الأحد عشر من ولدي)[١].

٢ - لو سلَّمنا بالنقل وعدم وقوع السهو، فيمكن أن يكون قصد النبي صلى الله عليه وآله بالاثني عشر من الولد مع دخول فاطمة عليها السلام، فهي أيضاً وتد من تلك الأوتاد، وهي أيضاً معصومة، خصوصاً أنَّه صلى الله عليه وآله لم يقل: اثنا عشر إماماً، بل قال: «من ولدي».

٣ - لو أبقينا الرواية علىٰ ما هي عليه من الظاهر بلا تأويل أو تقدير، فهي أيضاً لا تقف أمام تواتر وتسالم عدد الأئمة من كونهم اثني عشر وفي ضمنهم أميرهم وسيدهم وأولهم (علي بن أبي طالب عليه السلام).

**ثالثاً**: وفي الكافي أيضاً بسنده عن زرارة، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «الاثنا عشر إماماً من آل محمد عليهم السلام كلهم محدث، من ولد رسول الله صلى الله عليه وآله ومن ولد علي عليه السلام فرسول الله وعلي هما الوالدان»[٢].

الجواب:

١ - هذه الرواية وردت في كتاب (الإرشاد) نقلاً عن الكليني بشكل آخر، وهو بالشكل التالي: (الاثنا عشر الأئمّة من آل محمد كلّهم محدّث، علي بن أبي طالب وأحد عشر من ولده) فيحتمل سهو الناسخ.

٢ - مما يؤكد وجود الخطأ في النسخ أنَّ الشيخ الكليني أوردها في باب (ما جاء في الاثني عشر والنصّ عليهم عليهم السلام، وهذا يعني: أنَّ الرواية في صدد بيان عدد الاثني عشر وتثبيته وتأكيده فلو كان ثلاثة عشر لكان خلاف الغرض والعنوان.

---

١. الأُصول الستّة عشر: ص١٦، أصل أبي سعيد عباد العصفري.

٢. الكافي: ١/ ٥٣١.

٣ - لو غضضنا النظر عن السهو والاشتباه والتقدير والتأويل فهي أيضاً لا تعارض تواتر وتسالم روايات الاثني عشر كمّاً وكيفاً.

**الإشكال السابع:**

روايات الاثني عشر معارضة بما رواه الشيخ الطوسي وغيره عن الأئمة عليهم السلام من وجود مهديين بعد الإمام الثاني عشر، وهذا يبطل حصر الأئمة بالاثني عشر، ومن تلك الروايات:

أولاً: ما رواه الطوسي بسنده عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله في الليلة التي كانت فيها وفاته لعلي عليه السلام: «يا أبا الحسن أحضر صحيفة ودواة»، فأملا رسول الله صلى الله عليه وآله وصيته حتىٰ انتهىٰ إلىٰ هذا الموضع فقال: «يا علي، إنَّه سيكون بعدي اثنا عشر إماماً ومن بعدهم اثنا عشر مهدياً، فأنت يا علي أول الاثني عشر إماماً، سماك الله تعالىٰ في سمائه علياً المرتضىٰ، وأمير المؤمنين، والصديق الأكبر، والفاروق الأعظم، والمأمون، والمهدي، فلا تصح هذه الأسماء لأحد غيرك. يا علي أنت وصيي علىٰ أهل بيتي حيهم وميتهم... فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلىٰ ابنه محمد المستحفظ من آل محمد عليهم السلام. فذلك اثنا عشر إماماً، ثم يكون من بعده اثنا عشر مهدياً، فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلىٰ ابنه أول المقربين له ثلاثة أسامي: اسم كاسمي واسم أبي وهو عبد الله وأحمد، والاسم الثالث: المهدي، هو أول المؤمنين»[1].

الجواب:

١ - هذه الرواية فيها مجاهيل، فأحمد بن محمد بن الخليل مهمل في كتب الرجال، لم يذكروه بمدح ولا ذمّ، وفيها جعفر بن أحمد المصري وهو مهمل أيضاً، وغيره.

١. الغيبة: ص١٥٥.

٢ - هذه الرواية بعد الغض عن ضعف سندها، دلالتها ومفادها لا ينهض ليقاوم عشرات الروايات التي حددت الأئمة (بالاثني عشر) وأنهم هم لا غيرهم (المعصومون) و(المهديون) و(المنتجبون) و(الصادقون) و(ابن تلو أب) و(ثلاثة منهم محمد وثلاثة منهم علي) و(أهل البيت) ولهذا أعرض عنها وحكم بشذوذها كل من تعرض لها من العلماء[1].

٣ - الرواية ذكرت أنَّ للمهدي عجل الله فرجه ولداً، ولهذا الولد ثلاثة أسماء، وهذا معارض أيضاً بالروايات التي لم تذكر هذا الشيء وأنَّ الأسماء الثلاثة أصلاً هي للمهدي وليس لولده المزعوم، فقد روىٰ الشيخ الطوسي بسنده عن حذيفة، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وذكر المهدي فقال: «إنَّه يبايع بين الركن والمقام اسمه أحمد وعبد الله والمهدي، فهذه أسماؤه ثلاثتها»، فتجد أنَّ الضمير (له) راجع إلىٰ الإمام المهدي عجل الله فرجه وليس إلىٰ ابنه.

٤ - كل دعوة للنيابة أو للسفارة أو للوكالة في زمن الغيبة عن الإمام المهدي عجل الله فرجه لا تدل عليها هذه الرواية لأنَّ الرواية تصرِّح بأنَّ هؤلاء إنَّما هم بعد القائم، وعليه الذي سيحسم النزاع ويحل الشفرة ويضع النقاط علىٰ الحروف هو الإمام الثاني عشر المنتظر عجل الله فرجه، فلمّا يظهر، لك أن تسأله عن معنىٰ ودلالة هذه الرواية، وهل سيأتي بعده أحد أم لا؟! أمّا الآن فلا ثمرة من الحديث ولا داعي له؛ لأنَّ هذا الغموض والإجمال والشبهة الحاصلة كله فرضه بعد قيام القائم، فإذا حضر صاحب الأمر سينبئك بالأمر، وكما قالوا: إذا حضر الماء بطل التيمم.

وهذا الجواب وغيره جارٍ في أمثال هذه الرواية وما قاربها.

والحمد لله رب العالمين

---

١. راجع المفيد، محمد بن محمد بن النعمان: الإرشاد في معرفة حجج الله علىٰ العباد: ص٣٦٢؛ كشف الغمة في معرفة الأئمة: ٣/ ٢٦٦؛ إعلام الورىٰ بأعلام الهدىٰ: ٢/ ٢٩٥.

المعود
ALMAUOOD

# الإيمان بالإمام المهدي عجل الله فرجه وعدمه
# رؤية نهاية التاريخ في الفلسفة الغربية نموذجاً

مجتبىٰ السادة

الإيمان بالإمام المهدي المنتظر (المُخلّص) هو جزء من العقيدة الإسلامية حيث يُعتقد بخروجه في آخر الزمان لإصلاح البشرية وإقامة العدل والمساواة علىٰ وجه الأرض، وهذا يمثل اصطلاحاً نهاية التاريخ وبداية حقبة جديدة تسودها العدالة وتحكمها قوانين السماء.

وبقراءة سريعة لموقف العالم الغربي[1] تجاه هذا المعتقد، فإنَّ الإيمان بالمهدي أو بعبارة أخرىٰ (المُخلّص) ليس جزءاً من العقائد الرئيسية في العالم الغربي العلماني، فالغرب يتميَّز بتنوعه الثقافي ويحتوي علىٰ مجموعة مختلفة من المعتقدات والأديان، إلّا أنَّ فكرة المُخلّص آخر الزمان - مع تعدد الهوية أو المسمىٰ - لم تحظَ بانتشار واسع في الثقافة والرأي العام الغربي وبالخصوص لدىٰ النخبة من المفكرين والفلاسفة.

---

١. نقصد بمصطلح الغرب أو العالم الغربي الإشارة للمفهوم الأيديولوجي أكثر منه للمعنىٰ الجغرافي، ونقصد به الهوية ذات الدلالات الفكرية والثقافية والسياسية، وفي المجمل هو يشمل فضاءات الأنظمة الفكرية لمجموع الدول الغربية (أوربا وأمريكا معاً) وكل منظومة أو سياق يؤمن بأفكار ومعتقدات المركزية الغربية كأستراليا مثلاً، ومن جهة أخرىٰ يرتبط مفهوم الغرب بالجذور الأسطورية للحضارة الإغريقية والرومانية.

بالتأكيد اعتقاد الشعوب الغربية في (المخلص آخر الزمان) يختلف بناءً على الخلفية الدينية والثقافية للأفراد، فمثلاً في الديانة المسيحية الاعتقاد بالمُخلّص يرمز إلىٰ عودة السيد المسيح للعالم في النهاية الأخيرة لإقامة الملكوت السماوي والقيام بالحكم العادل، وهذا الاعتقاد مشترك بين المسيحيين المتدينين في العالم بما في ذلك الشعوب الغربية، بشكل عام يمكننا القول: إنَّ الاعتقاد (بالمُخلّص آخر الزمان) ليس منتشراً في الثقافة الغربية العامة بنفس المستوىٰ كما هو الحال في بعض التيارات المسيحية الأخرىٰ في العالم[1]، ومع ذلك لا يزال هناك بعض الأفراد والجماعات في الغرب يؤمنون بهذا الاعتقاد ويعتبرونه كجزء من معتقداتهم الدينية.

ولذا نرىٰ أنَّ الإلحاد[2] في الغرب ينتشر بين المفكرين والفلاسفة والأفراد العاديين، وهناك نسبة لا بأس بها لمن يعتنق المواقف الإلحادية الصريحة وينكر وجود الإله أو الروحانيات بشكل كامل، ولكن لا يمكننا القول بأنَّ الإلحاد

---

١. أظهرت دراسة لمؤسسة بيرتلسمان الألمانية عام ٢٠١٦م أنَّ عدد المتدينين من فئة الشباب المسيحي في الدول النامية أكبر مقارنة بنظرائهم في أوروبا، فعلىٰ سبيل المثال: أظهرت الدراسة أنَّ (٨٠٪) من الشباب البروتستانت خارج أوروبا متدينون بقوة مقارنة بـ(٧٪) في أوروبا، والأمر نفسه ينطبق علىٰ الشباب الكاثوليك، إذ إنَّ عدد المتدينين منهم في أوروبا يصل إلىٰ (٢٥٪)، بينما يبلغ عددهم خارج أوروبا (٦٨٪).

٢. الإلحاد: هو مصطلح يشير إلىٰ نقص الإيمان بالآلهة أو الروحانيات والانحياز نحو المواقف العقلانية والعلمية في تفسير العالم والحياة، وفي سياق المجتمع الغربي يعتبر الإلحاد ظاهرة منتشرة ولها تأثير كبير في الثقافة والرأي العام الغربي، بشكل عام: يُقدر عدد اللادينيين في أوروبا بحوالي ١٣٤ مليون نسمة، أي ما يشكل ٢٥٪ من سكان أوروبا، وخلال أواخر القرن العشرين كان هناك اتِّجاه متزايد في الإلحاد، فمثلاً: خلال الفترة بين الأعوام ٢٠٠٧ و٢٠٠٨ طلب استطلاع أجرته مؤسسة غالوب في العديد من الدول الأوروبية الإجابة عن السؤال (هل الدين يحتل مكانة هامة في حياتك؟)، في استونيا كانت أعلىٰ نسبة لمن أجاب بـ(لا) إذ بلغت النسبة ٨٤٪، جمهورية التشيك بلغت النسبة فيها ٧٤٪، الدول الإسكندنافية أيضاً نسبة عالية أجابوا بـ(لا). كذلك الأمر في ألبانيا حيث النسبة ٦٣٪ وهولندا ٦٦٪، وغالبية الدول الأوروبية تتبنّىٰ النظام العلماني.

هو الاتِّجاه السائد في الغرب مطلقاً، حيث لا يزال الدين والمعتقدات الروحية لها وجود وتأثير في الحياة الثقافية والاجتماعية للأفراد.

إنَّ الهدف الرئيسي لهذا البحث يتجلىٰ في استشفاف أثر عدم الإيمان بالمخلص الإلهي الموعود آخر الزمان (المهدي المنتظر) علىٰ رؤىٰ وتصورات النخب الفكرية الغربية، وسنقتطف في دراستنا هذه رؤية واحدة كمعالجة ومثال لهذا الأثر، وسنختار واحدة من أهم الأفكار الفلسفية المتداولة علىٰ الساحة الثقافية الغربية، ففي الآونة الأخيرة اكتسبت النظريات والفرضيات الفلسفية حول نهاية التاريخ أهمية كبيرة في المناقشات، فنحاول المقارنة بين رؤىٰ الفلاسفة الغربيين وبين أطروحات الديانات السماوية لمستقبل البشرية.

**لماذا الإيمان بالمُخلّص الإلهي[1] (الإمام المهدي عليه السلام)؟**

الإنسان دائماً يحدق بالمستقبل ويتطلَّع لاستشراف غده، ويندفع إلىٰ معرفة ما يخبئ له الغد من خير أو شر، وتشتد هذه الحالة في الأزمات الخطيرة والحرجة التي تتعرَّض لها المجتمعات، والتي تثير أمامهم قلقاً واضطراباً كبيراً، وبشكل عام هذه إحدىٰ هواجس الإنسان الهامة والمنبعثة من روحه الباحثة عن المعرفة والمتعطشة لاستكشاف المستقبل والاطلاع علىٰ حيثيات وتفاصيل نهاية التاريخ البشري.

ليس ثمة شك في أنَّ المجتمع البشري يهدف ويطمح إلىٰ أن يعيش في وضع من الهدوء والاستقرار في المستقبل، ويتمتع بالرفاهية والرخاء، ويتخلص من الظلم والجور وويلات الحروب ومنغِّصات الحياة، ومن المؤكد أنَّ البشرية لم تحقق هذه الأمنية عملياً حتَّىٰ الآن، ولكن هذا النمط من التفكير العقلي والمنسجم مع الوجدان الإنساني، ومع شمولية هذه الأمنية، واستمرار هذه

١. لمزيد من التوسع في هذا الموضوع ارجع إلىٰ كتاب: تعريف المهدوية للحضارات الأخرىٰ، مجتبىٰ السادة، أطياف للنشر – القطيف، ط أولىٰ ١٤٤١ هـ، ٢٠٢٠م.

الغاية عند جميع البشر، وديمومة هذه النزعة لدىٰ الناس علىٰ مرِّ التاريخ، يمنحنا بشارة قطعية بأنَّ البشرية ينتظرها عصر مثالي يسوده العدل والمساواة والكمال، وتتحقق فيه جميع متطلبات واحتياجات الإنسانية بنسبة كاملة.

إنَّ التعاليم الربانية أرست فكرة نهاية التاريخ عبر عقيدة (المُخلّص) وأكَّدت علىٰ ذلك في تراث كل الأديان السماوية بصيغة واضحة، وهذا ما يؤمن به الملتزمون بتعاليم المدارس الإلهية، أمّا الأفراد أو المجتمع ذو النزعة العلمانية والأفكار المادية فإنَّه ينظر إلىٰ عقيدة المخلص أو الأطروحة في صيغتها النهائية (المهدوية) من قبيل نظرته إلىٰ أفكار الشعراء التي تفتقد بنظره لأيَّة قيمة واقعية، علماً بأنَّ فكرة المخلص واحدة من سنن الله تعالىٰ في الحياة غايتها الهداية والإصلاح.

من المؤكد أنَّ ما نحتاج إليه لإدراك أصل مفهوم المخلص أو المنقذ الموعود (المهدوية) وإثباتها، لا يتسنَّىٰ إلَّا بإحدىٰ الطرق المعرفية والمنطقية التالية - سواء كان عن طريق (الفطرة الإنسانية) أو عن طريق (الاستدلال العقلي) أو عن طريق (الإرشاد السماوي) - وبهذا النوع من التفكير وبهذا المنهج الاستدلالي يمكن العثور علىٰ المعارف الغيبية والمعنوية بدلائل وحجج كافية، وإنَّ الثمرة التي تعود من نهج الطريق العقلي والاستدلال المنطقي تفضي إلىٰ أن تكون فكرة المخلص آخر الزمان سائغة وقابلة للإحاطة والإدراك لمن يتحلَّىٰ بهذا الأسلوب من التفكير والتحليل.

**أولاً: المُخلّص وبرهان الفطرة:**

الفطرة: هي الخلقة التي خلق الله عباده عليها، فجُبِلَ الإنسان علىٰ محبَّة الخير وإيثاره، وكراهة الشر ودفعه، وفُطِر علىٰ حبِّ الفضائل، فكل إنسان يولد بفطرة سليمة صافية كاملة، بحيث إذا بقي بعيداً عن تأثير العوامل الخارجية (الوراثة والبيئة) سلك طريق الحق، ويكون إدراكه لحقائق الأشياء

مستقيماً وبإحساس صادق، بسبب الحواس السليمة وما يتلقاه العقل السليم، وهكذا فإنَّ النزوع إلىٰ الله إلىٰ مخزون في الإنسان وفطرته، وكذلك الميل إلىٰ العدل والصدق والمكارم مخزون بإحكام في أصول الفطرة الإنسانية، وهذا الإحساس يجذب الفرد نحو الكمال المعنوي.

إنَّ طريق الفطرة الصافية هو السير في داخل الذات الإنسانية، وتأمل الوصول إلىٰ مطلق الكمال، أمّا حين يكون العالم الخارجي منسلخاً ومخالفاً لفطرة الإنسان (كانتشار الظلم والفساد مثلاً)، فإنَّ هذا يعد زيغاً وانحرافاً عن مقتضىٰ الفطرة نفسها، فتدفعه غريزته وتجبِله علىٰ الانجذاب نحو التغيير لما يتوافق مع أصل خلقة الإنسان، وعلىٰ هذا الأساس يصبح كل فرد منساقاً إلىٰ العدل والمساواة (مبتغىٰ الفطرة) كمطلب يحبه الناس في حياتهم وهو من صميم فطرتهم السليمة، وعندما لا يستطيع الفرد تغيير العالم الخارجي الذي يحتوي ما يخالف فطرته، يتحوَّل مبتغىٰ الفطرة إلىٰ أُمنية ينتظر تحقيقها، وهكذا هي فكرة الخلاص عند الإنسان، نابعة من فطرة الإنسان وينتظر تحويلها إلىٰ أمر واقع، وهي تتماشىٰ مع أي فطرة صافية، وتمثل قاسماً مشتركاً عاماً بين أفراد البشرية كافة.

إنَّ عقيدة المخلص ثابتة في النفس البشرية والوجدان الإنساني لا تتغير مهما مضىٰ الزمان أو طرأت تحولات وتطورات تاريخية ما لم تتحقق علىٰ أرض الواقع، باعتبارها حقيقة مترسخة في نفس الإنسان لها جذور ممتزجة بالفطرة والطبيعة البشرية.

إنَّ حتمية ظهور المخلص في الفكر الإنساني عموماً انعكاس لحاجة فطرية، وتزداد هذه الحاجة إلحاحاً كلما زاد الظلم واستشرىٰ الفساد، مما يكشف عن صدىٰ للإحساس الغريزي المتأصل لهذه الفكرة في عمق النفس البشرية، وما الدعوة إلىٰ (المدينة الفاضلة) كما عبَّر عنها الفلاسفة قديماً

وحديثاً عبر التاريخ، إلَّا تعبيرٌ عن هذه الحاجة والإحساس، ولذا فإلهام الفطرة الإنسانية بالحاجة الملحة إلىٰ المخلص أمر مشترك بين كل البشر، ولكن انتظارها وترقبها يختلف عند الشعوب والأُمم ويتفاوت حسب الظروف والواقع النفسي لكل مجتمع.

**ثانياً: المُخلِّص وطريق الاستدلال العقلي:**

العقل: هو مجموعة من القوىٰ الإدراكية التي تتضمن الوعي والمعرفة والتفكير والحكم و... و... وهو غالباً ما يعرف بمَلَكَة الشخص الفكرية والإدراكية، وباستخدامه يستطيع الإنسان إثبات الأمور وبرهنتها، وهذا يتضمَّن التعمُّق في التفكير والتأمُّل، حيث يقوم العقل بتحليل المعلومات والأحداث ودراستها لاستنباط الحقائق والنتائج التي توصل إلىٰ المعرفة.

فالعقل هو مصدر آخر ومهم من مصادر المعرفة الإنسانية، وعن طريقه يستطيع الفرد إدراك الحقائق وفهم المعاني الكلية، ولذا فإنَّ القضايا المعنوية والغائبة والتي نود إدراكها ومعرفتها بمقدورنا أن ننهج طريق الاستدلال العقلي الذي وهبه الله تعالىٰ لنا لنصل إلىٰ ما نريد، وإدراك المفاهيم واستخلاص الحقائق، ومن بين الحقائق التي يدركها العقل حقيقة (المُخلّص الموعود) كفكرة واقعية، حيث إنَّ العقل السليم يقضي بأنَّ الخير لابدّ أن ينتصر في نهاية المطاف، ويسود التوحيد والعدل علىٰ كافة الأرض المعمورة، وهذا ليس نابعاً من الرغبة أو العاطفة عند المستضعفين، بل نتاج لتفكير وتحليل عقلي يؤكد ذلك بناءً علىٰ:

- أنَّ الخالق أَمَر عباده باتِّباع طريق الخير والحق، ولابد أن يقيم الحجة عليهم بإمكانية قيام (الدولة الفاضلة لكل البشرية)، يتجسَّد فيها التوحيد والعدالة والفضيلة كأساس لها، حتَّىٰ لا يتذرَّع أحد بكونها غير ممكنة التطبيق.

o أنَّ البشرية لابد لها أن تتحرَّك ضد الظلم والفساد مهما طال الزمن، وفي مسيرتها التاريخية لابدّ أن تصحح مسارها وتصل إلىٰ إقامة مجتمع العدل والرخاء، باعتبار ذلك يمثل الأمنية الكبرىٰ للبشرية والمنبعثة من الفطرة الإنسانية، بضرورة القضاء علىٰ الظلم والجور بشكل نهائي وشامل.

وعلىٰ ضوء ذلك، فلابد أن يقود شخص (المُخلّص) عملية التغيير والثورة العالمية الشاملة، وهذا ما توصَّل إليه العقل الإنساني عن طريق استقراء أطوار التاريخ ودراسة سننه، وهكذا يلتقي العقل البشري مع الحاجة الفطرية الإنسانية في ضرورة خلاص البشرية علىٰ يد جهة تطبق ذلك، وتحقق الأمنية الإنسانية الكبرىٰ وتقيم أهداف الرسالات السماوية.

**ثالثاً: المُخلِّص وطريق الإرشاد السماوي:**

الوحي: الوسيلة والصلة بين الخالق والخَلق، ويتم من خلاله تبيان الرسالة الإلهية، وهذا المصدر من المعرفة يعد من أهم وأغنىٰ وأسمىٰ المصادر التي تلقاها الإنسان وهو مرتبط بعالم الغيب، ويعتبر إدراكاً خاصاً متميزاً عن سائر الإدراكات.

إنَّ طرق وأدوات المعرفة يستفاد منها في مجالات عديدة ومختلفة، فالحواس تختص في مجال الماديات والمحسوسات، والعقل في مجال معين بناءً علىٰ مبادئه وإمكانياته، أمّا مجال الوحي فهو أوسع نطاقاً وأكثر شمولية، كما أنَّه نافذ في جميع الأصعدة، ولذا توجد حقائق لا يدركها العقل، ولا تصل إليها الحواس، ويختص بنقلها الوحي، الذي يزوِّد الإنسان بمعرفة موضوعية ذات حقائق بالوجود، ويقف علىٰ مكنونها وماهيتها الحقيقية، ولا سيما الموضوعات المتعلقة بالذات الإلهية والعوالم الأخروية، فإنَّها تظل خارج دائرة استيعاب العقل والحواس، فالله تعالىٰ وحده هو المحيط بكل شيء وبهذه الموضوعات، ونصيب العباد من العلم الإلهي محدود بقدر إخبار الله تعالىٰ لهم.

والذي لا شك فيه، أنَّ الكتب السماوية التي أنزلها الله تعالىٰ علىٰ رسله وأنبيائه من خلال الوحي تضمنت الشرائع والأحكام والمبادئ والقيم التي ترشد وتهدي الناس إلىٰ الحق والفضيلة، كما تضمَّنت معارف وحقائق تعجز مدارك الإنسان عن معرفتها أو الإحاطة بها مثل: الإخبار بالأمور الغيبية المستقبلية، سواء الأخروية (الموت والقيامة) أو الدنيوية (المستقبل ونهاية التاريخ)، علماً بأنَّ هذه المعلومات والمعرفة تحقق التوازن والانسجام للإنسان لصدورها من الخالق.

وقد لمسنا مواطن كثيرة في التراث الديني السماوي مثل (التوراة والإنجيل والقرآن) الموجودة والمتداولة في الأيدي تحتوي علىٰ نبوءات وبشارات وإشارات إلىٰ (المُخلّص المرتقب) كهويته وعلامات ظهوره ومعالم دولته وأهدافه وغاياته، والتي لا يمكن الحصول عليها إلَّا عن طريق الوحي، مما جعل أتباع الديانات السماوية متَّفقة علىٰ (أصل الفكرة) وتنتظر زمانه وخروجه، وعليه فالمؤمنون لا يُسلِّمون بصدق أيَّة أطروحة للإصلاح أو الخلاص تشمل البشرية كلها تنبثق من غير طريق الوحي ومنبع النبوة.

بالتأكيد هناك حقائق ميتافيزيقية (ما وراء الطبيعة - غيبية مثلاً) لا يمكن للعقل الخوض فيها مستقلاً، فمن الصعوبة التوصل إلىٰ نتائج عقلية مجردة في الأمور المعنوية، والتي تقوم خارج المبادئ والإمكانيات العقلية (المستقبل مثلاً)، وصعوبة تجرد العقل البشري تنبع من طبيعة الإنسان وإمكانياته.

إنَّ الثمرة التي نستنتجها من نهج أو اتِّباع الطرق المعرفية السابقة: أنَّ فكرة المخلص المنتظر هي فكرة واقعية (العقل)، وهي حاجة بشرية (الفطرة)، وضرورة إلهية (الإرشاد السماوي)، إذن هي حاجة بشرية لما يتطلَّع إليه الإنسان بفطرته من القضاء علىٰ الظلم والفساد والذي يراه منافياً لسنن الانسجام في

الطبيعة، وهي ضرورة إلهية لإقامة الحجة علىٰ الخلق (البشر) بأنَّ إمكانية إقامة الدولة الفاضلة ليست مستحيلة، وأنَّ العقل يدرك من خلال التفكير المنطقي بإمكانية تطبيق ذلك بشكل طبيعي، وهكذا قد تظافرت عدَّة طرق ووسائل واجتمعت في غرس بذرة (المُخلِّص) في عالم البشر منذ فجر التاريخ وحتَّىٰ الآن.

**هل المُخلِّص الموعود هو الإمام المهدي عجل الله فرجه ؟**

إنَّ دور الفطرة وبرهان العقل يثبتان أصل فكرة الخلاص ويبيّنان الخطوط الكلية لحقيقة المُخلّص، والتأكيد علىٰ ضرورة أصل وجوده، ولكن لا يتعرَّضان إلىٰ تحديد الهوية وتعيين الشخصية، إنَّما ذلك يقع علىٰ عاتق الإرشاد والبشارات السماوية، حيث إنَّ هذا المنصب والمقام جعل إلهي، ليس للبشرية نصيب في الاختيار أو الانتخاب مثل تعيين أو تنصيب الأنبياء والرسل، إنَّما يتوفر هذا التشخيص والتحديد عن طريق الدليل النقلي القطعي من التراث الديني السماوي.

أصل فكرة الخلاص والمخلِّص متَّفق عليها بين مختلف الأديان السماوية، إلّا أنَّ الاختلاف قائم حول شخصية وهوية وكيان المخلِّص المنتظر، وهنا نطرح سؤالاً: هل المخلِّص المنتظر هو شخص واحد محدَّد بعينه سيظهر آخر الزمان بصفة المنقذ الموعود، أم هناك أكثر من شخص وبمسميات متعددة؟

للإجابة عن هذا التساؤل الجوهري نشير إلىٰ النقاط التالية:

- الاتِّفاق علىٰ أصل القضية (المخلِّص) والكل يعترف بالمبدأ والمنشأ والمفهوم، وهذا بمثابة تجسيد لعقيدة ثابتة وفكرة واحدة مشتركة عند جميع الديانات السماوية، وهي ماثلة باطِّراد ومترسِّخة، ومن المواضيع البارزة في مسيرة التشريع الرباني.

- منبع الفكرة ومصدرها ومنشؤها هو الوحي الإلهي لكل الأديان الإلهية، ولذا لا يمكن أن تتعارض أو تتناقض القضية فيما بينهم، أو تصطدم مع بعضها.

- وحدة النصوص السماوية، وتشابه الخطاب الديني فيما يخص المصلح العالمي المنتظر عند جميع الأديان الربانية من حيث الجوهر والمضمون والمفهوم.

- ذُكرت القضية في جميع الكتب المقدسة، ودُونت في معظم التراث الديني السماوي، وجميع الأنبياء والرسل قد أشاروا إليها.

- وحدة المخلّص عند جميع الأديان الإلهية يتأكَّد من خلال اجتماع البشرية علىٰ خاتمة واحدة للتاريخ، تحمل نفس الغاية والهدف، وما هو مطلوب تحقيقه علىٰ يد المنقذ الموعود.

- قضية المخلِّص حاجة إنسانية عند جميع البشر، كون الفكرة تتلاءم مع وجدان الفطرة، وتتوافق مع برهان العقل، وتتعاضد مع الإرشاد السماوي.

- روحية الانتظار للمنقذ الموعود موجودة عند جميع الطوائف الدينية والكثير من المجتمعات الإنسانية، وهذا الانتظار يمثل خطوة عملية للإيمان بعقيدة المخلِّص.

- علامات الظهور الكلية ثابتة ومتشابهة عند جميع الأديان السماوية، وقد ذُكرت في معظم الكتب المقدسة، فلا يمكن تشخيص زمن ظهور المخلص إلَّا بها، وهي ضمن أطار التخطيط الإلهي وسننه الكونية، وتعطي صورة لمعالم المستقبل قبل الظهور.

- أنَّ أوان ظهوره عند جميع الأديان والملل سيكون في آخر الزمان، وبعد أن تمتلئ الأرض ظلماً وجوراً وفساداً.

- محور المهدوية والخلاص هو أولوية التوحيد والعدل عند الجميع، وذلك لانحراف المسيرة البشرية عن هذا السياق، ولذا فحقيقتها تعني الثورة على الكفر والفساد بشتّى الأنواع.

- ستتحقق بشارة الأديان والمذاهب السماوية في ظل حكومة عالمية واحدة للمصلح الأعظم، وهذه أمنية كبرى للإنسانية قاطبة على مدى التاريخ.

- المهدي المُخَلِّص ليس حكراً على طائفة دينية أو جماعة معينة، ودولته أو حضارته تبسط هيمنتها على الأرض كافة، وتدمج الأُمم والشعوب تحت لواء حكومته العادلة.

- الاتِّفاق على أنَّ المخلِّص المستقبلي (المرتَقَب) هو شخص وقائد واحد، وليس في نصوص الإرشاد الإلهي ما يشير أو يلمح إلى تعدُّد هذه الشخصية، فالكل يؤكد على ذلك، ولكن الاختلاف بين المتدينين قائم حول هويته.

- الأطروحة المهدوية الإمامية بتفاصيلها الجزئية وأبرز ما يميزها - مثل: الإمامة المبكرة وخطر ظروف الولادة وطول العمر والغيبة -، تشترك بها كتب الأديان السماوية الأخرى، وتتقاطع بحسب النصوص الثابتة لديها.

**البشارات في التراث الديني تنطبق على المخلِّص المهدي عجل الله فرجه فقط:**

فمن غير شك أنَّ الإرشاد السماوي من خلال النصوص في الكتب المقدسة، وكذلك الأخبار المستقبلية والغيبية التي أشارت إلى قضية الخلاص والمخلص، هي عبارة عن نبوءات سابقة أو قرائن عليها، وعند تأملها وقراءتها وتفسيرها بمنطق العقل وبرؤية وبصيرة ثاقبة، وبعيداً عن التعصب الديني والمذهبي، ندرك أنَّها تشير وتدلِّل على شخصية واحدة يكون المحور عليها آخر الزمان، وبما أنَّ المواصفات والخصائص المذكورة في النصوص الدينية

لم تتحقق تاريخياً قبل العهد الإسلامي، ومع ختم النبوة وانقطاع الوحي الإلهي، لذا نجد أنَّها لا تنطبق واقعياً إلَّا على مخلّص أهل البيت عليهم السلام، حيث ذكرت بعض الجزئيات والتفاصيل المطابقة للوقائع التاريخية التي تميزت بها الأطروحة الإسلامية، فمثلاً: تعرض المُخَلّص لخطر القتل والتصفية أثناء ولادته والتي أدَّت إلىٰ غيبته، ثم التأكيد علىٰ أنَّه محفوظ بالرعاية الإلهية أثناء غيبته حتىٰ موعد ظهوره[١] وهذا من خصائص المهدوية، وكذلك باستقراء البشارات والأخبار في التراث الديني نجد أنَّ هناك الكثير من التشابه والتقارب في علامات الظهور الكلية (للإمام المهدي) قد ذكرت في تراث الديانة اليهودية والمسيحية متطابقاً مع الديانة الإسلامية، وهناك أمثلة كثيرة لا يتَّسع المجال لذكرها[٢].

إذن معرفة هذه المواصفات والخصوصيات التي ذكرت في بشارات الكتب المقدسة يقودنا إلىٰ إثبات أنَّ المصلح العالمي المنتظر الذي بشَّرت به جميع الديانات هو في الحقيقة الإمام المهدي بن الإمام الحسن العسكري عليهما السلام، وأنَّ المحصِّلة النهائية لكل تلك البشارات التي تشير إلىٰ المخلِّص آخر الزمان، ليست دلالة علىٰ المخلِّص بعنوانه العام فحسب، بل شخَّصت خصوصيات هويته الحقيقية، من خلال تحديد صفات وتفصيلات لا تنطبق علىٰ غيره، ولا تتوافق إلَّا مع الأطروحة المهدوية الإمامية.

وفي هذا السياق ثمة سؤال يثار: هل المستقبل الذي ينتظره المسلمون يختلف عن المستقبل الذي يترقبه أتباع الديانات والحضارات الأخرىٰ؟

وبمعنىٰ آخر: هل إنَّ الخلاص الذي تنتظره البشرية واحد أم متعدد؟

---

١. حيث وردت الإشارة إلىٰ ذلك بصراحة ووضوح تام في الكتاب المقدس: العهد الجديد (الإنجيل: سفر رؤيا يوحنا: الإصحاح ١٢: ١ - ٦)، وكذلك ذكر أنَّه الثاني عشر من سلسلة مباركة متصلة، نظير ما ورد في العهد القديم (التوراة: سفر التكوين: الإصحاح ١٧: نص ٢١).

٢. لمزيد من التوسع في هذا الموضوع ننصح بمراجعة كتاب: تعريف المهدوية للحضارات الأخرىٰ، الفصل الثاني: المهدوية قاسم مشترك بين الحضارات، مصدر سابق.

أليس (دولة العدل الإلهي) التي سيقيمها الإمام المهدي عجل الله فرجه على الأرض، هي نفسها (حكم الله وملكوته في الأرض) التي سيقيمها السيد المسيح، أم تختلف؟

بالتأكيد هي كيان واحد، مما يكشف عن حقيقة أنَّ الهدف مشترك والمستقبل واحد، وأنَّها دولة واحدة تشمل المعمورة بأسرها، وأنَّ المخلِّص المنتظر واحد، وبذلك تتحقق ثمرة جهود كل الأنبياء والأديان السماوية، وتكون خاتمة المسيرة البشرية ونهاية التاريخ.

**الفرق بين نهاية التاريخ ونهاية الكون:**

مسيرة التاريخ البشري تتجسَّد بين خلق الله سبحانه وتعالىٰ للكون من العدم، وخلق الإنسان ليؤدي مهمته في إعمار الأرض، ثم يموت الإنسان ويبعث بعد ذلك ويقف بين يدي الله تعالىٰ ليحاسبه علىٰ أعماله، وهذا يشمل الناس جميعاً من بداية الخلق وحتَّىٰ النهاية، ويكون البعث والجزاء والحساب في يوم القيامة.

في محور حديثنا عن نهاية التاريخ لا نقصد - تلك النظريات أو الفرضيات الفيزيائية حول نهاية الكون (أي يوم القيامة) أو الأفكار التي تتنبأ بنهاية العالم أو نهاية الزمن[1]، بل بحثنا يصب اهتمامه وتركيزه حول مفهوم

١. علماً أنَّ تصور نهاية الكون عند العلماء الغربيين يعتمد علىٰ تصورهم لشكل الكون: (يختلف علماء الفلك والفيزياء الغربيون في تصورهم لشكل الكون في معطيات ثلاثة: الكثافة الفعلية لمادة الكون، وكثافة الحد الحرج للكون، وكمية المادة أو الطاقة في الكون)، وأبرز الفرضيات العلمية الغربية الحديثة التي تصور نهاية الكون هي: فرضية مفردة الانفجار الكبير، أو فرضية تضخم المجال الكمي، أو فرضية الارتداد الكبير، أو فرضية الكون الموازي، أو فرضية الكون الدوري المطابق، علماً بأنَّ جميع فرضيات الفيزيائيين الغربيين مخالفة إجمالاً للأطروحة القرآنية الكونية حول بداية ونهاية الزمان والمكان، حيث الرؤية القرآنية للنهاية تعتمد علىٰ مبدأ (المد والتوسعة والطي والنشر)، وهي أطروحة أكثر تفصيلاً وأعمق مضموناً من كل الفرضيات الغربية، لمزيد من التوسع في هذا المجال ينصح بمراجعة كتاب: بداية ونهاية الأكوان بين فرضيات العلم وظاهر القرآن، للسيد حسين الفياض، الطبعة الأولىٰ ٢٠٢٠م.

نهاية التاريخ (أي مستقبل البشرية)، والذي يعني معرفة مسار التاريخ البشري ووضع غاية له، والذي يشير إلىٰ نقطة فاصلة أو محطة نهائية لتطور الحضارات البشرية، أو حدوث تغيير جذري في المجتمعات الإنسانية يؤدي إلىٰ تحقيق حالة مثالية أو هدف نهائي، ويسمَّىٰ هذا التغيير الجذري نقطة نهاية التاريخ، (أي نهاية التطور الاجتماعي والثقافي والاقتصادي والسياسي للإنسان).

وسنشير باختصار إلىٰ الفرق بين مفهوم نهاية التاريخ ومفهوم نهاية الكون في النقاط التالية:

**١ - التعريف:**

- نهاية التاريخ: يشير إلىٰ نهاية الصراعات والتطورات الحضارية، حيث تصل البشرية إلىٰ حالة من الاستقرار والرشد والكمال.
- نهاية الكون: يشير إلىٰ نهاية الوجود المادي للكون، بما في ذلك النجوم والكواكب والمجرات.

**٢ - المنظور:**

- نهاية التاريخ: مفهوم فلسفي وفكري وديني، ويرتبط بأفكار مثل: المهدوية، والمُخلّص، وآخر الزمان.
- نهاية الكون: مفهوم ديني وعلمي، ويرتبط بأفكار مثل: يوم القيامة، والانفجار العظيم.

**٣ - الزمن:**

- نهاية التاريخ: يتحقَّق داخل الزمان الإنساني وعلىٰ الأرض.
- نهاية الكون: نقطة تقع خارج الزمان في الآخرة أي يوم القيامة.

**٤ - التأثير:**

- نهاية التاريخ: تؤثر علىٰ الفكر السياسي والاجتماعي، وتثير نقاشات حول مستقبل الحضارة الإنسانية.

• نهاية الكون: تؤثر على الفكر الديني والفلسفي، وتثير تساؤلات حول معنى الحياة والموت.

**٥ - الأمثلة:**

• نهاية التاريخ: يرى بعضٌ أنَّ سقوط الاتِّحاد السوفيتي يمثل نهاية التاريخ، حيث لم يعد هناك صراع بين الأيديولوجيات الكبرى.

• نهاية الكون: يرى بعضٌ أنَّ نهاية الكون ستحدث بعد اصطدام مجرة درب التبانة بمجرة أخرى.

**نهاية التاريخ في الفكر الفلسفي الغربي:**

اهتمَّ الفلاسفة قديماً وحديثاً بالبحث عن مستقبل البشرية وفكرة نهاية التاريخ، وشكَّل هذا المفهوم مجالاً واسعاً للدراسة والتقصّي في الفلسفة الغربية المعاصرة، وهذا المفهوم في الأصل فلسفي وسياسي، وفي ظل الأوضاع العالمية الصعبة، وتوتر العلاقات بين الشرق والغرب وازديادها تدهوراً، شاعت الدراسات حول نهاية التاريخ في العالم بشكل عام وفي الدول الغربية زادت بشكل خاص، فكثرت الفرضيات والأفكار التي تتنبأ عن مستقبل الإنسان وعلاقة الحضارات مع بعضها البعض، وإلى أين ستصل البشرية مستقبلاً، وجاءت كل هذه النظريات والأطروحات في سياق هيمنة الغرب على العالم في العقود الأخيرة.

وفي هذا السياق لابد أن نلاحظ: أنَّ الفلسفة الغربية في العصر الحديث لم تعد تؤمن أو تبرر الرؤية الدينية وغايتها، بل أصبحت لها رؤيتها الخاصة وأفكارها العلمانية المستقلة، ومن هذه الرؤى فكرة (نهاية التاريخ)، إذ يشير المفهوم في الفكر الفلسفي الغربي إلى توقعات فلسفية حول وصول مسار التطور البشري إلى نقطة توقف، حيث تنتصر أيديولوجية أو نظام اجتماعي

معين بشكل نهائي، مما يضع حداً للصراعات التاريخية، وفي هذه السطور سنتعرف باختصار شديد على أهم النظريات والفرضيات التي طرحها فلاسفة الغرب والأكثر شهرة في هذا المجال:

**(١) نظرية هيجل لنهاية التاريخ[١]:**

تُعد نظرية هيجل[٢] لنهاية التاريخ من أهم الأفكار التي طرحت في فلسفة التاريخ في الفكر الغربي، ويرىٰ أنَّ التاريخ ليس مجرد سلسلة من الأحداث العشوائية، بل هو عملية تطورية ذات اتِّجاه محدَّد، حيث تتكشف الروح المطلقة عبر الصراعات.

يقسم هيجل التاريخ إلىٰ ثلاث مراحل رئيسية:

- المرحلة الأولىٰ: هي مرحلة الوعي الذاتي، حيث يبدأ الإنسان في إدراك نفسه كموضوع منفصل عن العالم.
- المرحلة الثانية: هي مرحلة الموضوعية، حيث يركز الإنسان علىٰ العالم الخارجي ويحاول فهمه.
- المرحلة الثالثة: هي مرحلة الروح المطلقة، حيث يتَّحد الإنسان مع العالم الخارجي ويصل إلىٰ فهم كامل للواقع.

**نهاية التاريخ:** يعتقد هيجل أنَّ التاريخ سينتهي في المرحلة الثالثة عندما تتحقق الروح المطلقة، في هذه المرحلة ستصبح الدولة تجسيداً للعقل المطلق، وستختفي جميع الصراعات والتناقضات، ويُعد مفهوم (الدولة العقلانية)

١. هيجل: كتاب العقل في التاريخ، الجزء الأول من محاضرات في فلسفة التاريخ، ترجمة: د. إمام عبد الفتاح إمام، دار التنوير - بيروت، الطبعة الثالثة ٢٠٠٧م.

٢. جورج فيلهلم فريدريش هيجل، فيلسوف ألماني (١٧٧٠-١٨٣١) Friedrich Hegel، يُعتبر واحداً من أهم الفلاسفة في علم التاريخ، وله تأثير كبير علىٰ الفلسفة الغربية.

مركزياً في نظرية هيجل لنهاية التاريخ، ويرىٰ أنَّ الدولة هي تجسيد للعقل المطلق، وأنَّها تمثل أعلىٰ مستوىٰ من التطور البشري.

**الخلاصة:** اعتبر هيجل أنَّ نهاية التاريخ ستتحقق في سيادة (الدولة العقلانية) التي تجسد الحرية، وأنَّ العقل هو وحده الذي سيوجه العالم.

**أبرز نقاط النقد للنظرية:** أنَّ نظرية هيجل تبسّط مسار التاريخ المعقد، وكان تركيزها علىٰ أوروبا والمجتمع الغربي، متجاهلة تنوع الثقافات في العالم والصراعات المستمرة.

**(٢) نظرية ماركس[١] لنهاية التاريخ:**

طرح كارل ماركس[٢]، نظرية حول نهاية التاريخ في سياق فلسفته حول الصراع الطبقي والتطور الاجتماعي، وتتضمن نظريته: أنَّ التاريخ ينقسم إلىٰ مراحل رئيسية هي:

١. **الشيوعية البدائية:** مجتمع يسوده المساواة والملكية المشتركة.

٢. **العبودية:** سيطرة طبقة علىٰ أخرىٰ واستغلالها.

٣. **الإقطاعية:** ملكية الأرض من قبل طبقة النبلاء واستئجار الفلاحين للعمل فيها.

٤. **الرأسمالية:** سيطرة رأس المال علىٰ وسائل الإنتاج واستغلال الطبقة العاملة.

---

١. نظرية ماركس في التاريخ - ويكيبيديا، كتاب: نهاية التاريخ - هنري لوفيفر ترجمة: فاطمة الجيوشي - وزارة الثقافة السورية ط ٢٠٠٢م، كتاب: فلسفتنا - محمد باقر الصدر - دار التعارف بيروت ط٣ - ٢٠٠٩م.

٢. كارل هاينريش ماركس (Karl Heinrich Marx)، فيلسوف ألماني ومفكر سياسي واقتصادي وعالم اجتماع، ولد سنة ١٨١٨م في ألمانيا لعائلة يهودية وتوفىٰ ١٨٨٣م، مؤسس الشيوعية العلمية وفلسفة المادية الجدلية، وصاحب النظرية الماركسية، وينسب له تأسيس الاشتراكية العلمية.

٥. **المجتمع الشيوعي النهائي**: مرحلة تصبح فيها وسائل الإنتاج مملوكة للمجتمع ككل، وتختفي الطبقات الاجتماعية، وتسود المساواة والعدالة.

**نهاية التاريخ**: يرىٰ ماركس أنَّ الرأسمالية ستولد تناقضات داخلية تؤدي إلىٰ ثورة الطبقة العاملة ضد الطبقة الرأسمالية، ستؤسس هذه الثورة مجتمعات شيوعية بلا طبقات، تصبح فيه وسائل الإنتاج ملكية مشتركة للجميع، وتتحول جميع الدول إلىٰ مجتمعات شيوعية تعيش في سلام ووئام.

**الخلاصة**: تنبأ ماركس بنهاية التاريخ في ظل سيادة النظام الشيوعي، حيث يصبح كل فرد قادراً علىٰ تحقيق إمكاناته الكاملة.

**أبرز نقاط النقد للنظرية**: إنَّ نظرية ماركس تُظهر تفاؤلاً مفرطاً، واعتمد في تفسيره علىٰ أنَّ وسائل الإنتاج هي محرك التاريخ، ويظهر فشلها في التنبؤ بمسار التاريخ، خاصة بعد انهيار الاتِّحاد السوفيتي.

**(٣) نظرية فوكوياما لنهاية التاريخ:**

في عام ١٩٩٢م نشر فرانسيس فوكوياما[١] كتابه الشهير (نهاية التاريخ والإنسان الأخير) [٢] الذي طرح فيه نظرية مثيرة للجدل حول نهاية التطور البشري.

**مفهوم عام**: تزعم النظرية أنَّ انهيار الاتحاد السوفييتي عام ١٩٩١م يمثل انتصار الديمقراطية الليبرالية كأفضل نظام سياسي واجتماعي واقتصادي (السوق الحر)، وأنَّ التاريخ قد توقف عن التطور نحو أنظمة بديلة.

---

١. فرانسيس فوكوياما (Francis Fukuyama) ولد ١٩٥٢ هو عالم وفيلسوف واقتصادي سياسي معاصر، وأستاذ جامعي، كاتب ومفكر أميركي الجنسية من أصول يابانية، يعد من أهم مفكري المحافظين الجدد في الولايات المتحدة.

٢. كتاب: نهاية التاريخ والإنسان الأخير The End of History and the Last Man، ترجمة كل من: فؤاد شاهين وجميل قاسم ورضا الشايبي، مركز الإنماء القومي - بيروت، طبعة ١٩٩٣م.

**الأطروحة الأساسية**: إنَّ الديمقراطية الليبرالية بقيمها عن: الحرية، الفردية، المساواة، السيادة الشعبية، ومبادئ الليبرالية الاقتصادية، تشكل مرحلة نهاية التطور الأيديولوجي للإنسان.

**جوهر النظرية**: يفترض فوكوياما أنَّ التاريخ الإنساني هو عملية تطورية ذات اتجاه محدد، حيث تتنافس الأيديولوجيات المختلفة علىٰ السيادة، ويرىٰ أنَّ الديمقراطية الليبرالية هي الشكل النهائي للحكومة، وأنَّ انتصارها علىٰ الأيديولوجيات الأخرىٰ، مثل الشيوعية والفاشية وغيرها، يمثل نهاية التاريخ.

يُعزي فوكوياما أسباب انتصار الديمقراطية الليبرالية إلىٰ عدَّة عوامل، أهمها:

- كفاءتها الاقتصادية: تُعد الديمقراطية الليبرالية أفضل نظام لتنظيم الاقتصاد وتحقيق النمو.
- قدرتها علىٰ التكيف: تتميز الديمقراطية الليبرالية بقدرتها علىٰ التكيف مع التغيرات والتحديات الجديدة.
- الشرعية: تتمتع الديمقراطية الليبرالية بشرعية أكبر من الأيديولوجيات الأخرىٰ لأنَّها تستند إلىٰ مبادئ الحرية والمساواة.

**نهاية التاريخ**: يعتقد فوكوياما أنَّ انتصار الديمقراطية الليبرالية سيؤدي إلىٰ نهاية الصراعات والتناقضات في العالم، حيث ستتبع جميع دول العالم منهج الديمقراطية الليبرالية وتعيش في سلام ووئام.

**الخلاصة**: يرىٰ فوكوياما أنَّ الديمقراطية الليبرالية والاقتصاد السوقي الحر هما النظام الأمثل، وسينتشران في جميع أنحاء العالم، وسيكونان نهاية التطور البشري، وفي هذه المرحلة سنصل إلىٰ نهاية التاريخ.

**أبرز نقاط النقد للنظرية:** تبسيط التاريخ لافتراضها أنَّ التاريخ قد توقف عن التطور، وكذلك تجاهلت النظرية التحديات التي تواجه الديمقراطية الليبرالية، مثل: صعود الديكتاتورية والتطرف والإرهاب، وعدم المساواة الاقتصادية، والصراعات الجيوسياسية.

**(٤) نظرية هنتنغتون لنهاية التاريخ:**

طرح العالم السياسي الأمريكي صاموئيل هنتنغتون[١] في كتابه[٢] (صدام الحضارات وإعادة تشكيل النظام العالمي) (١٩٩٦) نظرية مثيرة للجدل تدور حول صراعات ما بعد الحرب الباردة، تعارض أفكاره فيها نظرية فوكوياما لنهاية التاريخ، بينما لا يتناول هنتنغتون مفهوم نهاية التاريخ بشكل مباشر.

**أركان نظرية هنتنغتون:**

- **الصراعات الحضارية:** يرىٰ هنتنغتون أنَّ هوية الفرد سترتبط بشكل متزايد بحضارته بدلاً عن دولته، وأنَّ الصراعات في المستقبل ستكون صراعاً بين الحضارات المختلفة، وأنَّ النزاعات الأيديولوجية لم تنتهِ.
- **الحضارات الرئيسية:** يرىٰ هنتنغتون أنَّ العالم ينقسم إلىٰ سبع حضارات رئيسية:

**الحضارة الغربية:** تشمل أوروبا وأمريكا الشمالية.

**الحضارة الصينية:** تشمل الصين وجنوب شرق آسيا.

---

١. صاموئيل فيليبس هنتنغتون (١٩٢٧-٢٠٠٨ Samuel Phillips Huntington) هو عالم وسياسي أميركي، وبروفسور في جامعة هارفارد.

٢. تم نشر نظرية هنتنغتون لأول مرة عام ١٩٩٣ في مقال بعنوان (صراع الحضارات)، تم توسيع النظرية في كتاب (صدام الحضارات وإعادة تشكيل النظام العالمي) (The Clash of Civilizations and the Remaking of World Order) عام ١٩٩٦.

**الحضارة اليابانية**: تشمل اليابان.

**الحضارة الإسلامية**: تشمل العالم الإسلامي.

**الحضارة الهندية**: تشمل شبه القارة الهندية.

**الحضارة الأرثوذكسية**: تشمل روسيا وبلدان شرق أوروبا.

**الحضارة الأفريقية**: تشمل دول إفريقيا جنوب الصحراء.

- **حدود الصراعات**: تشير نظريته إلىٰ أنَّ الصراعات بين الحضارات ستكون نزاعات (مسلحة) علىٰ طول الحدود الحضارية المشتركة، خاصة في المناطق التي تعاني من عدم الاستقرار السياسي أو الاقتصادي.
- **التحديات التي تواجه الحضارة الغربية**: يواجه الغرب تحديات من قبيل صعود الحضارات الأخرىٰ، خاصة الحضارة الإسلامية والصينية.

**نهاية التاريخ**: يرىٰ أنَّ التاريخ سينتهي بنهاية الصراع بين الحضارات وسيطرة حضارة واحدة علىٰ العالم.

**الخلاصة**: من خلال صراع الحضارات يصبح العالم في ظل سيادة الحضارة الأقوىٰ، وهيمنة محتملة للغرب.

**أبرز نقاط النقد للنظرية**: تبسيط مفرط للواقع الدولي، وتغليب الجانب الثقافي والديني علىٰ العوامل الاقتصادية والسياسية، يساهم هذا التصور في تأجيج التوترات بين الحضارات المختلفة وتجاهل إمكانية التعاون والتفاهم، كثير من المنتقدين وصفوا (صراع الحضارات) بأنَّه: (الأساس النظري لشرعنة عدوان الغرب بقيادة الولايات المتحدة علىٰ الصين والعالم الإسلامي)، تُتهم النظرية بالتشاؤم وعدم تقديم أي رؤية إيجابية للمستقبل.

**(٥) نظرية ما بعد الحداثة[١] لنهاية التاريخ:**

تقدم نظرية ما بعد الحداثة[٢] حول نهاية التاريخ منظوراً مختلفاً عن النظريات التقليدية مثل فرضيات هيجل أو ماركس أو فوكوياما، تنطلق النظرية من تيار فكري جديد، ظهر كردٍّ فعل لعصر الحداثة، حيث ترفض الروايات والحقائق الكبرىٰ للتاريخ، وتؤكد علىٰ فقدان الإيمان بوجود حقيقة واحدة مطلقة أو تفسير واحد للتاريخ، وأشهر منظّريها هو الفيلسوف الفرنسي جان فرانسوا ليوتار[٣].

**خصائص النظرية:**

- رفض فكرة نهاية التاريخ: تعارض النظرية فكرة وجود نهاية محددة للتاريخ.
- التاريخ عملية مستمرة: تشير النظرية إلىٰ أنَّ التاريخ عملية مستمرة من التغير والتطور، ولا يوجد مسار محدَّد مسبقاً.

---

١. بوجه عام يعتبر كتاب الفيلسوف الفرنسي: جان فرانسوا ليوتار (علم ما بعد الحداثة) من أهم الكتب البارزة في هذا المجال.

٢. لا يوجد مُنظِّر محدد لنظرية ما بعد الحداثة حول نهاية التاريخ، نشأت هذه النظرية من خلال مساهمات العديد من المفكرين والفلاسفة علىٰ مر التاريخ، بعض من ساهموا في تطوير هذه النظرية:
- فريدريك نيتشه: فيلسوف ألماني عاش في القرن التاسع عشر.
- جان بودريار: فيلسوف فرنسي عاش في القرن العشرين.
- جاك دريدا: فيلسوف فرنسي عاش في القرن العشرين.
- يورجن هابرماس: فيلسوف ألماني معاصر.
بالإضافة إلىٰ العديد من المفكرين والفلاسفة الآخرين.

٣. جان فرانسوا ليوتار: (١٩٢٤-١٩٩٨ - Jean - François Lyotard) فيلسوف وعالم اجتماع ومنظِّر أدبي فرنسي، اشتهر بأنَّه أول من أدخل مصطلح ما بعد الحداثة إلىٰ الفلسفة والعلوم الاجتماعية والتاريخ، اشتهر بتحليله لما بعد الحداثة، ونقده للرواية الكبرىٰ (narratives grand) مثل الماركسية والدينية، وقد كان لكتابات ليوتار تأثير كبير علىٰ الفلسفة، والنقد الأدبي، وعلم الاجتماع، ودراسات التاريخ.

- التعددية والتنوع: تؤكد النظرية على التعددية والتنوع في التاريخ، وتعارض أي نظرة أحادية للتاريخ.
- نسبية الحقيقة: تشير النظرية إلى أنَّ الحقيقة التاريخية نسبية، ولا توجد حقيقة تاريخية مطلقة.
- التركيز على الخطاب: تركز النظرية على تحليل الخطابات التاريخية ودراسة كيفية تأثيرها على فهمنا للتاريخ.
- نقد الروايات الكبرى: تنتقد النظرية الروايات الكبرى التي تفسّر التاريخ بشكل شامل.

**نهاية التاريخ**: يرى ليوتار أنَّ (نهاية التاريخ) مفهوم خاطئ، وأنَّ ما بعد الحداثة يتميز بتعددية الأفكار وعدم وجود حقيقة واحدة مطلقة.

**الخلاصة**: رفض الحتمية التاريخية، حيث لا يوجد مسار محدّد للتاريخ.

**أبرز نقاط النقد للنظرية**: تُتهم النظرية بتجاهلها للتقدُّم العلمي والتكنولوجي الذي حققته البشرية، ويرى منتقدوها أنَّ هذا التصور يقدم رؤية سلبية تنكر إنجازات الحضارة الإنسانية، وبشكل عام يغلب على النظرية التشاؤم وعدم تقديم أي رؤية إيجابية للمستقبل.

وبعد هذا العرض الوجيز للنظريات الفلسفية الغربية الرئيسية، نأخذ جولة سريعة لنظرة فلاسفة آخرين لمفهوم نهاية التاريخ، حيث نرى الرؤية غالباً تنطبع بصورة تشاؤمية وسوداوية قاتمة، ففي هذا السياق وضمن محور (النهاية) يعتقد ويتنبأ الفيلسوف الفرنسي ميشيل أونفراي[1] في كتابه (انحطاط)، الذي رأى فيه أنَّ الغرب يعيش لحظات احتضار قبل انهيار حضارته على نفسها، بسبب مؤشرات يراها واضحة ومنها: العجز في التفكير في القضايا المصيرية والجوهرية، والتعلق بالسلبية في الفكر مع هيمنتها على

١. ميشيل أونفراي، فيلسوف فرنسي معاصر من مواليد ١٩٥٩ Michel Onfray .

حقول المعرفة والعمل، وهكذا نجد أنَّ مصطلح (موت الغرب) من الأفكار والعناوين التي طفت علىٰ سطح الفكر الغربي المعاصر بسلسلة من المناقشات والمناظرات[١]، فمن نهاية التاريخ عند هيجل[٢] الذي اعتقد بنهاية التاريخ بعد انتصار الثورة الفرنسية ومبادئها، إلىٰ نهاية الدين بعد موت الإله عند نيتشه[٣]، ونهاية الأيديولوجيا عند ستيوارت هيوز[٤]، ونهاية الحداثة عند فرانسوا ليوتار[٥]، وهكذا ساد حديث النهايات التشاؤمي الخطاب النخبوي الغربي لينتهي بتنبؤ موت الغرب ونهايته، وإطلاق تحذيرات تسلط الضوء علىٰ المؤشرات التي تهدد هوية الغرب، وربما وجوده ككيان ثقافي وسياسي.

عندما يعمد الباحث إلىٰ التعمق في دراسة المسوغات والأهداف وراء طرح هذه الأفكار والفرضيات لنهاية التاريخ في الغرب، ويرىٰ محاولة مؤسسات الهيمنة السياسية والثقافية الغربية وبشتّىٰ الطرق إقناع المجتمعات الغربية والشعوب الأخرىٰ للإيمان بهذه النظريات وجعلها رؤية محدّدة للحياة والمستقبل، بالرغم من أنَّ هذه النظريات ليست مبنيَّة علىٰ أي دليل علمي، وبعيدة كثيراً عن البشارات الدينية والرؤىٰ السماوية، نجدهم في الحقيقة وواقع الأمر يؤسسون لمنظومة فكرية ورؤية معرفية وغطاء ثقافي، يُبرَّر ويُروَّج من خلاله لخطاب سياسي إيديولوجي، ومنعطف لنظام دولي جديد تتبنّاه الدول الغربية بعد انهيار المعسكر الاشتراكي، وهذا ما يفسِّر بروز مجموعة من

---

١. مجلة الاستغراب، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، العدد ٣١، نهاية الغرب بين فلسفة المابعديات وفكر النهايات، د. مكي سعد الله.

٢. جورج فيلهلم فريدريش هيجل، فيلسوف ألماني (١٧٧٠ -١٨٣١) Friedrich Hegel.

٣. فريدريش فيلهيلم نيتشه، فيلسوف ألماني (١٨٤٤ -١٩٠٠) Friedrich Nietzsche.

٤. إتش ستيوارت هيوز، مؤرخ أمريكي (١٩١٦-١٩٩٩) H. Stuart Hughes.

٥. جان فرانسوا ليوتار، فيلسوف فرنسي (١٩٢٤-١٩٩٨) Jean - Francois Lyotard.

النظريات (لمفهوم نهاية التاريخ) التي صاحبت هذا الانهيار، وتتلازم مع بلورة فكر جديد يقوم علىٰ الأحادية القطبية - أي نظام واحد يسير وفقه العالم -، وهكذا تصبح هذه الفرضيات مجرد أداة وبوق دعاية يستخدمها النظام الجديد في مرحلته التأسيسية، ولم تخرج نظرية فوكوياما (انتصار الديمقراطية الليبرالية)، ونظرية هنتنغتون (صِدام الحضارات وهيمنة الغرب)، ونظرية ما بعد الحداثة (التشكيك في الحقائق والروايات التاريخية الكبرىٰ) عن هذا المسار، وتتحوَّل بموجبه هذه النظريات من رؤىٰ فلسفية وفكرية إلىٰ منهج سياسي وعسكري يبشر بأبدية الرأسمالية في ثوبها الجديد، وانتفاء إمكانية مناهضتها بسبب هيمنة القيم الغربية علىٰ العالم وقيادتها لمسيرة البشرية، وانصهار جميع شعوب العالم في كيان حضاري واحد وفق النموذج الغربي.

إنَّ أهم الآثار الملفتة للغاية والتي خلّفتها النظريات الغربية لنهاية التاريخ تتمثل في التأسيس الفلسفي للمركزية الغربية[1]، لنأخذ مثالاً علىٰ ذلك: سيادة الليبرالية أو صراع الحضارات، لقد تشكَّلت رؤية الغرب للشعوب الأخرىٰ علىٰ النظر إلىٰ كل تنوع حضاري باعتباره اختلافاً جوهرياً مع ذاته الحضارية، ولم تكن التجربة الاستعمارية الغربية المديدة سوىٰ حاصل رؤية فلسفية تمجّد ذاتها وتستهتر بالآخر، وما التفكير الاستعماري إلَّا حيِّز معرفي متأصِّل في فلسفة الغرب ومناهج تفكيره، وفي هذا الإطار فإنَّ المركزية الغربية وفق منطقها وتبعاً لرغباتها، ترىٰ نفسها هي المكان الوحيد والمتميز والحصري الذي يجب أن تنبثق منه القيم التي تحدِّد وتعبِّر عن المرحلة النهائية من التطور البشري، مما أسس في الوعي السياسي الغربي نظرة الاستعلاء حيال بقية شعوب العالم.

١. مجلة الاستغراب، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، العدد ٢٩، البهتان الأيديولوجي للتمركز الغربي، محمود حيدر.

وفي ذات السياق نجد أنَّ هذه الأفكار والفرضيات التي تُطرح كرؤية للنهاية تلعب دوراً كبيراً في التمهيد للعنصرية والعنف والإرهاب على صعيد الدول، مما يستدعي إعادة تقويم ومراجعة لهذه المنتجات الفكرية، خاصة في هذه اللحظة التاريخية الحرجة التي نشهد فيها انحراف العالم عن مساره الطبيعي، وبروز أزمة فكرية وسياسية عميقة في الغرب تجعله فاقداً للبوصلة الإنسانية السليمة في نظرته لبقية الشعوب والحضارات الأخرى.

ومما لا شك فيه، تم تكريس فكرة نهاية التاريخ في مراحل تاريخية سابقة على العقيدة الدينية، أمّا اليوم، فمن المؤكد أنَّ مفهوم نهاية التاريخ حسب ما يطرحه مفكرو الغرب حالياً وبما يحمله من تصور سلبي، بات عبئاً ثقيلاً على العالم وعلى المجتمعات الغربية نفسها في مختلف جوانب الحياة، مما يثير تساؤلاً عن علاقة هذه الرؤى والأفكار بالواقع السياسي والأيديولوجي والاجتماعي الذي يعيشه الغرب حالياً.

نخلص إلى القول وبعيداً عن أهداف الغرب السياسية وأطماعهم الاستعمارية: إنَّنا نتأسف على مفكري الغرب والنخب الثقافية للقراءة السطحية للتاريخ والتي تعتمد على ظاهر الأحداث فقط، وابتعادهم عن قراءة فلسفة التاريخ بعمق وبصورة علمية دقيقة تعتمد على التعليل والنظر، وفوق ذلك نجد أنَّ النخب الغربية لم تكلِّف نفسها عناء الاسترشاد بالكتب السماوية المقدَّسة، والتي من شأنها أن توفِّر لهم رؤية حقيقية وواقعية حول نهاية التاريخ ومستقبل البشرية حسب إرادة السماء وتدبير الخالق.

**نهاية التاريخ في الرؤى الدينية السماوية:**

ارتبطت فكرة نهاية التاريخ في الفكر الديني دوماً بانتصار مبدأ الخير على الشر، وقيام مدينة الأخيار (المدينة الفاضلة) على أنقاض مدينة الأشرار، وأنَّ التاريخ سيؤول ويصل إلى مرحلة الخلاص أو العدل والسلام المطلق على

يد المخلص الموعود (الإمام المهدي عجل الله فرجه)، في فترة ما يعرف اصطلاحاً بآخر الزمان أو مرحلة نهاية التاريخ.

يُعد الإيمان بالخلاص والمخلص الموعود آخر الزمان من العقائد الأساسية في العديد من الأديان، ويؤمنون بأن الخالق سبحانه وتعالىٰ قد أكَّد أنَّ للتاريخ مغزىٰ ويتَّجه نحو هدف معيَّن[1]، وسيصل إلىٰ ذروة تطوُّره أو نهايته في مرحلة ما، لكن من الصعب الاعتقاد بأنَّ جميع الأديان علىٰ درجة من الاتِّفاق في رؤيتهم للخلاص، بل إنَّ اتِّباع أديان سماوية كبرىٰ تحمل رؤىٰ متناقضة طبقاً لشكل الخلاص وتصوُّره لديهم، ومن المؤكد أنَّ المفهوم الأساسِ للخلاص قاسمٌ مشتركٌ بين الأديان لمشروع آخر الزمان (نهاية التاريخ)، والتي تمثل خلاصة وجود البشرية علىٰ الأرض، وهنا نتساءل حول هذا المبدأ الإلهي العقلي الفطري:

ما هي رؤية أتباع الأديان السماوية الرئيسية تجاهه؟

ومن جهة أخرىٰ: كيف ينظرون إلىٰ نهاية التاريخ؟

**اليهود:**

إنَّ نهاية التاريخ والمستقبل يمثل بالنسبة لليهود أهمية بالغة جداً، وهم مقتنعون أنَّ هناك ارتباطاً وثيقاً بين الحياة التي يعيشونها والتي شكَّلت ظروفهم وأوضاعهم السابقة والحالية، وبين المستقبل والحياة التي تنتظرهم، فنهاية التاريخ مرتبط لديهم بفكرة التفوُّق العرقي، المبنية علىٰ قاعدة (الاصطفاء الإلهي) ومن ثَمَّ برزت مقولة (شعب الله المختار)، ومن هذه النظرة يقولون:

---

١. قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (الأنبياء: ١٠٥)، وكذلك في قوله تعالىٰ: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ (القصص: ٥).

إنَّ ثمة اختلافاً وتوتراً حادّاً بين ما يجب أن يكون وبين ما هو كائن فعلاً، وهو ما أعطىٰ لليهود الرؤية والمغزىٰ من التاريخ.

**الرؤية الأساسية:**

من المعلوم أنَّ المسيح المنتظر عند اليهود يشكل جوهر نبوءة الخلاص، وأنَّ المسيح ليس هو عيسىٰ بن مريم عليه السلام، إنَّما هو مسيح خاص بهم يأتي لأول مرَّة، ولقد شكَّلت هذه العقيدة إحدىٰ أهم الدعائم في نظرتهم للمستقبل ونهاية التاريخ، ويعتقدون أنَّ المسيح (اليهودي) هو ملك من نسل داود، سيأتي ليعدِّل مسار التاريخ اليهودي بل البشري، ويخلِّص شعب الله المختار من مصائبه وآلامه، ويجعلهم أسياد العالم بلا منازع، فتخضع لهم الشعوب والأُمم كلها، ويقيم مملكة إسرائيل الكبرىٰ ويتَّخذ القدس عاصمة له، ويعيد بناء الهيكل ويحكم بشريعة موسىٰ، ثم يبدأ عهداً جديداً سعيداً لليهود يدوم ألف عام يسمونه (أيام المشيح).

**النظرة الدينية:**

الاعتقاد بمجيء المسيح المنتظر هو من العقائد الإيمانية في اليهودية، والذي يعتبر من (الأصول الثلاثة عشر)[1] التي تقوم عليها أركان الديانة اليهودية، ويعتبرونه رمزاً للخلاص، وترتيب توالي ظهور الأحداث العقائدية المنتظرة في الفكر الديني اليهودي، يمكن تلخيصها كالتالي:

١ - مجيء المسيح المنتظر: ظهور شخصية دينية استثنائية، ليقود الشعب اليهودي إلىٰ الخلاص ويُقيم مملكة إسرائيل الكبرىٰ.

---

١. هي العقائد الثلاثة عشر للإيمان عند اليهود، والتي صاغها موسىٰ بن ميمون في القرن الثاني عشر، ولد عام ١١٣٨ في قرطبة بإسبانيا وتوفي عام ١٢٠٤ في الفسطاط بمصر، والتي ذكرها في كتابه (المدخل) والمعروف أيضاً بـ(مقدمة في التوراة)، ويهدف الكتاب إلىٰ توضيح العقيدة اليهودية وشرح المفاهيم والمبادئ الأساسية للديانة اليهودية.

٢ – إعادة بناء الهيكل في القدس: يعتبر حدثاً هاماً للغاية، ويمثِّل عودة العبادة اليهودية إلىٰ مكانها الأصلي، ورمزاً لتوحيد الشعب اليهودي.

٣ – جمع شتات اليهود: تجميع وتوحيد الشعب اليهودي من شتَّىٰ بقاع العالم وتوطينهم في فلسطين.

٤ – قيام الأموات: سيقوم الموتىٰ اليهود من قبورهم (الرجعة)، ويصبحون أسياداً في العالم.

٥ – العصر الذهبي: إقامة مملكة إسرائيل الكبرىٰ، وتصبح الأرض جنة لليهود.

**النظرة السياسية:**

– انتصار اليهود السياسي علىٰ أعدائهم وخلاصهم، وارتفاع شأنهم آخر الزمان إلىٰ موقع ذي أهمية قصوىٰ في الشؤون العالمية.

– لقد استغلت الحركة الصهيونية نبوءة قدوم المخلص ورؤية نهاية التاريخ لتحقيق أهدافها ومطامعها التوسعية في المنطقة العربية والإسلامية، ويرىٰ أتباعها أنَّ هذه هي الخطوة الأولىٰ نحو تحقيق مملكة إسرائيل الكبرىٰ.

– ثمة من يستخدم مفهوم نهاية التاريخ حسب الرؤية اليهودية لتبرير مواقف سياسية متشدِّدة، وبعضٌ ينظر إلىٰ الديمقراطية كأداة مؤقتة في خدمة تحقيق ملكوت الله تعالىٰ.

**المسيحيون:**

لقد ارتبطت رؤية نهاية التاريخ في الديانة المسيحية بفكرة عودة المسيح إلىٰ الأرض، ويعتقدون أنَّ العودة ستكون حدثاً خارقاً للطبيعة، حيث سينزل من السماء ليحكم العالم ويقيم ملكوت الله تعالىٰ، وتمثِّل عودته تحقيقاً لوعد

الخلاص الذي قدَّمه الله تعالىٰ للبشرية، ولذا تجعل المسيحية فكرة العودة والمستقبل مرتبطة بفكرة الخلاص وتطهير الناس من الخطيئة والذنوب.

**الرؤية الأساسية:**

نقاط جوهرية تشكل جزءاً من رؤية المسيحيين لمستقبل البشرية ونهاية التاريخ:

١. عودة المسيح: يعتقد المسيحيون أنَّ المسيح سيعود في النهاية ليقيم المملكة السماوية علىٰ الأرض، وتعتبر هذه العودة إحدى الأحداث الرئيسية في المستقبل ونهاية التاريخ.

٢. الخلاص: يعتقد المسيحيون أنَّ غاية الديانة المسيحية هي الخلاص الروحي والأبدي للإنسان من الخطيئة والانفصال عن الله تعالىٰ، فعن طريق إيمانه بالمسيح وموته وقيامته، يتاح لهذا الشخص الغفران والمصالحة مع الله تعالىٰ.

٣. المملكة السماوية: يعتقد المسيحيون أنَّ بعد العودة الثانية للمسيح، سيقيم مملكته السماوية علىٰ الأرض، وستشهد هذه المملكة حقبة من السلام والعدالة والوحدة تحت حكمه.

وفي بداية مملكة المسيح التي ستستمر ألف عام، سيحكم المسيح جميع أُمم العالم، وفي تلك الفترة سيسود العدل وينتهي الظلم، وفيها ستحدث تغييرات في طبيعة الحياة، مثل: لن تفترس الحيوانات بعضها بعضاً، وتشمل كذلك طول عمر الإنسان، فالذي يموت في سن المائة عام يعتبر شاباً صغير السن.

**النظرة الدينية المسيحية:**

تُعدّ عودة المسيح إلىٰ الأرض، المعروفة أيضاً باسم (المجيء الثاني)، عقيدة

دينية أساسية في المسيحية، وتشير إلىٰ حدث خارق للعادة في آخر الزمان، حاملاً معه الخلاص والعدالة الأبدية.

يُستند الإيمان بعودة المسيح إلىٰ بشارات موجودة في الكتاب المقدس، منها:

- العهد القديم: أخبر العديد من الأنبياء مثل دانيال وزكريا، بمجيء المسيح وأنَّه سيقيم مملكة سلام وعدالة علىٰ الأرض.
- العهد الجديد: أكّد المسيح نفسه علىٰ عودته في العديد من أقواله[1].

تختلف تفسيرات عودة المسيح وتفاصيلها وأهدافها بين مختلف الطوائف المسيحية، لكن بشكل عام تُشترك معظمها في المعتقدات التالية:

- سيعود المسيح في مجدٍ عظيم، مصحوباً بملائكته.
- سيُقيم حكماً عادلاً علىٰ الأرض، ويقضي علىٰ الشر والظلم.
- سيَجمع المؤمنين به من الأموات (الرجعة)، ويُقيم مملكة الله تعالىٰ الأبدية.
- ستكون عودته علامة علىٰ نهاية التاريخ.

تمثل هذه العودة تحقيقاً للخلاص الكامل للبشرية وإقامة (ملكوت الله تعالىٰ) علىٰ الأرض، وتُعدُّ مصدراً للأمل والرجاء للمسيحيين، ووعداً بانتصار الخير علىٰ الشر، وبداية حياة جديدة مليئة بالسلام والفرح.

**النظرة السياسية:**

تُعدّ عودة المسيح إلىٰ الأرض حدثاً ذا أهمية دينية عميقة للمسيحيين، لكنه يحمل أيضاً دلالات سياسية كبيرة، نذكر منها:

الحركة المسيحية الصهيونية والتي يؤمن أتباعها بأنَّ عودة المسيح مرتبطة بعودة اليهود إلىٰ أرض فلسطين وإقامة دولة إسرائيل، وأنَّ عودة المسيح ستُرسخ

١. كما في: (متىٰ ٢٤:٣٠) و(مرقس ١٣:٢٦).

الهيمنة المسيحية على العالم آخر الزمان، ومن هنا تبدأ الرؤية المسيحية لنهاية التاريخ وتأثيرها على المجتمعات المسيحية:

- التيار الأصولي: يستخدم مفهوم نهاية التاريخ لتبرير الانعزال عن المجتمع والدولة، ويؤدي ذلك إلى موقف سلبي تجاه المشاركة السياسية.
- التيار التحريري: يركِّز على العمل لتحسين العالم الحالي، مع الإيمان بوجود خطة إلهية محددة، ويؤكد على أهمية العدالة الاجتماعية والمساواة.
- التيار الليبرالي: ينظر إلى مفهوم نهاية التاريخ بريبة من قبل الجماعات التي تؤمن بأهمية التغيير والتطور المستمر.

**المسلمون:**

لقد احتلَّت أطروحة نهاية التاريخ مكاناً لا يستهان به في الفكر الإسلامي، وتقدِّم الرؤية الإسلامية منهجاً متكاملاً في التعامل مع التاريخ البشري، وتتميَّز بارتباطها بالله سبحانه وتعالى، فتتحرك البشرية بأكملها نحو هدفها الأعلى وفردوسها الموعود في زمان الإمام المهدي عليه السلام، فيتحقق الحلم والأُمنية الكبرى للبشرية في إقامة دولة العدل الإلهي، فتكون عندئذٍ الحضارة الإنسانية أرقى حضارة شاملة عرفها البشر في كل أبعاد الحياة المادية والمعنوية والروحية بمقتضى تطبيق أحكام وقوانين الشريعة الإسلامية الحقيقية، وتعلّم الإنسان المراحل الخمس والعشرين من العلوم الجديدة[1]، فتكون القيم الإنسانية والحضارية رفيعة وفي غاية الكمال، علماً بأنَّ التاريخ في الرؤية الإسلامية لا يتوقَّف عن التطور ولا يعرف سكوناً ولا نهاية، إلَّا بانتهاء الحياة على الأرض.

---

١. عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «العلم سبعة وعشرون حرفاً، فجميع ما جاءت به الرسل حرفان، فلم يعرف الناس حتّى اليوم غير الحرفين، فإذا قام قائمنا أخرج الخمسة والعشرين حرفاً فبثها في الناس، وضم إليها الحرفين حتى يبثها سبعة وعشرين حرفاً». [المصدر: بحار الأنوار ج ٥٢ ص٣٣٦ ح٧٣، نقلاً عن الخرائج].

**الرؤية الأساسية:**

يؤمن المسلمون بأنَّ الإمام المهدي عجل الله فرجه سيخرج آخر الزمان، وسيحقق العدل في العالم بشكل نهائي، وسيكون له دور كبير في تحقيق السلام والأمن والرخاء للبشرية، ويعتقدون بأنَّ المهدي سيحكم العالم بشريعة الله تعالىٰ وقوانين الإسلام، وسيقوم بإصلاح كل ما تعاني منه البشرية من مشاكل وأزمات، وسيوفر للجميع الحياة الكريمة والسعادة والرفاهية التي يستحقونها ويحلمون بها، وسيكون له دور عظيم في تحقيق الهدف النهائي للخلق، وهو عبادة الله (جلَّ وعلا).

ووفق أطروحة المدرسة الإمامية وعلىٰ قاعدة الإيمان بالإمام الثاني عشر وسلسلة الأئمة عليهم السلام عموماً، فإنَّ المهدوية تشكِّل ركيزة أساسية في الفكر الإسلامي، وترتبط ارتباطاً وثيقاً بنهاية التاريخ ومستقبل البشرية، أمّا في وقتنا الحالي فإنَّ غيبة الإمام عجل الله فرجه تمثِّل مرحلة انتقالية نحو الخلاص الأكمل، وأنَّ ظهوره في آخر الزمان سيعلن عن انتصار الخير علىٰ الشر وتحقيق المعنىٰ الإنساني للبشرية.

وتتلخَّص أبرز المراحل في مسيرة وتاريخ الإمام المهدي عجل الله فرجه باعتباره المخلص الإلهي المنتظر حسب الرؤية الإسلامية في النقاط التالية:

- المخلص الموعود: يُؤمن الشيعة الإمامية بأنَّ الإمام المهدي هو محمد بن الحسن العسكري عليهما السلام، وهو الإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت عليهم السلام، ولد عام ٢٥٥ هجري، وهو حي يرزق حتَّىٰ الآن، وهو يعيش معنا في الحياة الدنيا وعلىٰ كوكب الأرض.
- الغيبة الصغرىٰ: غاب الإمام المهدي عجل الله فرجه عن المجتمع فترة من الزمن استمرت ما يقرب من ٧٠ عاماً، ويلتقي فيها بخواص الشيعة والسفراء الأربعة.

- الغيبة الكبرىٰ: غاب الإمام المهدي عجل الله فرجه منذ عام (٣٢٩هـ) عن المجتمع البشري بشكل تام (غيبة عنوان).
- الوظائف: الحفاظ علىٰ جوهر الإسلام وأصالته، ويمارس الإمام عجل الله فرجه أثناء الغيبة دوره القيادي، ويتحمل أعباء ومسؤوليات الإمامة.
- علامات الظهور: حدَّدت الروايات الشريفة علامات وبشارات لتُنذر باقتراب ظهوره الشريف.
- الظهور: سيظهر الإمام المهدي عجل الله فرجه في آخر الزمان ليقيم دولة العدل الإلهي وينشر الإسلام في ربوع الأرض.
- الخلاص من الظلم: تُمثل المهدوية رمزاً للخلاص من الظلم والاستبداد.
- إعادة التوازن: يُمثل ظهور المهدي إعادة التوازن للعدالة والسلام في العالم.
- تحقيق الغاية الإنسانية: تُمثل المهدوية تجسيداً للغاية الإنسانية علىٰ الأرض.

**الأثر المعنوي:**

للرؤية الإسلامية المتمثلة في المهدوية علىٰ المؤمنين بها من أفراد ومجتمعات:

- الأمل: تمثل فكرة الإمام الغائب مصدر أمل وقوة للشيعة، وتحفز علىٰ التمسك بالقيم الروحية.
- الدافع: تمثل فكرة الإمام الغائب نموذجاً فريداً للتفكير الديني، والانتظار يُجسّد القوة الدافعة نحو التغيير.
- الهوية: للعقيدة المهدوية دور في تشكيل الهوية الدينية والثقافية للشيعة، ودور مهم في بناء مجتمع متماسك.

– التفاؤل: تُشجع هذه الرؤية على التفاؤل بمستقبل البشرية، رغم المنغصات والمثبطات.

– الصبر: تحث على الصبر والمثابرة في مواجهة الظلم والقمع.

– التحرك: تُحفز على السعي لتحقيق العدالة الاجتماعية ونشر القيم الإسلامية.

– المسؤولية: تُؤكد على مسؤولية الفرد في الإصلاح والتغيير وبناء مستقبل أفضل.

**النظرة الدينية:**

تشكِّل رؤية الإسلام لنهاية التاريخ ومستقبل البشرية موضوعاً ذا أهمية دينية وعقائدية كبيرة، وأنَّ المنطلق الجوهري للتاريخ حسب الأطروحة الإسلامية هو الله تعالىٰ، فهو خالق التاريخ والحاضر وهو الذي يحدِّد نهايته بإرادته، ويرتبط ذلك بالإيمان بوجود خطة إلهية محددة تقود البشرية نحو تحقيق العدالة والسلام على الأرض مستقبلاً، واستناداً إلىٰ النصوص القرآنية والأحاديث النبوية وتعاليم الأئمة المعصومين عليهم السلام، فإنَّ الخطة سيتم تنفيذها وتطبيقها على يد الإمام المهدي عجل الله فرجه آخر الزمان، باعتباره يمثل امتداداً للنبوة وتجسيداً للولاية الإلهية على الأرض، وفي ضوء المنظور القرآني ووفق تدبير الخالق سبحانه وتعالىٰ تشير الرؤية إلىٰ:

١. مبدأ الاستخلاف:

إنَّ غاية الإنسان في الحياة هي تحقيق الخلافة في الأرض، ومنه أصبحت مهمة الإنسان واضحة، ويمكن تعريف الاستخلاف الحضاري: بأنَّه تحقيق العبودية لله تعالىٰ، والسيادة في الأرض، والانسجام مع سنن الله الكونية، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ

فِيهـا مَـنْ يُفْسِـدُ فِيهـا وَيَسْـفِكُ الدِّمـاءَ وَنَحْـنُ نُسَـبِّحُ بِحَمْـدِكَ وَنُقَـدِّسُ لَـكَ قـالَ إِنِّي أَعْلَـمُ مـا لا تَعْلَمُـونَ﴾ (البقـرة: ٣٠).

٢. مبدأ الوعد:

وعَـدَ الله سـبحانه وتعـالىٰ عبـاده الصالحـين بالاسـتخلاف والتمكـين في الأرض ونـصرة دينهـم وتحقيـق رسـالة السـماء بتوحيـد الله تعـالىٰ وعـدم الـشرك بـه، قـال تعـالىٰ: ﴿وَعَـدَ اللهُ الَّذِيـنَ آمَنُـوا مِنْكُـمْ وَعَمِلُـوا الصَّالِحـاتِ لَيَسْـتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَـا اسْـتَخْلَفَ الَّذِيـنَ مِـنْ قَبْلِهِـمْ وَلَيُمَكِّـنَنَّ لَهُـمْ دِينَهُـمُ الَّذِي ارْتَـضىٰ لَهُـمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُـمْ مِـنْ بَعْـدِ خَوْفِهِـمْ أَمْنـاً يَعْبُدُونَـنِي لا يُشْرِكُـونَ بِي شَـيْئاً وَمَـنْ كَفَـرَ بَعْـدَ ذلِـكَ فَأُولئِـكَ هُـمُ الْفاسِـقُونَ﴾ (النـور: ٥٥).

٣. مبدأ الإرث:

أكَّـد سـبحانه وتعالىٰ عـلىٰ أنَّ الأرض سـيرثها عبـاده الصالحون والمستضعفون، قـال تعـالىٰ: ﴿وَلَقَـدْ كَتَبْنـا فِي الزَّبُـورِ مِـنْ بَعْـدِ الذِّكْـرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهـا عِبـادِيَ الصَّالِحُـونَ﴾ (الأنبياء: ١٠٥).

هـذا التوريـث الإلهـي هـو تنفيـذ لوعـد الله تعـالىٰ بـأن يمكِّـن المؤمنـين ويسـتخلفهم في مجتمـع لا شرك فيـه، وهـذا المجتمـع الصالـح ضرورة تاريخيـة لابـد منهـا، فالرؤيـة القرآنيـة لنهايـة التاريـخ سـتكون للإنسـان الصالـح الـذي يسـتخلف الأرض ويرثهـا.

الرؤيـة الإسـلامية تنفـي العبثيـة للتاريـخ الإنسـاني العـام، وأنَّ لـه حركـة وغايـة وهدفـاً، وهـذه الحركـة مـن المسـائل التـي لهـا بعـد عقائـدي وفلسـفي عميـق، فالمسـار التاريخـي يتشـكل بـين فعـل البـشر الإرادي التابـع لاختيارهـم، وبـين السـنن والقواعـد الإلهيـة المنبثقـة مـن إرادة الخالـق وتدبيره، وفي هاتـين المسـألتين لـن يكـون هنـاك جـبر ولا تفويـض، وفي آخـر المطـاف هنـاك وعـد إلهـي في (آخـر الزمـان) بغلبـة وانتصـار المؤمنـين الصالحـين عـلىٰ الظالمـين الكافريـن.

**النظرة السياسية:**

رؤية نهاية التاريخ المتمثل بالمهدوية له أثر كبير على الفكر والمنهج السياسي الإسلامي حالياً ويشمل:

- الترابط بين الماضي والحاضر والمستقبل: تربط رؤية المهدوية بين الماضي (نبوة الرسول الأكرم ﷺ) والحاضر (انتظار المهدي عجل الله فرجه) والمستقبل (إقامة دولة العدل الإلهي).
- الدور القيادي للمرجعية الدينية: يلعب ممثل الإمام المهدي (نيابة عامة) دوراً مهماً في توجيه الشؤون السياسية والاجتماعية واتِّخاذ القرارات في المجتمع المؤمن، ويحظى بالاحترام والطاعة.
- التطلُّع إلى الخلاص والعدالة: تشكل العقيدة المهدوية مصدر أمل للمسلمين الذين يعانون من الظلم والقهر، وتحفزهم على السعي لتغيير الواقع وتأسيس مجتمع عادل.
- التحفيز على المقاومة ضد الظلم: تُلهم العقيدة المهدوية المسلمين للمقاومة ضد الظلم والاستبداد، سواء من خلال العمل السلمي أو غيره، إيماناً منهم بأنَّ المهدي سيأتي ليحقق النصر النهائي.
- الدعوة إلى الوحدة والتآخي: تشدِّد العقيدة المهدوية على أهمية الوحدة والتآخي بين المسلمين، باعتبارها شرطاً أساسياً لتمكين الأُمَّة ونصرتها.
- الحث على التفاؤل والرجاء: تحفِّز العقيدة المهدوية المسلمين على العمل الجاد والسعي لتحقيق الأهداف الكبرى للأُمَّة، وتُلهم التفاؤل بمستقبل أفضل رغم التحديات والصعوبات.

**الثمرة:**

وبعد هذه النظرة السريعة في ما قدمته الأطروحات الدينية السماوية، يتَّضح لنا أنَّ فكرة الخلاص في الأساس رؤية إنسانية عميقة، أشارت إليها

جميع الديانات السماوية، وهي في جوهرها تتعلق بقضية القلق الإنساني العميق حول الظلم والحروب والقتل والفساد، ووضع الحقوق الإنسانية المريع، والبحث عن الخلاص والإنقاذ من الأوضاع السيئة للبشرية.

وجوهر القول والحقيقة: إنَّ البشرية لن يتحقق مستقبلها المشرق والعيش الرغيد والحياة الأفضل من غير مشاركة السماء (الخالق)، فلو ترك الناس يتصرفون بمفردهم لاندفعوا لمصالحهم الخاصة وتوجهوا للفتنة والظلم، وبكل تأكيد أنَّ البشرية لا يمكن أن تتكامل بعيداً عن السماء.

**أثر الإيمان بالمهدوية في رؤية نهاية التاريخ:**

من الطبيعي أن يؤثر الاعتقاد بالمهدوية (المخلص) على نظرة الشخص للمستقبل ونهاية التاريخ، فمن الثابت أنَّ ظهور المهدي سيكون مصحوباً بتحقيق العدل الكامل والسلام الدائم في العالم، ولذا فإنَّ الشخص الذي يؤمن بالمهدوية ينظر إلى الحياة والمستقبل الذي ينتظر البشرية بتفاؤل وأمل بظهور المنقذ الموعود وإقامة دولة العدل الإلهي على يديه.

ومن جهة أخرى معاكسة، فإنَّ الشخص أو المجتمعات التي لا تؤمن بالمهدوية تنظر إلى نهاية التاريخ البشري من منظور مختلف وفي الغالب متشائم وسوداوي، فمثلاً: قد يُعتقد أنَّ العالم يتطور تطوراً طبيعياً بدون تدخلات سماوية أو رعاية خاصة، حيث يرى النهاية كنتيجة للتغيرات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي تحدث على مرّ الزمن، وبصفة عامة فإنَّ الاعتقادات الدينية والفلسفية تؤثر في نظرة الأفراد والمجتمعات للمستقبل، وبالخصوص عقيدة (المُخلّص / المهدي).

**النواحي الإيجابية للإيمان بالمهدوية:**

إنَّ الإيمان بالمهدوية يُبشّر الإنسانية بالعديد من الآثار الإيجابية وعلى أكثر من ناحية واتّجاه، من قبيل:

- تحقيق العدالة والمساواة: تُبشِّر بتطبيق قانون العدل الإلهي بين جميع الناس، فالمهدي سيقيم دولة العدل التي تسود فيها المساواة لجميع البشر، بغض النظر عن دينهم أو عرقهم أو جنسهم، حالياً يُحفز هذا الإيمانُ على خلق بيئة إيجابية، والعمل من أجل تحقيق هذه الغاية.
- القضاء على الفقر والجوع: تُبشِّر بعالم خالٍ من العُسْرَة والمجاعة، فالمهدي سيوزع الثروات على جميع الناس بشكل عادل، ولن يبقى فقير أو جائع على وجه الأرض، حالياً يُكرس هذا الإيمانُ العملَ على تطبيق العدالة الاجتماعية والتعاون والترابط بين أفراد المجتمع ومساعدة الضعفاء.
- تحقيق الأمن والاستقرار: تُبشِّر بعالم خالٍ من الحروب والصراعات السياسية والعسكرية، فالمهدي سيُحقق الأمن والاستقرار في جميع أنحاء العالم، حالياً يُعزز هذا الإيمانُ الشعورَ بالإنسانية الواحدة، وتحقيق السلام العالمي، وحماية البشرية من المخاطر والكوارث والحروب.
- نشر السلام والوئام: تُبشّر بعالم يسود فيه المحبة والسلام بين جميع الناس، فالمهدي سيُنشر ثقافة التسامح والاحترام بين الجميع، ولن يكون هناك مكان للكراهية أو العنف، حالياً يُثبت هذا الإيمانُ الشعورَ بالأمان والطمأنينة.
- ازدهار العلم والمعرفة: تُبشّر بعالم يزدهر فيه العلم والمعرفة، فالمهدي سيشجع على العلم والتعلم، وسيُوفر للناس جميع الوسائل التي تساعدهم على التطور والارتقاء، حالياً يُشكل هذا الإيمانُ مصدراً للإلهام والتحفيز لطلب العلم والعمل على تحسين النفس والمجتمع.
- تحقيق السعادة والرفاهية: تُبشّر بعالم يسود فيه السعادة والرخاء للجميع، فالمهدي سيوفر لكافة الناس جميع احتياجاتهم المادية والمعنوية، وسيحقق لهم

حياة كريمة، حالياً يُمثل هذا الإيمانُ رمزاً للأمل والتفاؤل بمستقبل أفضل للبشرية.

- عودة الدين والقيم إلىٰ المجتمع: تُبشِّر بعودة الدين والأخلاق إلىٰ المجتمعات، فالمهدي سيعيد إحياء التوحيد والصلاح في نفوس الناس، وسينشئ مجتمعاً فاضلاً يسود فيه الخير والفضيلة، حالياً يُرسخ هذا الإيمان السعيَ لتحقيق القيم الإنسانية العُليا، وتوجيه سلوكيات الأفراد.
- إصلاح الفساد في الأرض: تُبشِّر بانتهاء الظلم وإصلاح الفساد في الأرض، فالمهدي سيقضي علىٰ الانحراف والخلل بكل أشكاله، وسينشئ مجتمعاً عادلاً ونظيفاً، حالياً يُقوي هذا الإيمانُ الشعورَ بأنَّ الظلم والفساد لن يستمر إلىٰ الأبد، وأن هناك نهاية سعيدة تنتظر البشرية.
- تحقيق الوحدة بين الأديان: تُبشّر بتحقيق الوحدة الدينية بين الجميع، فالمهدي سيفرض التعامل الحسن مع أتباع الديانات المختلفة، وسينهي الصراعات الدينية والمذهبية، حالياً يُساهم هذا الإيمانُ في نشر ثقافة التسامح والاحترام وقبول الآخر بين أتباع مختلف الأديان والطوائف.

يشكِّل التطلُّع إلىٰ مستقبل سعيد ونهاية تاريخ مشرقة حلماً يراود جميع شعوب العالم، إذ تعد هذه الرؤية الإيجابية بمثابة إطار فكري يساعد علىٰ فهم الحياة والعالم بشكل أفضل، وتُعدّ بمثابة طاقة بنّاءة تحرّك الأفراد والمجتمعات نحو التطور والرقي، وبمثابة بذور طيبة تُزرع في عقول الأفراد، وتثمر مشاعر صالحة وسلوكيات فاعلة، مما يؤثر بشكل مباشر علىٰ تطور المجتمع وازدهاره.

**النواحي السلبية لعدم الإيمان بالمهدوية:**

بالتأكيد عدم الإيمان بالمهدوية أو رفض فكرة المُخلّص الموعود يؤثر بشكل كبير جداً علىٰ النظرة لخاتمة مسار البشرية ومعنىٰ التاريخ وهدفه،

وانطلاقاً من المباني والأهداف الأساسية للنظريات والفرضيات الغربية لنهاية التاريخ، يمكننا تلمس بعض النقاط التالية:

- يفقد التاريخ معناه الروحي: تعطي المهدوية التاريخ معنىً روحياً واجتماعياً، عبر تحقيق الخير والعدل في نهايته، وعند عدم الإيمان بها تصبح نهاية التاريخ عشوائية وبلا هدف.
- فقدان الدافع للتقدُّم: في زمن المهدوية تُحرز البشرية تقدماً هائلاً في جميع المجالات، مما يكون دافعاً قوياً للرقي بالمجتمع نحو الأفضل، وعندما يختفي هذا الدافع يصبح المجتمع راكداً، ويواجه صعوبة في التطور والنمو.
- تفقد الحياة معناها: المهدوية أمل المستقبل، ولكن عندما يختفي هذا الأمل يسيطر علينا شعور بأن الحياة لا هدف لها، وأنَّ وجودنا لا معنىً له، وأن المستقبل أسوأ من الحاضر.
- يصبح التاريخ دورة متكررة: بدون هدف واضح أو نهاية سعيدة يصبح التاريخ دورة من الشقاء والخير أو الظلم والعدل، وهكذا يتكرر المسار دون أي أمل أو تفاؤل أو إيجابية.
- التقبل السلبي للظلم: تمثل المهدوية آمال الناس في العدالة الإلهية ونهاية التعسف والجور، وعدم الإيمان بها يؤدي لتقبل الظلم كأمر واقع والرضوخ له، والتعايش معه كجزء من الحياة من دون مقاومة أو اعتراض.
- تفقد القيم الأخلاقية روحها ومعناها: تعزِّز المهدوية نموذجاً للخير والعدل والرحمة التي ترشد المجتمعات للتمسك بها، وعندما يفقد هذا الدور والقدوة تصبح الأخلاق غير واضحة المعالم، ويقلّ التركيز عليها.
- فقدان الهدف الأخروي: عدم الإيمان بالمهدوية يؤدي إلىٰ تجاهل إرادة السماء ومشروعها آخر الزمان، والتغافل عن القضايا الروحية والمعنوية،

فيكون التركيز على الأمور المادية والحياة الدنيوية، ويصاحبه الشعور بالفراغ والضياع.

**لماذا يتجاهل الغرب المهدوية كرؤية لنهاية التاريخ؟**

منذ انطلاقة الإسلام والأعداء يتبعون استراتيجية لتجاهل أو تشويه العقائد الإسلامية، وحظيت العقيدة المهدوية بالخصوص بأكبر قدر من المحاربة والتشويه، وعلى ضوء التحولات والتقلبات السياسية الكبرى في العالم في العقود الأخيرة، وقع الغرب تحت تأثير عقائد ونبوءات آخر الزمان، واحتلَّت هذه المعتقدات مكاناً بارزاً في السنوات الأخيرة في فضاء الثقافة الغربية والرأي العام الغربي.

ليس من شك في أنَّ مؤسسات الهيمنة السياسية والفكرية الغربية، غايتها عرقلة مقدمات إقامة دولة العدل الإلهي، ومناهضة الخلاص الديني آخر الزمان، ولذا فإنَّ جميع خططها الاستراتيجية تستهدف بناء منظومة فكرية تتجاهل الرؤى السماوية (فكرة المخلص والخلاص) بشكل عام والأطروحة الإسلامية (المهدوية) بشكل خاص، خشية من تأثيرها على الشعوب الغربية، وكل هذا التوجس في الغرب من المهدوية لما تتَّصف به من مزايا وخصائص، وما تحمله من مبادئ وقيم وأهداف عُليا، ما يؤهلها للنهوض بالإنسانية لتصل لمرحلة الكمال والرشد، وممَّا يجعلها سريعة الانتشار والقبول لمن يعرفها ويطّلع على حقيقتها، ولذا فقد صدرت تقارير عدَّة استخباراتية غربية تحذر من عواقب انتشار المعارف والحقائق عن المهدوية الأصلية (أطروحة مدرسة أهل البيت عليهم السلام)، لهدف حماية واحتواء الشعوب الغربية من التأثر بها، ومن أن تتعرف على المهدوية بكل أبعادها وحقائقها، أو أن يدرك المواطن الغربي أنَّ الخلاص الإنساني الأمثل والأكمل، والذي يتلاءم مع وجدان الفطرة ويتوافق مع برهان العقل ويتعاضد مع الإرشاد السماوي ينطبق عليها فقط، فلا مفرَّ

حينها من التصديق بها وتأييدها، وستكون آنذاك في نظر هذه الشعوب الملبية لطموحات البشرية والمحققة لآمال وأمنيات الإنسانية، ومن أجل القضاء مسبقاً على احترام وتقدير الإنسان الغربي لها، وأن لا تصبح أيديولوجية إنسانية جذابة ولا سيما بين المثقفين والنخب الفكرية في الغرب إذا توضحت أهدافها الكبرىٰ، وهذا في جوهره أحد أهم الأسباب لتجاهل وتهميش الغرب للمهدوية في الرؤىٰ الفكرية والفلسفية حول نهاية التاريخ.

ولذا تتآزر السياسات الاستراتيجية الغربية وعلىٰ كل الأصعدة (السياسية والفكرية والإعلامية و...) لمناهضة المهدوية، لعل الإجراءات التي اتَّخذتها مؤسسات الهيمنة الغربية تكون سداً أمام انتشار مبادئ وقيم المهدوية في فضاء الثقافة الغربية، وباختصار نكتفي بإبراز بعض العوامل التي تكون وراء تجاهل الغرب للأطروحة الإسلامية كرؤية لنهاية التاريخ:

- قلة المعرفة والاهتمام: اختلاف الإطار الديني والثقافي، حيث إنَّ الغرب ينتمي بشكل رئيسي إلىٰ التقاليد المسيحية والعلمانية، بينما الأطروحة المهدوية جزء من العقيدة الإسلامية، وبهذا لا تكون الشعوب الغربية علىٰ دراية وافية بتفاصيل وجوهر المهدوية، خاصة وأنَّهم لا يشعرون بأثر مباشر لها علىٰ حياتهم، وهذا يشكل عائقاً أمام فهمها وإدراك حقيقتها.
- الحفاظ علىٰ الهيمنة: تجاهل الأطروحة المهدوية يحافظ علىٰ هيمنة التفسيرات الغربية للتاريخ والمجتمع والمستقبل، وهكذا يميل الغرب إلىٰ التركيز علىٰ النماذج الخاصة به لنهاية التاريخ البشري، مثل: مستقبل الحضارات أو سيناريوهات ما بعد نهاية العالم، مما يجعله ينظر إلىٰ المهدوية علىٰ أنَّها أطروحة منافسة غير مرغوب فيها أو بديل غريب عن هذه النماذج.
- التشكيك بالأسس: إعطاء اهتمام للمهدوية قد يثير تساؤلات حول أسس الهيمنة الغربية والتفسيرات العلمانية للتاريخ، ولذا لا يُعير الغربيون

اهتماماً كبيراً لفكرة المهدوية، لأنَّه ينظر إليها على أنَّها مفهوم غير عملي أو حدث بعيد المنال، ويفضلون التركيز على حلِّ المشكلات الحالية مثل: تغير المناخ والفقر والحرب، بدلاً عن التفكير في التفسيرات والأطروحات الدينية.

- دوافع التهميش والمناهضة: تجاهل المهدوية كرؤية نابع في الأساس من دوافع سياسية وأيديولوجية أكثر من مجرد اختلافات دينية أو ثقافية، حيث ينظر إلى الأطروحة المهدوية من قبل المؤسسات السياسية الغربية على أنَّها تمثل تهديداً لقيمهم وثقافتهم ومصالحهم، وأن جميع المشاعر السلبية تجاه المهدوية ما هي إلَّا صدى في أبعادها النفسية والفكرية لأزمة الخوف منها مستقبلاً.
- التركيز على الجوانب العلمانية: يوطد الغرب رؤيته دائماً على الجوانب العلمية والسياسية والاقتصادية للتاريخ بدلاً عن الجوانب الدينية أو الميتافيزيقية (والمهدوية من العقائد الدينية)، وبما أنَّ الثقافة الغربية تؤكد على العلمانية وفصل الدين عن الحياة العامة، لذا تفضل النخب الغربية التركيز على حلول علمية للمشكلات العالمية بدلاً عن طرح رؤى ذات صبغة دينية.
- تأثير الإعلام: الكثير من وسائل الإعلام الغربية تعرض الإسلام بشكل سلبي، وتركز على الصراعات في العالم الإسلامي، وإبراز الحركات الإرهابية (كالقاعدة وداعش)، وتصوّر شخصية الإمام المهدي كزعيم إسلامي مستقبلي، وتربطه بالأفعال الوحشية لتلك الحركات، وتنشر الأفكار الخاطئة حوله، مما يؤثر على نظرة الشعوب الغربية وتكوين صورة سلبية عنه.
- التعصب الديني: كثرت الكتابات في السنوات الأخيرة في الأوساط الثقافية والدينية الغربية حول (نبوءات نهاية الزمان في الكتاب المقدس)، وكان التركيز على فكرة أنَّ الدجال المنبوذ في كل الأديان السماوية أو الوحش أو التنين في التراث الديني لليهود والنصارى يتشابه تماماً مع المهدي الإسلامي، وأنَّ

ما ينتظر المسلمون خروجه آخر الزمان هو في الحقيقة المسيح الدجال الذي ينتظره المسيحيون.

**أثر عدم الإيمان بالمخلص (المهدي) علىٰ المجتمعات الغربية:**

بما تقدَّم يتبيَّن أنَّ الإيمان بالمخلص يقدِّم غالباً شعوراً بالأمل والخلاص من خلال وعدٍ بمستقبلٍ أفضل، وفي المقابل يؤدي عدم الإيمان بفكرة أو عقيدة المخلص أو الخلاص آخر الزمان إلىٰ تأثير سلبي عميق علىٰ الشعوب والمجتمعات وبالخصوص العلمانية منها (المجتمعات الغربية بشكل عام)، ومما يزيد الأمر سوءً كثرة النظريات والفرضيات الفلسفية المتشائمة حول نهاية التاريخ في الغرب.

إنَّ جهل الشعوب الغربية بمستقبلها أو المصير الذي يرتقبها، يشكل أهم موارد القلق والخوف لديها، فهي لا تعرف: هل ينتظرها السعادة والرخاء، أم ينتظرها الشقاء والمأساة؟ مما يؤثر بقوة علىٰ نفسيات وسلوكيات أفراد هذه المجتمعات، ولذا يمكن ملاحظة هذا التأثير في النقاط التالية:

١- فقدان الشعور بالأمل: يقدِّم الإيمان بالمخلص وعداً بنهاية سعيدة لكل المصاعب والمحن، بينما عدم الإيمان بالمخلص والخلاص يؤدي إلىٰ شعور باليأس واللامبالاة، مما يؤدي لظهور أفكار مثل (لا يوجد معنىٰ للحياة) أو (نحن في نهاية التاريخ) أو (ماذا ننتظر)، فيصحب ذلك شعور بالإحباط والضياع، ويصبح الأفراد أقل اهتماماً بالمشاركة في المجتمع أو العمل علىٰ تحسين حياتهم.

٢- غياب العدالة الدولية: يقدِّم الإيمان بالمخلص وعداً بالعدالة والمساواة، بينما عدم الإيمان بالمخلص يؤدي لتوجه الدول إلىٰ التركيز علىٰ القوة والنفوذ، مما يؤدي لنشوب الحروب والصراعات وسيطرة الدول القوية علىٰ الدول الضعيفة من خلال القوة (عسكرية أو سياسية أو اقتصادية)، واحتلال دولة

لأراضي دولة أخرىٰ، فتنتهك حقوق الإنسان وتنهب ثروات الدول المحتلة، مما يعيق تحقيق السلام والاستقرار في العالم.

٣- تراجع القيم والمبادئ: يساهم الإيمان بالمخلص في تعزيز القيم الأخلاقية من خلال ربط السلوكيات بمسؤولية أخلاقية تهدف إلىٰ نيل رضاه، بينما عدم الإيمان يؤدي إلىٰ تفكك في القيم الأخلاقية وانعدام الشعور بالمسؤولية، والإحساس بالفراغ والعبثية نفسياً، خاصة إذا اعتقد الناس أن نهاية التاريخ سوداء، فيصبحون أقل اهتماماً بالتمسك بالمبادئ والقيم، ويعتقدون أن كل شيء بات مسموحاً به، طالما أنَّهم يستمتعون ويتلذذون قبل النهاية المظلمة.

٤- تفاقم الأزمات الاجتماعية: يشكل الإيمان بالمخلص مصدراً للتضامن والتعاون بين أفراد المجتمع، بينما عدم الإيمان يؤدي إلىٰ تفاقم الأوضاع الاجتماعية والتركيز علىٰ الفردية والأنانية، وتؤدي أفكار مثل (لا شيء مهم) إلىٰ تفاقم عدم المساواة الاجتماعية، فيصبح الأغنياء أكثر تركيزاً علىٰ حماية ثروتهم، بينما يصبح الفقراء أكثر استسلاماً لظروفهم التعيسة، مما يُسبِّب أو يؤدي إلىٰ ضعف الروابط الاجتماعية.

٥- ازدياد الشعور بالقلق والتوتر: يمنح الإيمان بالمخلص شعوراً بالأمان والراحة من خلال وعد بحلّ لمشاكل العالم المستعصية، بينما عدم الإيمان يؤدي إلىٰ شعور بالقلق والتوتر من مستقبلٍ غير واضح أو محدد، مما تؤدي مشاعر اليأس والقلق إلىٰ زيادة العنف والنزاعات، فيصبح الناس أكثر استعداداً للقتال من أجل ما يعتقدون أنَّه ملكهم، أو يلجؤون إلىٰ العنف كطريقة للتعبير عن غضبهم.

٦- تغيير في النظرة للعالم: يُوجِد الإيمان بالمخلص اهتماماً متزايداً بالعالم ككيان مترابط وأسرة واحدة، بينما عدم الإيمان يؤدي إلىٰ أن يكون الفرد أكثر سلبية في نظرته للعالم، مما يؤدي إلىٰ زيادة التركيز علىٰ الفردية والمادية علىٰ

حساب الاهتمام بالمجتمع ككل، فتقلّ أهمية القيم الإنسانية مثل الحب والرحمة، وتزداد مشاعر الكره والعداء تجاه الشعوب الأخرىٰ، خاصة إذا صاحبها نظرة استعلاء علىٰ الآخرين.

٧- تراجع الابتكار والإبداع: يخلق الإيمان بالمخلص الدافع لبناء حياة وعِيْشَة أمْثَل للوصول للمدينة الفاضلة، بينما عدم الإيمان يؤدي إلىٰ شعور بأن لا شيء جديداً يمكن تحقيقه وليس هناك دافع للتقدم والتطوير، مما يؤدي إلىٰ أن يصبح الناس أقل اهتماماً بالاختراع والاكتشاف، ويصبحون أكثر تركيزاً علىٰ الاستمتاع بالحاضر، بدلاً عن العمل علىٰ بناء مستقبل أرقىٰ.

**انتشار نبوءات يوم القيامة:**

لا شك أنَّ ثمة سلوكيات وتصرفات ظهرت في المجتمعات الغربية نتجت من التشاؤم التي تركتها نظريات وفرضيات نهاية التاريخ، وكذلك عدم الإيمان بغاية محددة للتاريخ أو بالمخلص والخلاص آخر الزمان مما أدَّىٰ إلىٰ شعور الأفراد بالفراغ الروحي واللامعنىٰ للحياة، فساعد ذلك علىٰ نشر الجهل والخرافات بنبوءات يوم القيامة، فكانوا يتوقعون البلاء والشر ولا يجدون ما يعلّقون عليه آمالهم، فالتصرفات المنبثقة عن النبوءات الأخيرة أو الكوارث الشاملة ليست جديدة في الغرب، بل هي اجترار لأفكار فلسفية قديمة وحديثة متجذرة في عقول ومعتقدات بعض فئات المجتمعات الغربية، ومتجسِّدة بفكرة الفناء والنهاية المحتومة.

من المهم التأكيد علىٰ أنَّ هذه التأثيرات السلبية لعدم الاعتقاد بالمخلص والخلاص آخر الزمان ليست حتمية أو مطلقة[1]، وأنَّها تعتمد علىٰ العديد من

١. من المهم إجراء المزيد من البحوث والدراسات لفهم تأثير عدم الإيمان بالمخلص (الإمام المهدي عليه السلام) آخر الزمان علىٰ المجتمعات الغربية، والتوسع في الدراسات من زوايا أخرىٰ اجتماعية وسياسية، وكذلك أثرها علىٰ نفسيات الشعوب.

العوامل، مثل: السياق الثقافي والديني للمجتمع، وطبيعة المعتقدات حول المخلص، ودوافع الأفراد وأفكارهم حول المستقبل، وغيرها كثير.

**الإيمان بالمهدي عليه السلام يمثل أملاً مشتركاً للبشرية كافة:**

بالتأكيد أنَّ الإيمان بالإمام المهدي عليه السلام يعد أملاً للبشرية جمعاء، وثمة بشارات ودلالات عديدة في الفضاء الديني السماوي والنبوءات في الكتب المقدسة تشير إلىٰ ظهور شخصية منقذة للعالم في آخر الزمان، وفي التراث الإنساني توجد أيضاً إشارات وتوقعات لظهور قائد يتحقق التغيير والتحرر في العالم علىٰ يديه، وفي هذا السياق يعتبر الإيمان بالمهدي فرصة للتغيير الإيجابي، ويمثل الأمل لحل المشاكل العالمية، وإحداث تحول جوهري علىٰ مستوىٰ البشرية، ويمكن حصر بعض نقاط الأمل المشتركة للإنسانية في الآتي:

**١ - القيم الإنسانية المشتركة:**

- يجسد الإيمان بالمهدي عليه السلام قيماً إيجابية مثل: السلام، والعدالة، والحرية، والمساواة، والكرامة الإنسانية.
- يمثل الإيمان بالمهدي عليه السلام رمزاً لعالم إنساني يخلو من الظلم والفساد والصراعات والمنغصات.
- يوحد الإيمان بالمهدي عليه السلام البشرية كافة حول هدف مشترك وهو تحقيق السلام والعدالة للجميع.
- يؤكد الإيمان بالمهدي عليه السلام أهمية القيم الأخلاقية مثل: الصدق، والأمانة، والعدل، والإحسان، والتسامح.
- يمنح الإيمان بالمهدي عليه السلام إنشاء قادة مُلهمين يُشجعون الناس علىٰ العمل معاً لتحقيق غايات إنسانية عليا.

**٢ - الأمل في المستقبل:**

• يقدم الإيمان بالمهدي عجل الله فرجه أملاً في مستقبل أفضل للأجيال القادمة، وبناء عالم يسوده السلام والعدالة.

• يُركِّز الإيمان بالمهدي عجل الله فرجه على الشعور بالسعادة والتفاؤل، ويُخفف من مشاعر القلق والخوف.

• يدعم الإيمان بالمهدي عجل الله فرجه السعي لتحقيق التقدم في جميع المجالات، مثل العلم والطب والتكنولوجيا.

• يؤكد الإيمان بالمهدي عجل الله فرجه على مسؤولية الفرد في الإصلاح والتغيير وتحقيق العدالة الاجتماعية لجميع البشر.

• يعزِّز الإيمان بالمهدي عجل الله فرجه الاعتقاد بالخالق سبحانه وتعالى، وبقدرته على تغيير الواقع السيئ.

**٣ - التغلُّب على التحديات:**

• يساهم الإيمان بالمهدي عجل الله فرجه في التغلُّب على التحديات العالمية مثل: الفقر والحرب والظلم والمرض والجوع.

• يُساعد الإيمان بالمهدي عجل الله فرجه على إيجاد حلول فعّالة للمشكلات المعقدة التي تواجهها البشرية كالبيئة والمناخ.

• يعطي الإيمان بالمهدي عجل الله فرجه البشرية دافعاً لتجاوز المخاطر والصعوبات التي تواجهها، والتطلّع نحو غدٍ أفضل.

• يحث الإيمان بالمهدي عجل الله فرجه على الصبر والمثابرة في مواجهة الظلم والقمع، وخلق نظام عالمي أكثر عدالة.

• يعزز الإيمان بالمهدي عجل الله فرجه على السلام والتفاوض، وحلّ النزاعات الدولية سلمياً، ونشر ثقافة التسامح.

**٤ - احترام الأديان السماوية:**

- يشكل الإيمان بالمهدي عليه السلام نقطة مشتركة بين الإسلام والأديان السماوية كالمسيحية واليهودية.
- يحفز الإيمان بالمهدي عليه السلام الحوار بين الأديان المختلفة، ونشر ثقافة التعارف والاحترام والتسامح.
- يشجع الإيمان بالمهدي عليه السلام على التعاون بين أتباع الأديان المختلفة، ومشاركة المعرفة والخبرات.
- يُساعد الإيمان بالمهدي عليه السلام على احترام معتقدات الآخرين حتَّى لو لم نتفق معها، ومحاربة التعصب والتطرف.
- يلهم الإيمان بالمهدي عليه السلام البشرية إيجاد المعنى والهدف في حياتها، ويُعطيها شعوراً بالانتماء إلى شيء أكبر من نفسها.

تغازل فكرة مستقبل البشرية السعيد أو نهاية التاريخ الإيجابي شوقنا وحنيننا إلى العدالة السماوية والوحدة الإنسانية، ولكن عندما نتفحص بتمعن وعمق جميع الفرضيات والنظريات الفلسفية الغربية عن نهاية التاريخ، أو مفهوم أتباع الأديان السماوية عن الخلاص ومستقبل البشرية، نجد أنَّ الرؤية الإسلامية (المهدوية) أكثر الأطروحات قرباً من العدالة والقيم الإنسانية، فمعها يقوى الأمل لتحقق الأمنية الكبرى للبشرية (المدينة الفاضلة)، والتي تنظر لجميع أفراد البشرية بمختلف الأعراق والأجناس والأديان على شكل سواء (كأسنان المشط)، وكلّهم متساوون أمام قانون دولة العدل الإلهي.

أمّا عن كشف غطاء المستقبل الزاهر والدولة المهدوية الفاضلة، يتحتّمُ على البشرية اليوم أن تصغي لنواميس الحكمة، ليس بنحو أعمى بل بروح العقل والرشاد، وأن تكون مستعدَّة لتقبل المساواة التامة والعدالة المقدَّسة بين

جميع شعوب العالم، لقد واصل بعض الناس عيشه طوال القرن العشرين الذي يُعَدُّ أكثر قرون البشرية دموية، ولكن إذا أردنا أن نجعل تلك الدماء والآلام مجرد آلام مخاض ولادة عصر جديد[١]، لا آلام سكرات موت البشرية، فعلينا أن نصغي بكل صدق إلىٰ الفطرة الصافية والعقل السليم والإرشاد السماوي، الذي يقود الإنسانية ويوجهها نحو الخلاص الحقيقي والعدل الإلهي والمستقبل المشرق، وحينها يكون لتاريخنا مغزىً ولحياتنا هدف ومعنىً.

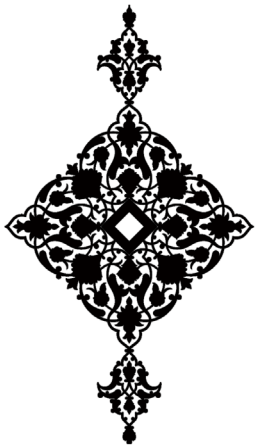

١. العصر الجديد نقصد به دولة العدل الإلهي آخر الزمان علىٰ يد الإمام المهدي المنتظر عجل الله فرجه الشريف، وقد جادت قريحة الفلاسفة وتأملاتهم حول هذه الدولة بثيمات عديدة، أشهرها علىٰ الإطلاق: (جمهورية أفلاطون) و(المدينة الفاضلة – للفارابي) و(مدينة الله – للقديس أوغسطين) و(المدينة الخيالية – لتوماس مور) و(مدينة الشمس – لدومنيك كامبانيلا) و(أطلنطا الجديدة – لفرنسيس بيكون) وغيرهم كثير.

المعود
ALMAUOOD

# كيف يعلم الإمام المهدي عجل الله فرجه بوقت ظهوره؟

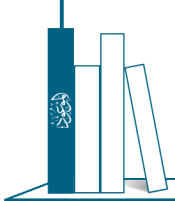

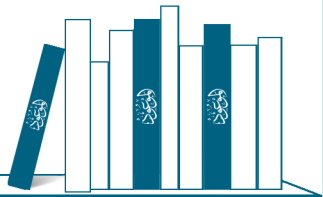

الشيخ حسين عبد الرضا الأسدي

**تمهيد:**

وفيه أمور:

**الأمر الأول:**

المشروع المفترض للإنسان في هذه الحياة هو مشروع التكامل الوجودي، الذي هدفه ومركز استقطابه الكمال المطلق للباري (جلَّ وعلا): ﴿يا أَيُّهَا الْإِنْسانُ إِنَّكَ كادِحٌ إِلى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاقِيهِ﴾ (الانشقاق: ٦)، ومن هنا كان هذا الطريق غير متناهٍ، لأن الهدف غير متناهٍ.

وقد اختلف بنو آدم في درجات كمالهم، تبعاً لأسباب عديدة، أهمها الإرادة الحقيقية للوصول، والإخلاص في التكامل، والتوفيق الإلهي، وغيرها.

ومما لا ريب فيه أنَّ أكمل المخلوقات وأعلاهم رتبة هم محمد وآل محمد عليهم السلام، الأمر الذي تشهد به العديد من النصوص، ومنها ما روي عنه صلى الله عليه وآله: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر، وأول شافع ومشفع، لواء الحمد بيدي يوم القيامة، تحتي آدم فمن دونه»[1].



١. كنز العمال - المتقي الهندي: ج ١١، ص٤٣٣، رقم (٣٢٠٣٣).

وعن جابر الأنصاري أنَّ النبي صلى الله عليه وآله قال له: «أي الإخوان أفضل»؟ قلت: النبيون، فقال صلى الله عليه وآله: «أنا أفضلهم، وأحب الإخوة إليَّ علي بن أبي طالب، فهو عندي أفضل من الأنبياء، فمن قال: إنَّهم خير منه، فقد جعلني أقلَّهم؛ لأنِّي اتَّخذته أخاً لما علمتُ من فضله، وأمرني ربي به»[1].

ولسنا في صدد استقصاء الأدلة على ذلك، فهذا الأمر أثبتته النصوص بكل تأكيد.

**الأمر الثاني:**

أحد أهم امتيازات المعصومين عليهم السلام على من دونهم هو العلم اللدني، غير معلوم الحقيقة، فهو علم يختلف عن علومنا العادية التي نأخذها من خلال الاكتساب والتجربة وتراكم المعرفة، بل هو علم غيبي إلهي لا نتمكَّن من فهم كنهه، لأنَّه في طور أعلى من قدرة أذهاننا على فهمه، وهو علم ينكشف للمعصوم معه كل ما في الكون.

الفلاسفة صوَّروا هذا العلم بأنَّه فرع كون المعصومين عليهم السلام وسائط الفيض الإلهي، على خلفية قولهم بقاعدة الواحد، وأنَّ الواحد الحقيقي من كل جهة لا يصدر عنه إلَّا واحد، فكان الصادر الأول هو العقل الفعال في هذا العالم، وبواسطة هذا العقل صدر الصادر أو العقل الثاني، وصولاً إلى صدور عالم المثال (وهو عالم فيه المادة دون آثارها)، ثم عالم المادة المشهود لنا، ومن ثم فكل ما في العالم إنما يمر من خلال العقل الأول، فيكون عالِماً بكل ما في عالَم الإمكان.

ولسنا في صدد شرح أو نقض هذه النظرية، إلّا أنَّ الملاحظ أنَّ النصوص فيها إشارات لما يشبه هذا المعنى، وما دام الأمر وارداً في النصوص، فيمكن أن

١. الصراط المستقيم لعلي بن يونس العاملي النباطي البياضي: ج١، ص٢١١، الفصل ١٨.

نقبله ولو تعبُّداً، ومن تلك النصوص ما دلَّ على أنَّ أول ما خلق الله تعالىٰ هو نور النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، ثم خلق الأشياء منه، فقد نقل صاحب البحار روايات عديدة في هذا المجال[1]، منها ما روي عن جابر الجعفي، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «يا جابر، كان الله ولا شيء غيره، لا معلوم ولا مجهول، فأوَّل ما ابتدأ من خلقه أن خلق محمداً صلى الله عليه وآله، وخلقنا أهل البيت معه من نور عظمته، فأوقفنا أظلة خضراء بين يديه، حيث لا سماء ولا أرض ولا مكان، ولا ليل ولا نهار، ولا شمس ولا قمر»، الخبر.

وعلىٰ كل حال، فالنصوص الدالة علىٰ علم المعصومين عليهم السلام صريحة في كونه علماً غيبياً، وبطرق غير معلومة لدينا، وبحجم من المعرفة لا يمكن أن تدركه عقولنا، ويكفي أنَّهم لم يُسألوا عن شيء إلّا وأجابوا عنه، وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام في أكثر من مناسبة: «سلوني قبل أن تفقدوني».

**الأمر الثالث:**

إنَّ هذا العلم الغيبي الواسع المدىٰ، وإن كان بالنسبة لغيرهم من المخلوقات علماً واسعاً لا يُمكن إدراكه أو الوصول إلىٰ حقيقته، إلّا أنَّه يبقىٰ بالنسبة إلىٰ الله تعالىٰ علماً متناهياً، وبإذنه تعالىٰ، وبفيض منه (جلَّ وعلا)، بل لا يُقاس علمهم بعلمه (جلَّ وعلا) وإن جلَّ علمهم وعظم، لأنَّهم علىٰ كل حال مخلوقات له تعالىٰ، فقراء إليه، والمخلوق محتاج إلىٰ خالقه في ذاته وأفعاله وصفاته، وهذا بحث لا نقاش فيه.

ومنه يُعلم إمكان أن تكون هناك علوم لا يعرفها أهل البيت عليهم السلام، لأنَّ الله تعالىٰ استأثرها لنفسه، بل هذا ما دلَّت عليه بعض النصوص، كما ستأتي.

---

١. راجع: بحار الأنوار: ج١٥، ص٢٣ و٢٤، وج٢٥، ص١ وما بعدها.

**موضوع البحث:**

السؤال الذي يدور البحث حوله هو عن الطريقة التي يعلم بها الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف وقت الظهور بالضبط، فهل هو من العلم المتاح للمعصوم كي يكون عالماً به فعلاً من البداية، وهو ينتظر أن يحين حينه ليقوم بالأمر؟ أو أنَّه لا يعلم به - لوجه ولآخر كما سيتبيَّن -، ومن ثم يتَّجه السؤال عن الطريقة المنهجية التي يُمكنه عجل الله فرجه الشريف من خلالها أن يعرف ساعة ووقت الظهور ليقوم بالأمر؟

هذا هو محور البحث العام.

ومن المعلوم أنَّ العلم التفصيلي بمثل هذا الأمر غير متاح لنا، وإنَّما هو من مختصات المعصوم، ومن ثم، فالبحث عن الجواب لابد أن يكون بعيداً عن التكهنات الخاصة، والآراء الشخصية، وإنَّما لابد من الرجوع فيه إلىٰ النصوص التي يُمكن أن يُستفاد منها في المقام، سواء من خلال منطوقها المباشر، كما لو دلّ نصٌّ بظاهر لفظه علىٰ علم أو عدم علم المعصوم بالوقت، أو بالمفهوم، أو باللازم، وهذا يعني أنَّ البحث روائي بامتياز.

وبمراجعة نصوص المسألة، نجد أنَّها تنقسم إلىٰ طائفتين:

**الطائفة الأولىٰ: ما قد يُستدل به علىٰ علمه عجل الله فرجه الشريف بالوقت:**

وفي هذا المجال نجد ثلاثة أنواع من النصوص:

**النوع الأول: ما دلَّ علىٰ سعة علم المعصوم لكل شيء يقع في الدنيا وإلىٰ يوم القيامة:**

فإنَّه بإطلاقه يدل علىٰ شمول علمهم عليهم السلام عموماً لمعرفة الوقت بالضبط.

والروايات في ذلك كثيرة، ففي بصائر الدرجات (باب في علم الأئمة بما في السماوات والأرض والجنة والنار وما كان وما هو كائن إلىٰ يوم القيامة)

ذكر ست روايات تدل علىٰ ذلك، ومنها الحديث الثاني عن عبد الأعلىٰ وعبيدة بن بشير، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام ابتداء منه: «والله إني لأعلم ما في السماوات وما في الأرض وما في الجنة وما في النار وما كان وما يكون إلىٰ أن تقوم الساعة»، ثم قال: «أعلمه من كتاب أنظر إليه هكذا» ثم بسط كفيه ثم قال: «إنَّ الله يقول: إنَّا أنزلنا إليك الكتاب فيه تبيان كل شيء»[١].

وفي البصائر أيضاً (باب في الأئمة عليهم السلام أنَّهم أعطوا علم ما مضىٰ وما بقي إلىٰ يوم القيامة) ذكر ثلاث روايات، وقد جاء في الرواية الأولىٰ منه قول الإمام الصادق عليه السلام: «وإنَّ رسول الله أعطىٰ علم ما كان وما هو كائن إلىٰ يوم القيامة فورثناه من رسول الله صلى الله عليه وآله وراثة».

وفي رواية أبي بصير أنَّ أبا عبد الله عليه السلام حدَّثه عن أنواع العلوم التي عندهم، فقال له فيما قال: «إِنَّ عِنْدَنَا عِلْمَ مَا كَانَ وعِلْمَ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَىٰ أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ...»[٢].

ومنها ما ورد في مضمون مصحف فاطمة عليها السلام، وأنَّ فيه علم ما يكون إلىٰ يوم القيامة، وأنَّه عند أهل البيت عليهم السلام، فقد روي عَنْ حَمَّادِ بْنِ عُثْمَانَ، قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ الله عليه السلام يَقُولُ: «تَظْهَرُ الزَّنَادِقَةُ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وعِشْرِينَ ومِائَةٍ وذَلِكَ أَنِّي نَظَرْتُ فِي مُصْحَفِ فَاطِمَةَ عليها السلام»، قَالَ: قُلْتُ: ومَا مُصْحَفُ فَاطِمَةَ؟ قَالَ: «إِنَّ الله تَعَالَىٰ لَمَّا قَبَضَ نَبِيَّه صلى الله عليه وآله دَخَلَ عَلَىٰ فَاطِمَةَ عليها السلام مِنْ وَفَاتِه مِنَ الْحُزْنِ مَا لَا يَعْلَمُه إِلَّا الله عزوجل فَأَرْسَلَ الله إِلَيْهَا مَلَكاً يُسَلِّي غَمَّهَا ويُحَدِّثُهَا فَشَكَتْ ذَلِكَ إِلَىٰ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فَقَالَ: إِذَا أَحْسَسْتِ بِذَلِكِ وسَمِعْتِ الصَّوْتَ قُولِي لِي، فَأَعْلَمَتْه بِذَلِكَ فَجَعَلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام يَكْتُبُ كُلَّ مَا سَمِعَ - حَتَّىٰ أَثْبَتَ

١. هكذا في المصدر، والآية هي: ﴿وَنَزَّلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ تِبْياناً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩].
٢. الكافي للكليني: ج١، ص٢٤٠، بَابٌ فِيه ذِكْرُ الصَّحِيفَةِ والْجَفْرِ والْجَامِعَةِ ومُصْحَفِ فَاطِمَةَ عليها السلام، ح١.

مِنْ ذَلِكَ مُصْحَفاً»، قَالَ: ثُمَّ قَالَ: «أَمَا إِنَّه لَيْسَ فِيه شَيْءٌ مِنَ الْحَلَالِ والْحَرَامِ ولَكِنْ فِيه عِلْمُ مَا يَكُونُ»[١].

ومنها ما روي في شأن الجفر، وأنَّ فيه علم ما يكون إلىٰ يوم القيامة، وأنَّه عند الأئمة عليهم السلام، ففي رواية سدير عن أبي عبد الله عليه السلام أنَّه قال له: «نظرت في كتاب الجفر صبيحة هذا اليوم وهو الكتاب المشتمل علىٰ علم المنايا والبلايا والرزايا وعلم ما كان وما يكون إلىٰ يوم القيامة الذي خصَّ الله به محمداً والأئمة من بعده عليهم السلام»[٢].

فهذه النصوص وأمثالها تدل - بعمومها وإطلاقها- علىٰ أنَّ عند الأئمة عليهم السلام علم ما كان في الماضي، وما يكون في المستقبل إلىٰ يوم القيامة، وهي بإطلاقها تشمل العلم بيوم الظهور، فيكون معلوماً لدىٰ الإمام المهدي عجل الله فرجه.

**اللهم إلَّا أن يُقال:** إنَّ إطلاق هذه النصوص وشموله للعلم بالوقت صحيح، ولكن هذا المعنىٰ يُثبت علمهم عليهم السلام بالوقت بشرط عدم وجود قرينة - ولو منفصلة - تدل علىٰ أنَّهم لا يعلمون الوقت، إذ إنَّ وجودها يعني استثناء علمهم بالوقت من إطلاق تلك النصوص، وهو أمر ليس بعزيز، خصوصاً مع وجود نصوص - ستأتي - تدل علىٰ عدم إتاحة كل العلوم لأهل البيت عليهم السلام، وإنَّما هناك علوم استأثر بها الله تعالىٰ لنفسه، فلم يُطلع عليها أحداً من خلقه البتة، فليكن العلم بالوقت منها.

فهذا النوع من النصوص لا يدل علىٰ المطلوب إلَّا بضم عدم القرينة علىٰ استثناء علم الوقت من الشمول بإطلاقه، وسيأتي ما يُمكن أن يكون قرينة علىٰ ذلك.

١. الكافي للكليني: ج١، ص٢٤٠، بَابٌ فِيه ذِكْرُ الصَّحِيفَةِ والْجَفْرِ والْجَامِعَةِ ومُصْحَفِ فَاطِمَةَ عليها السلام، ح٢.
٢. كمال الدين وتمام النعمة للشيخ الصدوق: ص٣٥٣، ب٣٣، ح٥٠.

**النوع الثاني: ما يدل علىٰ علمهم بالوقت لكن بدلالةٍ التزامية لا مطابقية:**

وهي النصوص التي صرَّحت بأن أهل البيت عليهم السلام لا يوقِّتون، حيث قد يُفهم منه أنَّ لازم قولهم: إنَّهم لا يوقِّتون، هو أنَّهم يعلمون الوقت، ولكنهم لحكمة ولأخرىٰ لا يوقِّتون، أي لا يُعلنون الوقت لغيرهم، ومنها ما روي عَنْ أَبِي بَصِيرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام قَالَ: سَأَلْتُه عَنِ الْقَائِمِ عليه السلام فَقَالَ: «كَذَبَ الْوَقَّاتُونَ إِنَّا أَهْلُ بَيْتٍ لَا نُوَقِّتُ»[1].

وعلَّق المازندراني عليه بقول: دلَّ ظاهراً علىٰ أنَّ لهم علماً بالوقت، إلَّا أنَّهم لا يوقّتون لمصالح[2].

ووفق هذا القول، يكون الإمام المهدي عجل الله فرجه عالماً بوقت الظهور.

**وقد يُقال:** مع تسليم دلالة النصوص المتقدِّمة علىٰ علم الإمام المهدي عجل الله فرجه بوقت الظهور، ألا يعني هذا التوقيت المنهي عنه في النصوص؟

**ولكنه يُجاب:** فرقٌ بين العلم بالوقت وبين التوقيت، فالمنهي عنه هو التوقيت، أي إعلان الوقت وتحديده، وأمّا العلم بالوقت فلم يرد نهي عنه، بل لا معنىٰ للنهي عنه كما هو واضح.

**نعم، قد يُقال:** إنَّ كونهم لا يوقِّتون لا يلازم علمهم الواقعي، وإنَّما هو لازم أعم، فقد يكون عدم توقيتهم من أجل أنَّهم يعلمون ولكن لا يعلنون الوقت لحكمة ما، وقد يكون من أجل أنَّهم لا يوقِّتون لأنَّهم لا يعلمون الوقت أصلاً، وعليه فلا يصح الاستناد إلىٰ هذه النصوص لإثبات علمهم بالوقت، لأنَّها تدل عليه باللازم الأعم، وهو لا يصح مستنداً في المقام.

وقد يُستدل علىٰ علمه عجل الله فرجه بالوقت، بلازم ما روي عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ

١. الكافي للكليني: ج١، ص٣٦٨، بَابُ كَرَاهِيَةِ التَّوْقِيتِ، ح٣.

٢. شرح أصول الكافي للمولى محمد صالح المازندراني: ج٦، ص٣٣٣.

عَـمَّارٍ الصَّـيْرَفِيِّ، قَـالَ: سَـمِعْتُ أَبَـا عَبْـدِ اللهِ عليه السلام يَقُـولُ: «قَـدْ كَانَ لِهَـذَا الْأَمْـرِ وَقْـتٌ وكَانَ فِي سَـنَةِ أَرْبَعِـينَ ومِائَـةٍ فَحَدَّثْتُـمْ بِـهِ وأَذَعْتُمُـوهُ فَأَخَّـرَهُ اللهُ عزوجل».

**ببيـان:** أنَّ الإمـام الصـادق عليه السلام بـيَّن في البدايـة أنَّ الله تعـالىٰ كان قـد وقَّـت لهـذا الأمـر في سـنة معيَّنـة، ولكـن حيـث أذاعـه الشـيعة فـإنَّ الله تعـالىٰ أخَّـره، ولم يقـل الإمـام عليه السلام إنَّـه لا يعلـم ذلـك الوقـت، ممـا يوحـي بأنَّـه كان يعلـم بالوقـت ولكنـه لم يُذعـه، خوفـاً مـن إذاعـة الشـيعة لـه.

**ولكنه يُرد بأمرين:**

**أولاً:** إنَّ ذلـك لازم أعـم مـن المدّعـىٰ - كـما تقـدَّم -، فـلا يصلـح للاسـتدلال عـلىٰ المدّعـىٰ.

**ثانيـاً:** ولـو تنزَّلنـا، فهـو مبنـي عـلىٰ أنَّ المقصـود مـن (الأمـر) هـو وقـت دولـة الإمـام المهـدي عجل الله فرجه، وهـو أول الـكلام، إذ إنَّ كونـه كذلـك يتنـافىٰ مـع المتسـالم عليـه مـن أنَّ ذلـك يكـون عـلىٰ يـدي الإمـام الثـاني عـشر مـن أئمـة أهـل البيـت عليهم السلام، ومـن المعلـوم أنَّ ولادتـه لم تكـن في سـنة (١٤٠هـ)، وإنَّـما بعدهـا بـما يقـرب مـن (١١٥) سـنة، ممـا يعنـي أنَّ المقصـود مـن الأمـر في هـذه الروايـة هـو غـير دولـة الإمـام المهـدي عجل الله فرجه، والـذي قـد يُفـسّر بحالـة مـن الانفـراج والسـعة عـلىٰ الشـيعة وتخلـص مـن الضيـق والتهديـد الـذي كان يقـوم بـه بنـو العبـاس آنـذاك.

وعـلىٰ منـوال هـذه الروايـة روايـات أخـرىٰ مـن قبيـل مـا روي عَـنْ إِسْـحَاقَ بْـنِ عَـمَّارٍ، قَـالَ: قَـالَ لِي أَبُـو عَبْـدِ اللهِ عليه السلام: «يَـا أَبَـا إِسْـحَاقَ إِنَّ هَـذَا الْأَمْـرَ قَـدْ أُخِّـرَ مَرَّتَـيْنِ».

**النوع الثالث: ما دلَّ علىٰ أنَّهم إذا أرادوا أن يعلموا الشيء علموه:**

هنـاك نصـوص متعـدِّدة تـدلُّ عـلىٰ أنَّ أهـل البيـت عليهم السلام إذا أرادوا أن يعلمـوا

الشيء علموه، من قبيل ما روي عن أبي الربيع الشامي قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «العالم إذا شاء أن يعلم علم»[١].

وعن يزيد بن فرقد النهدي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنَّ الإمام إذا شاء أن يعلم علم»[٢].

ومعه قد يُقال: إنَّه يُمكن لأهل البيت عليهم السلام أن يشاؤوا علم الوقت، فيعلمونه.

**ولكنه يُجاب:**

**أولاً:** إنَّ هذا المقدار يُثبت الإمكان لا الوقوع، وحديثنا في الثاني، فدلالتها علىٰ المطلوب لازم أعم.

**ثانياً:** ولو تنزَّلنا، فنقول: إنَّه صحيح لو أرادوا أن يعلموا الوقت، والحال أنَّه يُمكن القول: إنَّهم لا يريدون ذلك، باعتبار أنَّه ورد في نصوص أخرىٰ أنَّ أهل البيت عليهم السلام مورد لإرادة الله تعالىٰ، ومن ثم فهم لا يريدون شيئاً إلَّا إذا أراده الله تبارك وتعالىٰ، فلو لم يكن الله تعالىٰ يريد أن يعلموا الوقت، فهم لا يريدونه أصلاً، فإذا ضممنا لهذا المعنىٰ ما دلَّ علىٰ أنَّهم لا يعلمون بالوقت، أمكن القول بأنَّهم لا يريدون علم الوقت لأنَّ الله تعالىٰ لم يرده لهم.

ومن النصوص الدالة علىٰ ذلك ما روي عن أبي الحسن الثالث عليه السلام أنَّه قال: «إنَّ الله جعل قلوب الأئمة مورداً لإرادته فإذا شاء الله شيئاً شاؤوه، وهو قول الله: ﴿وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّ الْعالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩؛ الإنسان: ٣٠]»[٣].

١. بصائر الدرجات للصفار: الباب (٢)، باب في الإمام بأنه إن شاء أن يعلم العلم علم، ح١.
٢. بصائر الدرجات للصفار: الباب (٢)، باب في الإمام بأنه إن شاء أن يعلم العلم علم، ح٢.
٣. بصائر الدرجان للصفار: ص٥٣٧، الباب ١٨، باب النوادر في الأئمة عليهم السلام وأعاجيبهم، ح٤٧.

وعلَّق العلامة المجلسي على هذا الحديث بقوله: هذا أحسن التوجيهات في تلك الآيات بأن تكون مخصوصة بالأئمة عليهم السلام على وجهين:

أحدهما: أنَّهم عليهم السلام صاروا ربانيين خالين عن مراداتهم وإرادتهم، فلا تتعلَّق مشيتهم إلَّا بما علموا أنَّ الله تعالىٰ يشاؤه، هو عبارة أخرىٰ عن التسليم.

وثانيهما: معنىٰ أرفع وأدق من ذلك، وهو أنَّهم لما صيروا أنفسهم كذلك صاروا بحيث ربهم الشائي لهم والمريد لهم، فلا يفعلون شيئاً إلَّا بما يفيض الله سبحانه عليهم من مشيته وإرادته، وهذا أحد معاني قوله تعالىٰ [أي في الحديث القدسي]: «كنت سمعه وبصره ويده ولسانه»[١].

وفي رواية أبي عبد الله عليه السلام: «إنَّ الإمام وكر لإرادة الله عزَّ وجلَّ لا يشاء إلَّا ما شاء الله»[٢].

وفي رواية الإمام العسكري عليه السلام: «قلوبنا أوعية لمشية الله، فإذا شاء شئنا، والله يقول: ﴿وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّ الْعالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩؛ الإنسان: ٣٠]»[٣].

**اللهم إلَّا أن يُقال**: إنَّه يُمكن أن يريد الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف معرفة الوقت، وأنَّ الله تعالىٰ سيُعلمه ذلك، غايته أنَّه يُعلمه في الوقت المناسب، وليس في نفس وقت إرادة المعرفة.

**وثالثاً**: ولو تنزَّلنا، فيمكن القول: إنَّ ما ورد في هذه النصوص ليس على نحو العلة التامة، وإنَّما على نحو المقتضي الذي يُنتج أثره عند عدم المانع، بمعنىٰ أنَّ أهل البيت عليهم السلام عندما يريدون أن يعلموا بالشيء، فهذه الإرادة هي مقتضي لأن يُعلمهم الله تعالىٰ، ولكن هذا المقتضي قد يقف أمامه مانع، فلا

١. بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج٢٤، ص٣٠٦.
٢. المتحضر لحسن بن سليمان الحلي: ص٢٢٧، ح٢٩٦.
٣. الغيبة للطوسي: ص٢٤٧، ح٢١٦.

يُعلمهم الله تعالىٰ، والمانع في البين هي حكمة الله تعالىٰ، فلحكمة غير معلومة قد يُريد أهل البيت عليهم السلام علمَ شيء ما، إلَّا أنَّ الله تعالىٰ لا يُعلمهم، وهو صريح ما دلَّ علىٰ أنَّه قد يُقبض العلم عن أهل البيت عليهم السلام فلا يتحدَّثون.

ويدلّ علىٰ هذا المعنىٰ بوضوح ما روي عن عيسىٰ بن حمزة الثقفي، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنا نسألك أحياناً فتسرع في الجواب وأحياناً تطرق ثم تجيبنا، قال: «إنَّه نعم ينقر وينكت في آذاننا وقلوبنا، فإذا نكت أو نقر نطقنا، وإذا أمسك عنا أمسكنا»[1].

وقريب منه ما دلَّ علىٰ أنَّ علم أهل البيت عليهم السلام يأتيهم بالتدريج، فقد روي عن ضريس، قال: كنت مع أبي بصير عند أبي جعفر عليه السلام فقال له أبو بصير: بما يعلم عالمكم جعلت فداك؟ قال عليه السلام: «يا أبا محمد، إنَّ عالمنا لا يعلم الغيب، ولو وكَّل الله عالمنا إلىٰ نفسه كان كبعضكم، ولكن يحدث إليه ساعة بعد ساعة»[2].

**ورابعاً**: إنَّ هذا المعنىٰ ليس علىٰ إطلاقه، إذ ليس المقصود من ذلك أنَّهم يعلمون كل ما يريدون بذاتهم، كلا، وإنَّما المقصود هو أنَّ الله تعالىٰ يُعلمهم بالشيء الذي يريدون معرفته، وهو ما صرَّحت به نصوص عديدة تشكل قرينة علىٰ تقييد الروايات المتقدِّمة، بمعنىٰ أنَّ الروايات المتقدمة أطلقت علم أهل البيت عليهم السلام بما يريدونه، إلّا أنَّ هناك روايات تقول إنَّ الله تعالىٰ هو الذي يُعلمهم بذلك، مما يشكل قرينة علىٰ تقييد ذلك الإطلاق، وهي من قبيل ما روي عَنْ مُعَمَّرِ بْنِ خَلَّادٍ، قَالَ: سَأَلَ أَبَا الْحَسَنِ عليه السلام رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ فَارِسَ

---

١. بصائر الدرجات للصفار: ص٣٣٦، الباب (٣)، باب ما يفعل بالإمام من النكت والقذف والنقر في قلوبهم وإذنهم، ح٣.

٢. بصائر الدرجات للصفار: ص٣٤٥، الباب (٧)، باب ما يلقىٰ شيء بعد شيء يوما بيوم وساعة بساعة مما يحدث، ح٢.

فَقَالَ لَه: أَتَعْلَمُونَ الْغَيْبَ؟ فَقَالَ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: «يُبْسَطُ لَنَا الْعِلْمُ فَنَعْلَمُ، ويُقْبَضُ عَنَّا فَلَا نَعْلَمُ...»[١].

وكذلك ما روي عَنْ عَمَّارٍ السَّابَاطِيِّ، قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ الله عليه السلام عَنِ الإِمَامِ يَعْلَمُ الْغَيْبَ؟ فَقَالَ عليه السلام: «لَا، ولَكِنْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَعْلَمَ الشَّيْءَ أَعْلَمَه الله ذَلِكَ»[٢].

ومعه، فيُمكن أن يُناقش في أصل دلالة هذا النوع من الروايات على علمهم عليهم السلام بالوقت، باعتبار أنَّها تدل على ذلك بنحو اللازم الأعم، بمعنى أنَّها ليست نصاً في علمهم بالوقت، ومن ثم ليكن العلم بالوقت مستثنى من هذا العموم، خصوصاً مع تعليق علمهم على إرادة الله تعالى إعلامهم بما يريدون، وخصوصاً وأنَّ بعض النصوص - كما تقدَّم - صرَّحت بأنَّه يُمكن أن يُقبض العلم عنهم عليهم السلام فلا يعلمون، كما في رواية معمر بن خلاد المتقدمة، فمع ضمّ ما دلَّ على عدم علمهم بالوقت، قد يقال بثبوت عدم دلالة هذا النوع من النصوص على المطلوب.

**اللهم إلَّا أن يُقال:** يُمكن أن يستفاد من هذه النصوص في البحث، من جهة أنَّها تنص على أنَّه متى ما أراد أهل البيت عليهم السلام أن يعلموا الشيء أعلمهم الله تعالى، ومعه، فلو أرادوا أن يعلموا الوقت فإنَّ الله تعالى سيُعلمهم، وقد تقدَّم التعليق على هذا المعنى.

**الطائفة الثانية: ما قد يُستدل به على عدم علمه عجل الله فرجه الشريف بالوقت:**

بداية، نذكِّر بما ورد في النصوص أنَّ الله تعالى وإن أتاح علوماً كثيرة جداً للمعصوم، إلَّا أنَّه لا يعني اطِّلاعه على كل العلم الإلهي، بل إنَّ هذا غير ممكن في حدِّ نفسه، لأنَّ العلم الإلهي هو عين الذات الإلهية، وحيث إنَّ الذات الإلهية

١. الكافي للكليني: ج١، ص٢٥٦، بَابٌ نَادِرٌ فِيهِ ذِكْرُ الْغَيْبِ، ح١.
٢. الكافي للكليني: ج١، ص٢٥٧، بَابٌ نَادِرٌ فِيهِ ذِكْرُ الْغَيْبِ، ح٤.

لا متناهية الوجود، فما هو عينها كذلك، فالعلم الإلهي غير متناهي، ومن ثم لا يُمكن ولا يُعقل أن يحتويه مخلوق مما علا شأنه واكتمل وجوده، لأنَّه علىٰ كل حال متناهي، ولا يمكن للمتناهي أن يُحيط باللامتناهي.

فمن النصوص التي دلَّت علىٰ استئثار الله تعالىٰ ببعض العلوم، ما روي عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ النَّوْفَلِيِّ عَنْ أَبِي الْحَسَنِ صَاحِبِ الْعَسْكَرِ عليه السلام، قَالَ: سَمِعْتُه يَقُولُ: «اسْمُ الله الأَعْظَمُ ثَلَاثَةٌ وسَبْعُونَ حَرْفاً، كَانَ عِنْدَ آصَفَ حَرْفٌ، فَتَكَلَّمَ بِه فَانْخَرَقَتْ لَه الأَرْضُ فِيمَا بَيْنَه وبَيْنَ سَبَإٍ، فَتَنَاوَلَ عَرْشَ بِلْقِيسَ حَتَّىٰ صَيَّرَه إِلَىٰ سُلَيْمَانَ، ثُمَّ انْبَسَطَتِ الأَرْضُ فِي أَقَلَّ مِنْ طَرْفَةِ عَيْنٍ، وعِنْدَنَا مِنْه اثْنَانِ وسَبْعُونَ حَرْفاً، وحَرْفٌ عِنْدَ الله مُسْتَأْثِرٌ بِه فِي عِلْمِ الْغَيْبِ»[1].

وهناك روايات عديدة بهذا المعنىٰ.

ولا يتصورنَّ أحدٌ أنَّ هذا الحرف المستأثر صغير في حجمه، كلا، بل إنَّه لا متناهي، لأنَّ علمه تعالىٰ لا متناهي.

ومعه، فلا مانع من أن يكون علم الوقت والظهور من العلم المستأثر لدىٰ الله تعالىٰ، ويكون من العلم الذي كتمه الله تعالىٰ عنهم عليهم السلام لحكمة معينة.

وعلىٰ كل حال فما يُمكن أن يُستدل به علىٰ عدم علمهم عليهم السلام بالوقت أنواع من الروايات:

**النوع الأول: ما صُرّح فيه بأنَّ الله تعالىٰ كتم علم الظهور عنهم عليهم السلام:**

من قبيل ما روي عَنْ أَبِي حَمْزَةَ الثُّمَالِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ الْبَاقِرَ عليه السلام يَقُولُ: «يَا ثَابِتُ إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ قَدْ كَانَ وَقَّتَ هَذَا الْأَمْرَ فِي سَنَةِ السَّبْعِينَ فَلَمَّا قُتِلَ

١. انظر: الكافي للكيني: ج١، ص٢٣٠، بَابُ مَا أُعْطِيَ الأَئِمَّةُ عليهم السلام مِن اسْمِ الله الأَعْظَمِ، ح٣.

الْحُسَيْنُ عليه السلام اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ فَأَخَّرَهُ إِلَىٰ أَرْبَعِينَ ومِائَةٍ فَحَدَّثْنَاكُمْ بِذَلِكَ فَأَذَعْتُمْ وكَشَفْتُمْ قِنَاعَ السِّتْرِ فَلَمْ يَجْعَلِ اللهُ لِهَذَا الْأَمْرِ بَعْدَ ذَلِكَ وَقْتاً عِنْدَنَا، ويَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ ويُثْبِتُ وعِنْدَه أُمُّ الْكِتَابِ»، قَالَ أَبُو حَمْزَةَ: فَحَدَّثْتُ بِذَلِكَ أَبَا عَبْدِ اللهِ عليه السلام فَقَالَ: «قَدْ كَانَ كَذَلِكَ»[1].

فإنَّ هذا النص صريح في أنَّ الله تعالىٰ لم يجعل علماً لهذا الوقت عند أهل البيت عليهم السلام، وإن احتمل بعضٌ أنَّ المقصود منه هو عدم الإذن لهم بإظهار الوقت بعدما كشفه الأتباع أكثر من مرة، ولكنه علىٰ كل حال خلاف الظاهر.

قال المازنداني: قوله: «ولم يجعل الله» عطف علىٰ محذوف دلَّ عليه ظاهر الحال بل ظاهر المقال أيّ: فحدثناكم حديثاً ينبغي كتمانه فأذعتم الحديث كما فتشتموه فكشفتم قناع السر فأخَّره الله عن الأربعين ومائة ولم يجعل الله له بعد ذلك وقتاً عندنا أيّ لم يجعل لنا توقيته بعد ذلك، ولا يجوز لنا إظهار وقته، ويحتمل أن يكون المراد أنَّه لم يجعل لنا علماً بوقته بعد ذلك»[2].

علىٰ أنَّه مبني علىٰ أنَّ المقصود من الأمر هو الظهور، وقد تقدَّم احتمال غيره.

وقد يُستفاد هذا المعنىٰ مما روي عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مِهْزَمٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام قَالَ: ذَكَرْنَا عِنْدَهُ مُلُوكَ آلِ فُلَانٍ فَقَالَ: «إِنَّمَا هَلَكَ النَّاسُ مِنِ اسْتِعْجَالِهِمْ لِهَذَا الْأَمْرِ، إِنَّ اللهَ لَا يَعْجَلُ لِعَجَلَةِ الْعِبَادِ إِنَّ لِهَذَا الْأَمْرِ غَايَةً يُنْتَهَىٰ إِلَيْهَا فَلَوْ قَدْ بَلَغُوهَا لَمْ يَسْتَقْدِمُوا سَاعَةً ولَمْ يَسْتَأْخِرُوا».

ببيان: أنَّ الإمام عليه السلام صرَّح بأنَّ لهذا الأمر غاية يُنتهىٰ إليها، وهو قد يُشير إلىٰ عدم علمه بوقت انتهاء تلك الغاية.

اللهم إلَّا أن يقال: إنَّ الإمام عليه السلام ليس بصدد البيان من هذه الناحية،

١. الكافي للكليني: ج١، ص٣٦٨، بَابُ كَرَاهِيَةِ التَّوْقِيتِ، ح١.
٢. شرح أصول الكافي للمازندراني: ج٦، ص٣٣٢.

وإنَّما بصدد بيان أصل وجود الغاية التي ينتهي إليها الأمر، لا بصدد بيان العلم بها أو عدمه.

**النوع الثاني: ما دلَّ على أنَّ يوم الظهور هو كيوم القيامة لا يعلم به إلَّا الله تعالىٰ:**

ففي رواية الكميت بن أبي المستهل أنَّه قال للإمام الباقر عليه السلام: فمتىٰ يخرج يا بن رسول الله؟ قال عليه السلام: «لقد سئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن ذلك فقال: إنَّما مثله كمثل الساعة لا تأتيكم إلَّا بغتة»[١].

وفي رواية دعبل أنَّ الإمام الرضا عليه السلام قال له: «وأمّا (متىٰ) فإخبار عن الوقت، فقد حدَّثني أبي، عن أبيه عن آبائه عليهم السلام أنَّ النبي صلى الله عليه وآله قيل له: يا رسول الله متىٰ يخرج القائم من ذريتك؟ فقال [صلى الله عليه وآله]: مثله مثل الساعة التي ﴿لا يُجَلِّيها لِوَقْتِها إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّماواتِ وَالْأَرضِ لا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ [الأعراف: ١٨٧]»[٢].

ومن ثم، يكون ادِّعاء العلم بالوقت ادِّعاءً للعلم بمستأثر العلم الإلهي، وهو غير ممكن، وهو ما أشار له الإمام الصادق فيما روي أنَّه قال المفضل: يا مولاي فلا يوقت له وقت؟ قال: «يا مفضل لا توقِّت، فمن وقَّت لمهدينا وقتاً فقد شارك الله في علمه وادَّعىٰ أنَّه يظهره علىٰ أمره وما لله سر إلَّا وقد وقع إلىٰ هذا الخلق المنكوس الضال عن الله الراغب عن أولياء الله، وما لله خزانة هي أحصن سرّاً عندهم أكبر من جهلهم به وإنَّما ألقىٰ قوله إليهم لتكون لله الحجة عليهم»[٣].

---

١. كفاية الأثر للخزاز القمي: ص٢٥٠.

٢. كمال الدين للشيخ الصدوق: ص٣٧٣، ب٣٥، ح٦.

٣. الهداية الكبرىٰ للخصيبي: ص٣٩٣.

**النوع الثالث: ما دلَّ علىٰ أنَّ الظهور يكون بغتة:**

ببيان أنَّ البغتة لا تتناسب مع علم أهل البيت عليهم السلام السابق علىٰ الظهور، لأنَّه مع العلم المسبق لا مباغتة.

وقد تقدَّمت بعض النصوص في النوع الثاني المتقدم تصرِّح بأنَّ الظهور بغتة، ويُضاف إليها ما في رواية الإمام الباقر عليه السلام: «وأمّا قوله ﴿حَتَّىٰ إِذا فَرِحُوا بِما أُوتُوا أَخَذْناهُمْ بَغْتَةً فَإِذا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤] يعني قيام القائم»[١].

وما جاء في مكاتبته عجل الله فرجه للشيخ المفيد: «فليعمل كل امرئ منكم بما يقرب به من بمحبتنا، ويتجنب ما يدنيه من كراهتنا وسخطنا، فإنَّ أمرنا بغتة فجأة حين لا تنفعه توبة ولا ينجيه من عقابنا ندم علىٰ حوبة...»[٢].

ولكن الاستدلال علىٰ عدم علمهم عليهم السلام بوقت الظهور بهذا النوع من الروايات غير تام، لإمكان أن يُقال: إنَّ البغتة تكون لغير أهل البيت عليهم السلام، إذ لا موجب لتكون بغتة عليهم عليهم السلام، وإنَّما تكون لغيرهم من الغافلين، أو لمن يتخيَّل تأخر ظهور الإمام، أو من يتوهَّم أنَّه لا يظهر أصلاً، أو لمن يتربَّص بظهور الإمام الدوائر ليقضي عليه، فهؤلاء تحصل عندهم البغتة لو ظهر الإمام عجل الله فرجه.

اللهم إلَّا أن يُقال: إنَّ الروايات التي دلَّت علىٰ أنَّ أمر الظهور كأمر الساعة، لا يعلمه إلَّا الله تعالىٰ، يوجب أن تكون البغتة شاملة لأهل البيت عليهم السلام، وتشكِّل حينها قرينة علىٰ عدم علمهم بذلك.

**إذن، كيف يعلم بوقت الظهور؟**

مع البناء علىٰ عدم علمه عجل الله فرجه فعلاً بالوقت، يتَّجه السؤال حينئذٍ عن أنَّه كيف يعلم عجل الله فرجه بساعة ووقت الظهور المبارك؟

---

١. بصائر الدرجات للصفار: ص٩٨.

٢. الاحتجاج للطبرسي: ج٢، ص٣٢٣.

ولسنا هنا في مقام الترجيح بين النصوص من الطائفتين، لأنَّ الكلام فيها - كما تبيَّن - ذو سجال، وإن كان يُمكن ترجيح نصوص عدم العلم بالوقت قبل الظهور، هذا من جهة.

ومن جهة أخرىٰ فإنَّ حديثنا إثباتي لا ثبوتي، بمعنىٰ أنَّنا نعلم ثبوتاً بأنَّ هناك طريقة ما يعلم من خلالها الإمام المهدي عجل الله فرجه بوقت الظهور إذا حان وقته، وعدم علمنا بها لا ينفيها، ومن هنا، فإنَّنا نجد في النصوص أنَّ هناك طريقتين يعلم من خلالهما الإمام المهدي عجل الله فرجه بوقت الظهور، ولا مانع من الجمع بينهما، وهما:

**الطريقة الأولىٰ: الإيحاء إليه:**

ذكروا في علوم القرآن أنَّ الوحي هو بمعنىٰ الخطاب الخفي، إلَّا أنَّه ليس خاصاً بالأنبياء والرسل، وإنَّما هي طريقة غيبية يوصل الله تعالىٰ من خلالها مراداته إلىٰ بعض مخلوقاته، سواء أكانوا أنبياء أم غيرهم، غايته أنَّ هناك وحياً خاصاً بالأنبياء والرسل، وهو ما يُطلق عليه بالوحي الرسالي، وإلَّا، فإنَّ الوحي أعم من ذلك، ولبيان الحال نذكر مختصراً أنواع الوحي في القرآن الكريم والنصوص الروائية:

عندما نتتبَّع آيات القرآن الكريم والنصوص الروائية، نجد أنَّ للوحي استعمالات عديدة، نذكر منها هنا أربعة:

**الاستعمال الأول: الوحي الرسالي:**

وهو الوحي الذي ينزل علىٰ الأنبياء والرسل بالخصوص، وهذا المعنىٰ هو ما تشير إليه الآية الكريمة: ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ﴾ (العنكبوت: ٤٥؛ الكهف: ٢٧).

وهو الذي انقطع باستشهاد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، وهو مقتضىٰ كونه صلى الله عليه وآله خاتم النبيين، بالإضافة إلىٰ تصريح حديث المنزلة بذلك «إلَّا أنَّه لا نبي بعدي» وتصريح بعض الروايات بذلك، من قبيل «ولا نبي بعد نبينا».

**الاستعمال الثاني: الوحي التكويني:**

بمعنىٰ تنظيم السنن الكونية في عالم الوجود، أو قل: بمعنىٰ وضع الأنظمة والقوانين التي تحكم عالم الوجود التكويني، من قبيل قوله تعالىٰ: ﴿فَقَضاهُنَّ سَبْعَ سَماواتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحىٰ فِي كُلِّ سَماءٍ أَمْرَها وَزَيَّنَّا السَّماءَ الدُّنْيا بِمَصابِيحَ وَحِفْظاً ذلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ (فصلت: ١٢).

**الاستعمال الثالث: الوحي الغريزي:**

بمعنىٰ ما أودعه الله تعالىٰ في بعض المخلوقات من النظام الداخلي لديها، الذي يجعلها تهتدي لعيشها، وبناء بيوتها، ورعاية صغارها، وما شابه، ومن ذلك ما جاء في شأن النحل، قال تعالىٰ: ﴿وَأَوْحىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِها شَرابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُهُ فِيهِ شِفاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (النحل: ٦٨-٦٩).

**الاستعمال الرابع: الوحي بمعنىٰ التحديث، أو الإلهام والإلقاء:**

وهو الوحي الذي يكون للبشر، رجالاً ونساءً، من دون أن يكون الموحىٰ إليه نبياً، وهو ما يُطلق عليه بالتحديث، أو الإلهام، أو الإلقاء في الروع، أو النكت في القلب، وقد شهد القرآن الكريم علىٰ ثبوت هذا المعنىٰ لغير الأنبياء، ففي شأن أم النبي موسىٰ عليه السلام، قال تعالىٰ: ﴿وَأَوْحَيْنا إِلىٰ أُمِّ مُوسىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ (القصص: ٧)، وهو قد يكون بمعنىٰ الإلهام.

وفي السيدة مريم عليها السلام، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (آل عمران: ٤٢-٤٦)، وهو قد يكون بمعنىٰ التحديث.

والتحديث هو ما ربما كان مع الحواريين، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ (المائدة: ١١١).

وهذا المعنىٰ - التحديث والإلهام والإلقاء - هو ما نقوله في أهل البيت عليهم السلام، ولا مانع شرعياً ولا عقلياً منه، ولا يستلزم الغلو، ولا ادّعاء نبوة، ولا غيرها من المحذورات الشرعية والدينية.

وقد نصَّت الروايات علىٰ تسمية أهل البيت عليهم السلام بالمحدَّثين، والتي أشارت إلىٰ الوحي إليهم بهذا المعنىٰ، وهي عديدة، منها ما روي عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا الْحَسَنِ عليه السلام يَقُولُ: «الأَئِمَّةُ عُلَمَاءُ صَادِقُونَ مُفَهَّمُونَ مُحَدَّثُونَ»[1].

وعَنْ حُمْرَانَ بْنِ أَعْيَنَ قَالَ: قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: «إِنَّ عَلِيّاً عليه السلام كَانَ مُحَدَّثاً»، فَخَرَجْتُ إِلَىٰ أَصْحَابِي فَقُلْتُ: جِئْتُكُمْ بِعَجِيبَةٍ! فَقَالُوا: وَمَا هِيَ؟ فَقُلْتُ: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام يَقُولُ: «كَانَ عَلِيٌّ عليه السلام مُحَدَّثاً»، فَقَالُوا: مَا صَنَعْتَ شَيْئاً، أَلَا سَأَلْتَه مَنْ كَانَ يُحَدِّثُه؟ فَرَجَعْتُ إِلَيْه فَقُلْتُ: إِنِّي حَدَّثْتُ أَصْحَابِي بِمَا حَدَّثْتَنِي فَقَالُوا:

١. الكافي للكليني: ج١، ص٢٧١، بَابُ أَنَّ الأَئِمَّةَ عليهم السلام مُحَدَّثُونَ مُفَهَّمُونَ، ح٣.

مَا صَنَعْتَ شَيْئاً، إِلَّا سَأَلْتَه مَنْ كَانَ يُحَدِّثُه؟ فَقَالَ عليه السلام لِي: «يُحَدِّثُه مَلَكٌ»، قُلْتُ: تَقُولُ: إِنَّه نَبِيٌّ؟! قَالَ: «فَحَرَّكَ يَدَه هَكَذَا: أَوْ كَصَاحِبِ سُلَيْمَانَ، أَوْ كَصَاحِبِ مُوسَىٰ، أَوْ كَذِي الْقَرْنَيْنِ، أَوَمَا بَلَغَكُمْ أَنَّه قَالَ صلى الله عليه وآله: وفِيكُمْ مِثْلُه»[١].

وعَنْ عَلِيٍّ السَّائِيِّ، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الأَوَّلِ مُوسَىٰ عليه السلام قَالَ: قَالَ عليه السلام: «مَبْلَغُ عِلْمِنَا عَلَىٰ ثَلَاثَةِ وُجُوه: مَاضٍ وغَابِرٍ وحَادِثٍ، فَأَمَّا الْمَاضِي فَمُفَسَّرٌ، وأَمَّا الْغَابِرُ فَمَزْبُورٌ، وأَمَّا الْحَادِثُ فَقَذْفٌ فِي الْقُلُوبِ ونَقْرٌ فِي الأَسْمَاعِ، وهُوَ أَفْضَلُ عِلْمِنَا، ولَا نَبِيَّ بَعْدَ نَبِيِّنَا»[٢].

فهذا الحديث واضح جداً في أنَّه في الوقت الذي يُثبت التحديث لهم عليهم السلام، إلَّا أنَّه ينفي النبوة عنهم عليهم السلام، فكأنَّه دفْعُ إشكال وتوهم.

أي إنَّه عليه السلام: (دَفَع بذلك توهُّم من يتوهَّم أنَّ كل من قذف في قلبه ونقر في سمعه فهو نبي، وهذا التوهُّم فاسد لأنَّه محدَّث والمحدَّث ليس بنبي)[٣].

بل ورد في بعض النصوص إمكان أن يكون غير المعصوم محدَّثاً، إذا ما وصل إلىٰ مراحل عالية من الكمال، كما في سلمان المحمدي، إذ روي عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كان علي عليه السلام محدَّثاً، وكان سلمان محدَّثاً»، قال: قلت: فما آية المحدَّث؟ قال عليه السلام: «يأتيه ملك فينكت في قلبه كيت وكيت»[٤].

إذا تبيَّن هذا، فنقول: إنَّه يُمكن أن يعلم الإمام المهدي عجل الله فرجه بساعة الظهور بالضبط من خلال الإيحاء إليه بهذا المعنىٰ، فقد روي عَنِ الْمُفَضَّلِ بْنِ عُمَرَ عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام فِي قَوْلِ الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ﴾ [المدثر: ٨]

١. الكافي للكليني: ج١، ص٢٧١، بَابُ أَنَّ الأَئِمَّةَ عليهم السلام مُحَدَّثُونَ مُفَهَّمُونَ، ح٥.
٢. الكافي للكليني: ج١، ص٢٦٤، بَابُ جِهَاتِ عُلُومِ الأَئِمَّةِ عليهم السلام، ح١.
٣. شرح أصول الكافي للمولىٰ محمد صالح المازندراني: ج٦، ص٤٩.
٤. بصائر الدرجات للصفار: ص٣٤٢، ب٦، ح٤.

قَالَ: «إِنَّ مِنَّا إِمَاماً مُظَفَّراً مُسْتَتِراً فَإِذَا أَرَادَ الله عَزَّ ذِكْرُه إِظْهَارَ أَمْرِه نَكَتَ فِي قَلْبِه نُكْتَةً فَظَهَرَ فَقَامَ بِأَمْرِ الله تَبَارَكَ وتَعَالَىٰ»[١].

وفي نقل تفسير البرهان: «إذا نقر في أُذن القائم عليه السلام أَذِن له في القيام»[٢].

خصوصاً أنَّه ورد في بعض النصوص أنَّه يوحىٰ إليه في إدارة دولته، فقد رويَ عنِ الإمامِ الباقر عليه السلام أنَّه قال: «يملكُ القائمُ ثلاثمائة سنة ويزدادُ تسعاً، كما لبثَ أهلُ الكهفِ في كهفهم، يملأُ الأرضَ عدلاً وقسطاً كما مُلئتْ ظلماً وجوراً، فيفتحُ اللهُ له شرقَ الأرضِ وغربها... ويدعو الشمسَ والقمرَ فيُجيبانه، وتُطوىٰ له الأرضُ، ويوحىٰ إليه فيعملُ بالوحي بأمرِ الله عزّ وجلّ»[٣].

**الطريقة الثانية: صدور علامات إعجازية خاصة به عجل الله فرجه:**

جاءَ في بعضِ المروياتِ أنَّ للإمامِ عجل الله فرجه علَماً وسيفاً سينطقانِ ساعةَ الظهور ويُخبرانِ الإمامَ عليه السلام بذلك، مما يولّد القطع واليقين له عجل الله فرجه بحلول وقت الظهور، ففي رواية الإمام الحسين عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله أن أُبَيَّ قال لرسول الله صلى الله عليه وآله: وَمَا دَلَائِلُهُ وَعَلَامَاتُهُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ صلى الله عليه وآله لَهُ: «عَلَمٌ إِذَا حَانَ وَقْتُ خُرُوجِهِ انْتَشَرَ ذَلِكَ الْعَلَمُ مِنْ نَفْسِهِ، وَأَنْطَقَهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فَنَادَاهُ الْعَلَمُ: اخْرُجْ يَا وَلِيَّ اللهِ فَاقْتُلْ أَعْدَاءَ اللهِ، وَلَهُ رَايَتَانِ(٤) وَعَلَامَتَانِ.

وَلَهُ سَيْفٌ مُغَمَّدٌ، فَإِذَا حَانَ وَقْتُ خُرُوجِهِ اقْتَلَعَ ذَلِكَ السَّيْفُ مِنْ غِمْدِهِ، وَأَنْطَقَهُ اللهُ عزّ وجلّ، فَنَادَاهُ السَّيْفُ: اخْرُجْ يَا وَلِيَّ اللهِ، فَلَا يَحِلُّ لَكَ أَنْ تَقْعُدَ عَنْ أَعْدَاءِ اللهِ، فَيَخْرُجُ وَيَقْتُلُ أَعْدَاءَ اللهِ حَيْثُ ثَقِفَهُمْ، وَيُقِيمُ حُدُودَ اللهِ، وَيَحْكُمُ بِحُكْمِ اللهِ عزّ وجلّ»[٥].

---

١. الكافي للكليني: ج١، ص٣٤٣، بَابٌ فِي الْغَيْبَة، ح٣٠.

٢. البرهان في تفسير القرآن للسيد هاشم البحراني: ج٥، ص٥٢٥، ح١١١٩٨ / [٣].

٣. بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج٥٢، ص٣٩٠.

٤. في بعض النُّسَخ: (هما رايتان)، وفي العيون: (وهما رايتان).

٥. كمال الدين وتمام النعمة: ص١٥٥-١٥٦، بَاب ٧ ح١٧.

وفي هذا المجال يُمكن حمل هذه الرواية علىٰ الحقيقة، ويكون نطق الراية والسيف إعجازياً، ولا مانع منه، بل هو ظاهر الرواية، ومعه، فلا داعي لحملها علىٰ الرمزية، كأنْ يُقال: إنَّ المقصود هو فتح باب علم كان مغلقاً علىٰ الإمام، أو ما يشابه هذا الحمل.

**ويمكن القول**: إنَّ ما ذُكر في هذه الطرق إنَّما هو تطبيق لما ورد أنَّ علمهم عليهم السلام هو علم لدنّي، بمعنىٰ أنَّه يؤخذ من الله تعالىٰ بطرق غيبية غير معروفة لدينا، ربما لعدم تمكننا من فهم حقيقتها، ولذا لم تكشف الروايات كيفية ذلك، وإنَّما أشارت له بإشارات من قبيل النقر والإلقاء وما شابه، فقد روي عن الحارث النصري، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: الذي يُسأل عنه الإمام، وليس عنده فيه شيء، من أين يعلمه؟ قال عليه السلام: «يُنكت في القلب نكتاً، أو يُنقر في الأذن نقراً».

وقيل لأبي عبد الله عليه السلام: إذا سُئلت كيف تجيب؟ قال: «إلهام وسماع، وربما كانا جميعاً»[1].

**وقفة مع كلام للشيخ الطوسي قدس سره:**

للشيخ الطوسي كلام في بيان كيفية علم الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف بوقت ظهوره إذا حان، ننقله ونقف عند فقراته لبيانها، قال الشيخ قدس سره[2]:

**فإنْ قيل**: بأيِّ شيء يعلم زوال الخوف وقت ظهوره، أبوحي من الله؟ فالإمام لا يُوحىٰ إليه، أو بعلم ضروري؟ فذلك ينافي التكليف، أو بأمارة توجب عليه الظنَّ؟ ففي ذلك تغرير بالنفس.

١. الأمالي للشيخ الطوسي: ص٤٠٨، ح ٩١٦ / ٦٤.
٢. الغيبة للطوسي: ص٣٣١.

**قلنا**: عن ذلك جوابان:

**أحدهما**: أنَّ الله تعالىٰ أعلمه علىٰ لسان نبيِّه ﷺ، وأوقفه عليه من جهة آبائه عليهم السلام زمان غيبته المخوفة، وزمان زوال الخوف عنه، فهو يتَّبع في ذلك ما شُرِّع له وأُوقف عليه، وإنَّما أُخفي ذلك عنَّا لما فيه من المصلحة، فأمَّا هو فهو عالم به لا يرجع [فيه] إلىٰ الظنِّ.

**والثاني**: أنَّه لا يمتنع أنْ يغلب علىٰ ظنِّه بقوَّة الأمارات بحسب العادة قوَّة سلطانه، فيظهر عند ذلك، ويكون قد أُعلم أنَّه متىٰ غلب في ظنِّه كذلك وجب عليه، ويكون الظنُّ شرطاً والعمل عنده معلوماً، كما نقوله في تنفيذ الحكم عند شهادة الشهود، والعمل علىٰ جهات القبلة بحسب الأمارات والظنون، وإنْ كان وجوب التنفيذ للحكم والتوجُّه إلىٰ القبلة معلومين، وهذا واضح بحمد الله. انتهىٰ.

الشيخ في كلامه هذا في مقام بيان الطريقة التي يعلم من خلالها الإمام المهدي عجل الله فرجه بوقت الظهور بالضبط، وقد طرح عدَّة احتمالات، وهي خمسة:

**الطريق الأول**: أن يوحىٰ إلىٰ الإمام المهدي عجل الله فرجه بوقت الظهور، وقد أردفه قدس سره بشبهة لبعضهم بأنَّ الإمام لا يوحىٰ إليه، وقد تقدَّم بيان الحال في هذا الأمر، وأنَّه من الممكن أن تكون الطريقة هي الإيحاء، ولا يلزم منه أكثر من أن يكون الإمام عجل الله فرجه محدَّثاً، وقد ثبت إمكانه من دون أي إشكال عقلي أو نقلي، بل وقوعه في الأئمة عليهم السلام وبعض الأولياء - كسلمان المحمدي -، بالإضافة إلىٰ تصريح بعض النصوص بأنَّه عجل الله فرجه يوحىٰ إليه، وقد تقدَّمت نصوص ذلك.

**الطريق الثاني**: قال قدس سره: أو بعلم ضروري؟ فذلك ينافي التكليف.

ولعل المقصود هو ما يذهب له بعضٌ من منافاة العلم الإلهي للتكليف والإرادة، وإلّا، إذا كان معناه حصول العلم بالظهور قهراً للإمام عجل الله فرجه، فهذا

لا ضير فيه في حد نفسه، فلماذا يكون العلم الضروري الحاصل للإمام عجل الله فرجه بوقت الظهور منافياً للتكليف؟

**الطريق الثالث**: أمارة أو علامة توجب الظن.

من المعلوم أنَّ مراتب الاطلاع على الواقع مشككة متفاوتة، وأعلاها القطع واليقين، يليها الاطمئنان، فالظن، فالشك... ومن المعلوم أنَّ الظن لا يكون طريقاً للواقع في حدِّ ذاته، اللهم إلَّا إذا دلَّ دليل قطعي على اعتباره كذلك، أو إذا جرت سيرة العقلاء على اعتباره طريقاً للواقع مع غضّهم الطرف عن احتمال عدم مطابقته له، كما في خبر الثقة فيما يتعلق بالأحكام والموضوعات الشرعية.

نعم، إذا كان المحتمل فيه خطراً، فإنَّ الظن بالشيء، مع كون المحتمل في تركه مثلاً خطراً، يوجب على الظانّ عقلاً ترتيب الأثر، أمّا فيما عدا هذه الجهات فلا يكون الظن حجة.

وفي المقام، لو احتُمل أنَّ الإمام المهدي عجل الله فرجه يعلم بوقت الظهور من خلال أمارات وعلامات ظنية، أي لا توجب القطع ولا الاطمئنان لديه، فإنَّ ترتيبه الأثر على ذلك قد يؤدي إلى عدم إصابته الواقع، وأنَّ هذه العلامة الظنية ليست طريقاً للعلم بحلول وقت الظهور، ومن ثم إذا أعلن عن ظهوره في هذه الحال، فإنَّه قد يعرِّض نفسه أو مشروعه للخطر، وقد يصل الأمر إلى التصفية التامة، وهذا يعني أنه لو انحصر طريق علمه بالوقت بهذا الطريق الظني، ولم يُتح الله تعالى له أي طريق آخر، وأدى ذلك إلى قتله عجل الله فرجه، فإن هذا تغرير من الله تعالى له، وحاشاه جل وعلا أن يغر عبداً من عبيده.

هذا فضلاً عن أنَّه يؤدي إلى خلف الوعد الإلهي باستخلاف الصالحين الأرض، وهو محال كما هو واضح.

هـذا إذا غضضنـا الطـرف أنَّ مثـل هـذا الطريـق لا يتـلاءم مـع عظمـة الإمـام وعلمـه اللـدنّي وعصمتـه.

اللهم إلَّا أن يُقال: إنَّه يُحتمل أن يراد من هذا الطريق أحد أمرين:

الأول: أن يُـراد مـن الظـن هـو العلـم، ولـو بمعنىٰ مـا قـد يُقـال مـن أنَّ ظـن العـالم ليـس كظـن غـيره، فـإنَّ المعلومـة إذا وصلـت إلىٰ حـد الظـن لـدىٰ العـالم، فلربـما هـي بالقيـاس إلىٰ غـيره يقـين، فكيـف إذا كان الظـن لـدىٰ المعصـوم.

الثـاني: إنَّ مـا ذُكـر في هـذا الطريـق إنَّـما هـو مـن بـاب المحاجّـة وإلـزام الآخر، خصوصـاً مـن لا يعتقـد بالعلـم اللـدني للمعصـوم، فيُقـال لمثلـه تنـزلاً بإمـكان وجـود طريـق مـن هـذا النـوع يصـل بـه المعصـوم إلىٰ معرفـة وقـت الظهـور.

**الطريـق الرابـع**: وهـو مـا ذكـره قدس سره كاحتـمال للجـواب عـن السـؤال، وحاصلـه:

أن يكـون علمـه بالوقـت مـن خـلال العلـوم التـي ورثهـا عـن آبائـه عليهم السلام، التـي ورثوهـا مـن رسـول الله صلى الله عليه وآله، ممـا يعنـي أنَّـه عجل الله فرجه يعلـم بالوقـت مـن بدايـة أمـره، غايتـه أنَّـه ينتظـر حلولـه ليقـوم بالأمـر، وحينهـا يكـون قـد اعتمـد عـلىٰ طريـق علمـي قطعـي، فـلا يواجـه أي إشـكال.

نعـم، هـذا الأمـر إنَّـما أُخفـي علينـا نحـن لحكمـة مـا - سـتأتي الإِشـارة إليهـا في نهايـة البحـث -، أمّـا هـو عجل الله فرجه فـلا موجـب لإخفائـه عنـه.

وهـذا الاحتـمال صحيـح في حـد نفسـه، سـوىٰ إنَّـه بحاجـة إلىٰ دليـل إثبـاتي مـن النصـوص، وقـد تقـدَّم مـا يُمكـن أن يكـون دالاً عليـه، والنقـاش فيـه.

**الطريق الخامس: الظن الغالب:**

يبـدو أنَّـه يقصـد مـن الظـن الغالـب هـو ترجيـح احتـمال حلـول الوقـت بنحـو الاطمئنـان، وإن لم يصـل إلىٰ مرتبـة القطـع، وبيـان هـذا مبتـن عـلىٰ مقدّمـات:

**المقدمة الأولىٰ**: أن يكون قد وصل إلىٰ الإمام عليه السلام علمٌ بأنَّ الطريق لمعرفة الوقت هو الظن الغالب، أو قل: الاطمئنان، بأن يكون قد وصل إليه خبر من آبائه عليهم السلام بأنَّه إذا اطمئن بحلول الوقت فليظهر.

وإلىٰ هذه المقدمة أشار دام ظله بقوله: (ويكون قد أُعلم أنَّه متىٰ غلب في ظنِّه كذلك وجب عليه).

**المقدمة الثانية**: أن يكون الظن المذكور هو شرط صحة عمله وظهوره، ولا يُشترط العلم بذلك، نعم، واقع العمل ومضمونه معلومٌ لديه، أمّا الطريق إلىٰ العمل فيكفي فيه الظن المذكور، ويكون حاله حال بعض الأحكام الشرعية التي يكون العمل فيها معلوماً، إلَّا أنَّ الطريق إليها ظنيٌ بظنٍّ معتبر، كما في تنفيذ حكم القصاص مثلاً عند شهادة عدلين بأنَّه قاتل، أو حكم الرجم عند شهادة أربعة عدول بالزنا، وما شابه، وكما في تحديد جهة القبلة اعتماداً علىٰ بعض الأمارات والظنون، كشهادة العدل، أو النظر إلىٰ محاريب المساجد، وما شابه، فإنَّ وجوب تنفيذ حكم القصاص أو الرجم أو الصلاة باتِّجاه القبلة أحكام معلومة بالقطع، إلَّا أنَّ الشرع اكتفىٰ في الوصول إليها بالظن المعتبر، أي ببعض الطرق غير القطعية.

وإليه الإشارة بقوله دام ظله: (ويكون الظنُّ شرطاً والعمل عنده معلوماً، كما نقوله في تنفيذ الحكم عند شهادة الشهود، والعمل علىٰ جهات القبلة بحسب الأمارات والظنون، وإنْ كان وجوب التنفيذ للحكم والتوجُّه إلىٰ القبلة معلومين، وهذا واضح بحمد الله).

**المقدمة الثالثة**: إنَّه لا مانع من أن يكون هذا الطريق هو الذي يعلم من خلاله الإمام عليه السلام بوقت الظهور، خصوصاً مع ثبوت نظيره في الأحكام - كما تقدَّم في المقدمة الثانية - ومع عدم المانع يُمكن أن يكون هو الطريق للعلم بوقت الظهور.

وإلىٰ هذا أشار بقوله ﷺ: (أنَّه لا يمتنع أنْ يغلب علىٰ ظنِّه بقوَّة الأمارات بحسب العادة قوَّة سلطانه، فيظهر عند ذلك).

ينتج: أنَّ الطريق لعلم الإمام عليه السلام بوقت ظهوره هو الظن الغالب الذي يصل إلىٰ حدِّ الاطمئنان مثلاً، وهو ما يحصل لديه من خلال متابعة الأمارات والعلامات والحالة المجتمعية للدول آنذاك، فيعرف أنَّ سلطانه قوي، وسلطان أعدائه ضعف، فيظهر آنذاك.

**ولكن يُمكن النقاش في هذا الطريق من عدَّة جهات:**

**الجهة الأولىٰ**: إنَّ قياس علم الإمام بوقت الظهور علىٰ تحصيل العلم بالأحكام الشرعية أو موضوعاتها من خلال الطرق الظنية هو قياس مع الفارق، من جهة أنَّ الطرق الظنية لتحصيل الحكم الشرعي منصوبة للفقهاء، وأمّا المعصوم فإنَّه يعلم الواقع كما هو، فقياس علم الإمام بعلم الفقهاء مع الفارق.

**إن قلت**: إنَّه ورد في النصوص أنَّ المعصوم وإن كان يعلم بالواقع، إلَّا أنَّه عملياً يعتمد الظنون المعتبرة، كشهادة الثقة وما شابه، ولذا ورد عن رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله: «إِنَّمَا أَقْضِي بَيْنَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ والأَيْمَانِ، وبَعْضُكُمْ أَلْحَنُ بِحُجَّتِه مِنْ بَعْضٍ، فَأَيُّمَا رَجُلٍ قَطَعْتُ لَه مِنْ مَالِ أَخِيه شَيْئاً فَإِنَّمَا قَطَعْتُ لَه بِه قِطْعَةً مِنَ النَّارِ»[1].

**قلت**: هذا صحيح في الأحكام الشرعية، لا في الوقائع التكوينية، **اللهم إلَّا أن يقال**: إنَّ الظهور هو حكم شرعي علىٰ الإمام، **ولكن الكلام** ليس في أصل وجوب الظهور عليه عليه السلام، وإنَّما في طريقة علمه بذلك الوجوب.

**الجهة الثانية**: ولو سلَّمنا جريان عمل المعصوم علىٰ اعتماد الحجج الظاهرية، إلَّا أنَّ ذلك لا يجري في الإمام المهدي عليه السلام، لما ورد من أنَّه عليه السلام يحكم

١. الكافي للكليني: ج٧، ص٤١٤، بَابُ أَنَّ الْقَضَاءَ بِالْبَيِّنَاتِ والأَيْمَانِ، ح١.

بعلمه، أو بحكم آل داود، لا يسأل الناس البينة، كما في رواية أبي عبد الله عليه السلام: «إذا قام قائم آل محمد صلى الله عليه وآله حكم بحكم آل داود وكان سليمان لا يسأل الناس بينة»[1].

وهذا يعني عدم صحة قياس جريان عادة الأئمة عليهم السلام في الحكم بما يحكم به الإمام المهدي عجل الله فرجه، لا لنقص في المعصومين عليهم السلام، كلا، وإنَّما لاقتضاء الحكمة الاعتماد على الحجج الظاهرية فيهم عليهم السلام، دونه عجل الله فرجه.

**الجهة الثالثة**: إنَّ الاعتماد على الظن الغالب أو الاطمئنان وإن كان عقلائياً في بعض الأحيان، إلَّا أنَّ احتمال الخطأ وارد فيه، فما دام هو غير علم، ولا قطع، فيبقى هناك احتمالٌ لخطئه، فيرد عليه ما ورد على الطريق الثالث المتقدم من لزوم التغرير بالإمام عجل الله فرجه، إذ إنَّه يُحتمل على كل حال خطأ ذلك الظن الغالب، ومن ثم يُحتمل أن يكون خروجه عجل الله فرجه بغير وقت، وقبل زوال الخوف، فيؤدي ذلك إلى تصفيته وفشله في خروجه، وهو كما ترى.

**الجهة الرابعة**: إنَّ جعل طريق علم الإمام عجل الله فرجه بوقت ظهوره بحجة ظاهرية أو ظن غالب، لا يتلاءم مع اعتقادنا بعظمة الإمام عجل الله فرجه وسعة علمه وكونه علماً لدنياً مختلفاً عن العلوم لدى عامة البشر، خصوصاً مع وجود طرق ممكنة تتناسب مع مقامه عجل الله فرجه العلمي والكمالي، كطريق التحديث، وطريق المعجزة بنطق السيف أو الراية كما تقدَّم.

**استطراد:**

لو تمَّت الأدلة على علمه عجل الله فرجه بالوقت، فقد يُتساءل: لماذا أُخفي الوقت عنا؟ أوَ لم يكن الأفضل أن نطَّلع على الوقت حتَّى نكون مستعدين تمام الاستعداد له؟

---

١. بصائر الدرجات للصفار: ص٢٧٩، ب١٥، ح٥.

والجواب من عدَّة جهات:

منهـا: إنَّ إخفـاء الوقـت يحقـق معنـىٰ الانتظـار بمعنـىٰ ترقُّـب ظهـور المهـدي عجل الله فرجه في كل زمـان.

ومنهـا: إنَّ كل وقـت فُـرِض فهـو في معـرض البـداء وبـأن المسـتعجل بظهـوره - بمعنـىٰ التطبيـق الخاطـئ عـلىٰ مصاديـق غـير صحيحـة، كـما في الواقفيـة والإسـماعيلية أشـباههم- هالـك لعـدم قبولـه بالقضـاء الإلهـي والتقديـر الأزلي، وبـأنَّ المسـلّم لظهـوره والقائـل بـه في وقـت مـا نـاجٍ لاعتقـاده بالحـق مـن وجهـين: أحدهمـا ظهـوره، وثانيهـما عـدم الاسـتعجال المسـتلزم لتفويـض الأمـر إليـه تعـالىٰ والرضـا بقضائـه وتقديـره، وقـد ورد عـن الفضـل بـن يسـار، عـن أبي جعفـر عليه السلام: قـال: قلـت: لهـذا الأمـر وقـت؟ فقـال: «كـذب الوقاتـون، كـذب الوقاتـون، كـذب الوقاتـون، إن موسـىٰ عليه السلام لمـا خـرج وافـداً إلىٰ ربِّـه، واعدهـم ثلاثـين يومـاً، فلـما زاده الله عـلىٰ الثلاثـين عـشراً، قـال قومـه: قـد أخلفنـا موسـىٰ فصنعـوا مـا صنعـوا، فـإذا حدثناكـم الحديـث فجـاء عـلىٰ مـا حدثناكـم [بـه] فقولـوا: صـدق الله، وإذا حدثناكـم الحديـث فجـاء عـلىٰ خـلاف مـا حدثناكـم بـه فقولـوا: صـدق الله، تؤجـروا مرتـين».

فقولـه: «إنَّ موسـىٰ عليه السلام لمـا خـرج» ظاهـر في التعليـل ويشـعر بأنَّـه ينبغـي عـدم تعيـين الوقـت لظهـور هـذا الأمـر إذ كل وقـت فـرض فهـو وقـت بَـدْوي يمكـن أن يجـري فيـه البـداء والإرادة والتخلُّـف، فلـو عـيَّن الوقـت لـه وجـرىٰ فيـه البـداء وتخلّـف الظهـور، لافتتـن الخلائـق ورجعـوا عـن الحـق، كـما وقـع مثـل ذلـك في قـوم موسـىٰ عليه السلام، ولكـن الأنبيـاء والأوصيـاء قـد يخـبرون عـن أمثـال ذلـك وكان إخبارهـم في علـم الله معلّقـاً عـلىٰ شروط معتـبرة في تحقّقهـا بحسـب نفـس الأمـر وبذلـك يخـرج عـن حـدّ الكـذب ويدخـل في حيـز الصـدق[1].

١. شرح أصول الكافي لمولىٰ محمد صالح المازندراني: ج٦، ص٣٣٤.

ومنها: لو فرض أنَّ أهل البيت عليهم السلام وقّتوا ولم يجرِ البداء في هذا الوقت، فمع ذلك فإنَّ فيه جوانب سلبية عديدة أهمها: زرع حالة اليأس وعدم الانتظار وترقُّب الظهور وخمود ضياء الأمل في نفوس الأجيال التي تكون قبل الظهور مما يسبب اليأس من رحمة الله وهو من كبائر الذنوب، فإنَّ الذي يولد اليأس والإحباط هو التوقيت، وهذا أمر وجداني، فلو علمت يقيناً بأنَّ الظهور سوف يكون في سنة (٣٠٠٠) ميلادية، فإنَّ اليأس سيدُب أكيداً في ذهني ويمنعني من العمل علىٰ تهيئة الظروف المناسبة للظهور، فإنِّي أكيداً لن أدركه.

علىٰ أنَّ إخفاء التوقيت أمر مقصود من السماء، لأنَّ فيه منفعة لا توصف، فإنَّه لو عَلِم الشخص بأنَّ وقت الظهور مثلاً هو في عام (٢٠٥٠م) فإنَّ إمكانية انحراف الشخص عن سبيل الشريعة وارد جداً، وإذا دعوته إلىٰ التوبة لأخبرك بأنَّه سيتوب قبيل الظهور! وهذا المعنىٰ يكون أوضح إذا نظرنا إلىٰ قضية الموت.

**فتلخَّص من كل ما تقدَّم:**

١ - إنَّ الروايات التي يُمكن أن تكشف الحال في كيفية علمه عجل الله فرجه بالوقت متعدِّدة، ومختلفة في مؤداها، فإمّا أن يتم ترجيح أحد الطائفتين، وإمّا أن يُترك علم ذلك التفصيلي إلىٰ حين الظهور.

٢ - لو سُلِّمت الروايات النافية لعلمه عجل الله فرجه بالوقت، فإنَّ هذا المقدار لا يؤثر في جزمنا بوجود طريقة ثبوتاً يعلم عجل الله فرجه من خلالها بالوقت، غايته أنَّها لم تنكشف لنا، علىٰ أنَّ روايات التحديث ونطق السيف والراية يُمكن أن تشير إلىٰ ذلك الطريق الثبوتي.

٣ - علينا أن نراعي الصفات الكمالية العالية للمعصوم في أي كلام حوله، سواء ما سيتعلق بعلمه، أو بفعله، أو بأي شيء يرتبط به، ليس في ما يتعلق بالأحكام الشرعية فحسب، وإنَّما بما يشمل مجمل حياته الخاصة والعامة.

٤ – البحث لم ينته بهذا المقدار، فما زال هناك مجال لترجيح بعض الروايات علىٰ غيرها، خصوصاً إذا أُدخل في الحساب علم الرجال ومعرفة أسانيد الروايات، فقد تسلم بعضها من النقد، وقد تتعارض، وقد تتساقط أو يتم ترجيح بعضها، فما كان في هذا البحث يشبه الفهرسة العامة للبحث في هذه المفردة المهدوية.

والحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد وآله الطاهرين.

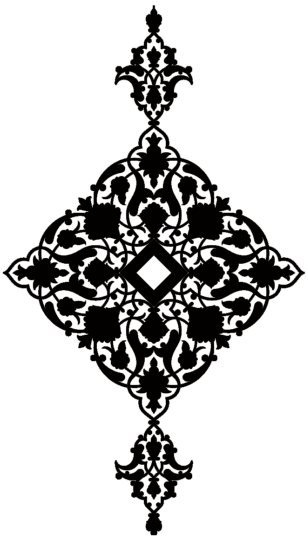

المعود
ALMAUOOD

# نصرة الدولة المهدوية
# بين
# البشرية والإعجاز

الشيخ حميد عبد الجليل الوائلي

**تمهيد:**

تبرز أهمية المعرفة بالمفاهيم المرتبطة بالعقيدة الدينية بعنوانها العام فضلاً عن الخاص لما لها من مدخلية في اختلاف الحكم اللاحق لها باختلافها، وهذا مما لا يعتريه الريب.

ويستفاد من المفاهيم لأجل التعبير عما تحكيه من المعاني التي تكون أرضية خصبة لثبوت الأحكام اللاحقة لها فيما لو تم ضبطها، وقد بحث في علم الأصول حقيقة المعاني وكيفية ارتباطها بعالم الألفاظ ووجدت العديد من النظريات في هذا الصدد.

**تحرير محل النزاع:**

ولأجل تحرير محل النزاع - في البحث - لابد أن نلفت النظر إلىٰ أهمية ضبط المفاهيم التي إن اختلَّ البحث فيها - لأسباب ترتبط بذات المفهوم تارة وبالأدلة عليه أو بما يلحقه من أحكام أخرىٰ - فسيختلّ البحث برمَّته وستتَّجه في بعض الأحيان عكس الاتجاه المطلوب، ولنأخذ بعض الأمثلة علىٰ ذلك:

مفهوم الفاسق مثلاً، له بحث كلامي وآخر قرآني وثالث فقهي ورابع أصولي وخامس رجالي وهكذا، وتحرير محل النزاع يقتضي ملاحظة اختلاف

جهات البحث ومتعلقها كي يحرر بما يناسب البحث، وبعد تحريره وتحديد جهة البحث - كما لو كانت كلامية مثلاً - لابد أن نلاحظ - بعد تحديده عرفياً أو اصطلاحياً - أنظار العلماء من جهة اختلاف مبانيهم في تفسيره، وهذه الجهة - جهة اختلاف المباني - تؤثر كثيراً، ولابد أن تحرر بشكل جلي وواضح، والاختلاف فيها يؤثر كثيراً كما هو غير خفي، وكذا مفهوم الكفر فهو وإن اتَّفق علىٰ معناه اللغوي والعرفي إلّا أنَّ وقوع خلاف في معناه الاصطلاحي، أوجب حالة من الاختلال في إثبات بعض الأحكام المترتبة عليه.

وفي محل كلامنا قد نتَّفق علىٰ معنىٰ النصرة - وما يرادفها من المعاني - عرفياً أو اصطلاحياً، ولكن قد نختلف من جهة متعلقها، فالنصرة للإمام الظاهر مما لا شك في ثبوتها بجميع مراتبها، إلّا أنَّه قد يتوقف البعض في إثبات بعض المراتب تجاه الإمام الغائب عجل الله فرجه.

عندما نراجع حياة الأنبياء عليهم السلام وبالخصوص حياة النبي موسىٰ عليه السلام والتي تحدَّث القرآن الكريم عن الكثير من تفاصيلها، نجد من بين تلكم التفاصيل المهمة، شدة غضبه وتأسفه علىٰ ما حصل من قومه وخذلانهم له - ولمن نصبه - في غيبته القصيرة عن قومه، حيث كانت عاقبة هذا الخذلان أن أصبح القوم حديث الخذلان علىٰ مر الزمان، مع أنَّ تلك الغيبة كانت معلومة الابتداء والانتهاء لولا البداء لأجل حكمة الابتلاء.

في محل البحث نلحظ أن النصرة وما يرادفها[1]، ثابتة للإمام عجل الله فرجه بشخصه وبنفس درجة ثبوتها للنبي صلى الله عليه وآله[2]، أو من ينص عليه الإمام عليه السلام، ولا مجال

---

١. من الإعداد والاستعداد أو التمهيد، قال في لسان العرب: ج٥، ص٢١٠: النصر: إعانة المظلوم، نصره علىٰ عدوه ينصره؛ قال شيخ الطائفة قدس سره في التبيان: ج٢، ص١٩٩: والنصرة ضد الخذلان.

٢. جاء في الكافي: ج١، ص٣٢٣، بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال [الله تعالىٰ]: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الطور: ٢١]، قال: «﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ النبي صلى الله عليه وآله وذريته الأئمة والأوصياء (صلوات الله عليهم)، ألحقنا بهم ولم ننقص ذريتهم الحجة ←

لفتح الباب لاستغلالها من قبيل البعض بأي نحو من الأنحاء، فما ارتفع من مراتب النصرة له عليه السلام يوجب أن ننتقل إلىٰ غيرها من المراتب التي بعدها لا أن ننتقل بها - أي بهذه المرتبة من النصرة - إلىٰ غيره، فكن علىٰ وعي وحيطة.

هذا وسوف يأتي في المحور الخامس أنَّ جماعة قاموا بالبحث عن النبي صلى الله عليه وآله قبل بعثته، وعليه فإنَّ من توقف في النصرة في التمهيد لم يتوقف في نصرة رسول الله صلى الله عليه وآله ولا في نصرة الإمام عجل الله فرجه عند ظهوره، وإنَّما الكلام في نصرته قبل ظهوره.

في محل بحثنا نريد التعرُّض إلىٰ نصرة دولة الإمام عجل الله فرجه في غيبته وقبل ظهوره، وهل تجب بجميع مراتبها، وما هي المراتب التي ترتفع بغيبته، نسأله تعالىٰ أن نوفَّق إلىٰ بيان الحال في هذا المقال.

**يقع البحث في عدَّة محاور:**

**المحور الأول: المنهج في التعامل مع الروايات في المسألة:**

لا ينبغي للباحث في أي مسألة من المسائل التي تعتمد علىٰ الأخبار وبالخصوص خبر الواحد أن لا يكون له منهج رجالي يعتمد عليه في بناء أفكاره التي يستقيها من تلكم الروايات، فقلما نجد رواية - إن تم اعتبارها وصح الاعتماد عليها - إلَّا ولها ما يعارضها - ولو علىٰ مستوىٰ ما يُستظهر منها أو ما يتصور أنَّه معارض لها - ولأجل إيجاد معالجة تؤدي إلىٰ تحقيق أقرب النتائج إلىٰ الواقع المرجو، لابد من المنهج الرجالي.

وقد يختلف المنهج الرجالي في المسائل الفقهية عنه في تفصيلات المسائل الكلامية وعنهما في المسائل التي تتحدَّث عن نصوص آخر الزمان وهكذا.

---

← التي جاء بها محمد صلى الله عليه وآله في علي عليه السلام وحجتهم واحدة وطاعتهم واحدة». وفيه أيضاً، ص٢٣٥: (عن معمر بن خلاد، قال: سأل رجل فارسي أبا الحسن عليه السلام فقال: طاعتك مفترضة؟ فقال: «نعم»، قال: مثل طاعة علي بن أبي طالب عليه السلام؟ فقال: «نعم».

والمنهج الذي نعتمد عليه في هذا البحث يتقارب مع منهج شيخ الطائفة قدس سره بنحو كبير، فنحن نعتمد على كل خبر قامت عليه قرينة تفيد اعتباره وإن كان الخبر مرسلاً، أو لم يوثق رجال سنده، والذي يدل على ذلك هو إجماع الفرقة المحقة، حسب تعبير شيخ الطائفة، حيث قال قدس سره[١]: (فإنّي وجدتها مجمعة على العمل بهذه الأخبار التي رووها في تصانيفهم ودونوها في أصولهم... وهذه عادتهم وسجيتهم من عهد النبي صلى الله عليه وآله ومن بعده الأئمة عليهم السلام ... فلولا أنَّ العمل بهذه الأخبار جائزاً لما أجمعوا على ذلك ولأنكروه...).

ثم ذكر قدس سره القرائن الدالة على حجية خبر الواحد، وهي:

١ – أن يكون الخبر الواحد موافقاً لأدلة العقل، بشروط ذكرها مفصلاً.

٢ – أن يكون الخبر مطابقاً لنص الكتاب، بشروط ذكرها مفصلاً.

٣ – أن يكون الخبر موافقاً للسنة المقطوع بها، على تفصيل وشروط ذكرها.

٤ – أن يكون الخبر موافقاً لما اجتمعت الفرقة المحقة عليه.

ثم قال قدس سره[٢]: (فهذه القرائن كلها تدل على صحة متضمن أخبار الآحاد...).

وقال قدس سره: (وإذا كان أحد الراويين معروفاً والآخر مجهولاً، قدم خبر المعروف على خبر المجهول، لأنَّه لا يؤمن أن يكون المجهول على صفة لا يجوز معها قبول خبره، وإذا كان أحد الراويين مصرحاً والآخر مدلساً، فليس ذلك مما يرجح به خبره، لأن التدليس هو: أن يذكره باسم أو صفة غريبة أو ينسبه إلى قبيلة أو صناعة وهو بغير ذلك معروف، فكل ذلك لا يوجب ترك خبره).

وقال قدس سره[٣]: (وإذا كان أحد الراويين مسنداً والآخر مرسلاً، نظر في حال المرسل، فإن كان ممن يعلم أنَّه لا يرسل إلّا عن ثقة موثوق به فلا ترجح لخبر

١. العدَّة في أصول الفقه (عدَّة الأصول) (ط. ق) – الشيخ الطوسي: ج١، ص٣٣٧.

٢. العدَّة في أصول الفقه (عدَّة الأصول) (ط. ق) – الشيخ الطوسي: ج١، ص٢٤٥.

٣. العدَّة في أصول الفقه (عدَّة الأصول) (ط. ق) – الشيخ الطوسي: ج١، ص٣٨٧.

غيره علىٰ خبره،... فأمّا إذا لم يكن كذلك، ويكون ممن يرسل عن ثقة وعن غير ثقة، فإنَّه يقدم خبر غيره عليه، وإذا انفرد وجب التوقف في خبره إلىٰ أن يدل دليل علىٰ وجوب العمل به، فأمّا إذا انفردت المراسيل فيجوز العمل بها علىٰ الشرط الذي ذكرناه، ودليلنا علىٰ ذلك: الأدلة التي قدمناها علىٰ جواز العمل بأخبار الآحاد، فإنَّ الطائفة كما عملت بالمسانيد عملت بالمراسيل، فما يطعن في واحد منهما يطعن في الآخر، وما أجاز أحدهما أجاز الآخر، فلا فرق بينهما علىٰ حال).

وقال قدس سره في الاستبصار[1]: (... فإذا كان الخبر لا يعارضه خبر آخر فإنَّ ذلك يجب العمل به لأنَّه من الباب الذي عليه الإجماع في النقل... وإن كان هناك ما يعارضه فينبغي أن ينظر في المتعارضين...).

وذكر عدَّة تفصيلات دقيقة ومحكمة، ثم قال قدس سره: (وأنت إذا فكرت في هذه الجملة وجدت الأخبار كلها لا تخلو من قسم من هذه الأقسام).

وقال قدس سره[2]: (وإن لم يكن هناك خبر آخر مخالفه وجب العمل به لأنَّ ذلك إجماع منهم علىٰ نقله وإذا أجمعوا علىٰ نقله وليس هناك دليل علىٰ العمل بخلافه، فينبغي أن يكون العمل به مقطوعاً عليه).

**المحور الثاني: صور المسألة وأقوالها:**

قد يقال: إنَّ لمسألة نصرة الإمام الحجة عجل الله فرجه والإعداد والتمهيد له عجل الله فرجه، صوراً ثلاث:

**الأولىٰ: دولة الإعجاز الصِرْف:**

إذ قد يدعىٰ أن دولته عجل الله فرجه لا تحتاج إلىٰ أدنىٰ مراتب النصرة أو الإعداد والتمهيد سواء ما كان منها علىٰ مستواه الفردي - وبأي مرتبة من مراتبه

١. الاستبصار - الشيخ الطوسي: ج١، ص٤٣.

٢. العدَّة في أصول الفقه (عدَّة الأصول) (ط. ق) - الشيخ الطوسي: ج١، ص٣٧٣.

القلبية والروحية أو اللسانية أو غيرهما - أو الاجتماعي وبمراتبه، فدولته دولة الإعجاز الصرف وقيامها قيام إعجازي لا يتوقف علىٰ أي مقوم أو مساند أو مساعدة من الناس، وقد تكفل الغيب بنصرته، فهي دولة الإعجاز التي تُنصر بالرعب والملائكة عليهم السلام وغير ذلك، وقد يستفاد من بعض النصوص الآتية ذلك.

**الثانية: دولة البشرية الصرفة:**

ومعناها أنَّ دولته دولة تتقوَّم عند قيامها بالجهد البشري المادي فقط، دون أن يكون لها أدنىٰ درجة من درجات الاعتماد علىٰ الغيب، ولم يظهر تبنيها من أحد بوضوح، وهي نظرية مرفوضة لوضوح اتِّصال الإمام عجل الله فرجه بالغيب، بل ورد أنَّ مثله مثل الساعة التي هي الغيب، قال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَما أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللهَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (النحل: ٧٧)، وجاء التعبير عنه عجل الله فرجه بالساعة وعن ظهوره بغتة وفجأة وعن انتظار خروجه كل صباح ومساء، في العديد من الروايات، منها:

**إن الإمام عجل الله فرجه مثله مثل الساعة:**

*** ومما روي في هذا المعنىٰ، ما رواه الشيخ الصدوق قدس سره، قال[1]:** حدَّثنا أحمد بن زياد بن جعفر الهمداني رضي الله عنه قال: حدَّثنا علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن عبد السلام بن صالح الهروي، قال: سمعت دعبل بن علي الخزاعي يقول: (أنشدت مولاي الرضا علي بن موسىٰ عليهما السلام قصيدتي... «وبعد الحسن ابنه الحجة القائم المنتظر في غيبته المطاع في ظهوره، لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم واحد لطوَّل الله ذلك اليوم حتّىٰ يخرج فيملأها عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، وأمّا متىٰ فإخبارٌ عن الوقت، فقد حدَّثني أبي، عن أبيه عن آبائه عليهم السلام أن النبي صلى الله عليه وآله قيل له: يا رسول الله متىٰ يخرج القائم من ذريتك؟ فقال صلى الله عليه وآله: مثله

١. كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق: ص٤٠٣.

مثل الساعة التي لا يجليها لوقتها إلّا هو ثقلت في السماوات والأرض لا تأتيكم إلّا بغتة».

**إن ظهوره عجل الله فرجه بغتة فجأة:**

* **ومما روي في هذا المعنىٰ، ما روي في مختصر البصائر**[1]: عن المفضل بن عمر، قال: سألت سيدي الصادق عليه السلام هل للمأمول المنتظر المهدي عليه السلام من وقت موقت يعلمه الناس؟ فقال: «حاش لله أن يوقت ظهوره بوقت يعلمه شيعتنا»، قلت: يا سيدي ولِمَ ذاك؟ قال: «لأنّه هو الساعة التي قال الله تعالىٰ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاها قُلْ إِنَّما عِلْمُها عِنْدَ رَبِّي لا يُجَلِّيها لِوَقْتِها إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٨٧] وهو الساعة التي قال الله تعالىٰ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْساها﴾، وقال: ﴿عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤]، ولم يقل إنّها عند أحد، وقال: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جاءَ أَشْراطُها﴾ [محمد صلى الله عليه وآله: ١٨] الآية، وقال: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر: ١] وقال: ﴿وَما يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِها وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْها وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلا إِنَّ الَّذِينَ يُمارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلالٍ بَعِيدٍ﴾ [الشورىٰ: ١٧-١٨]»، قلت: فما معنىٰ يمارون؟ قال: «يقولون متىٰ ولد؟ ومن رآه؟ وأين يكون؟ ومتىٰ يظهر؟ وكل ذلك استعجالاً لأمر الله، وشكا في قضائه ودخولاً في قدرته، أولئك الذين خسروا الدنيا وأن للكافرين لشر مآب»، قلت: أفلا يوقت له وقت؟ فقال: «يا مفضل، لا أوقت له وقتاً ولا يوقت له وقت، إن من وقّت لمهدينا وقتاً فقد شارك الله تعالىٰ في علمه...».

١. مختصر بصائر الدرجات - حسن بن سليمان الحلي: ص١٨٣.

**انتظار خروجه عجل الله فرجه صباحاً ومساءً:**

*** ومما روي في هذا المعنىٰ، ما رواه الشيخ النعماني رحمه الله[١]:** عن محمد بن منصور الصيقل، عن أبيه منصور، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «إذا أصبحت وأمسيت يوماً لا ترىٰ فيه إماماً من آل محمد فأحبب من كنت تحب، وأبغض من كنت تبغض، ووال من كنت توالي، وانتظر الفرج صباحاً ومساءً».

فعدم رؤية الإمام وغيبته ترتب عليه تكليفاً بإبقاء ما كان عليه المكلف من موالاة من والىٰ ومعاداة من عادىٰ، والتكليف الآخر هو انتظار الفرج، والانتظار ليس هو بمعنىٰ عدم الفعل، كيف ذاك وقد عبرت عنه روايات أخرىٰ بأنه عمل بل وأفضل الأعمال؟

**الثالثة: دولة المزج بين الغيب والبشرية:**

ترىٰ هذه النظرية أنَّ دولة الإمام المهدي عجل الله فرجه تعتمد علىٰ عنصر الغيب كما تعتمد علىٰ الناس ونصرتهم لها قبل ظهوره عجل الله فرجه وفي الأثناء وبعده، وإن اختلفت مراتب النصرة وظروف الحاجة إليها، وحسب قدرة الأفراد ومقدار نصرتهم، فمفردات النصرة والتمهيد والإعداد والانتظار مفردات مرضية ومقبولة وتعبر عن واقع يعيشه المؤمن بهذه الدولة ومن يترقب حصولها – صباحاً ومساءً – وإن لم يتحقق ذلك فأمله لا ينقطع عند الرجعة.

بعض الروايات الشريفة علقت ظهوره عجل الله فرجه علىٰ وجود حلقة يقوم بها، وهي علىٰ طوائف، منها: ما جعلت الخروج معلقاً عليها مطلقاً ولعلها الأكثر اعتباراً من جهة سندها، ومنها ما قيدت ذلك بالخروج من مكة، والأمر لا يؤثر كثيراً، لأنَّ كلامنا في توقف ظهور الإمام عجل الله فرجه وقيامه علىٰ العنصر البشري، وهذا التوقف الذي لا شك فيه يستتبع أن يكون كل فرد من أفراد هذه الحلقة بموصفات خاصة وأن يتلبس بها في إطار القاعدة العامة من الاختيار، وأنَّ

١. الغيبة – ابن أبي زينب النعماني: ص١٦١.

الناس لا يجبرون علىٰ كمالاتهم وملكاتهم خصوصاً المؤثرة في عقيدتهم وتدينهم، ومن هذه الروايات:

**ما رواه الشيخ النعماني** رحمه الله[١]: عن أبي بصير، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «لا يخرج القائم عليه السلام حتّىٰ يكون تكملة الحلقة»، قلت: وكم تكملة الحلقة؟ قال: «عشرة آلاف، جبرئيل عن يمينه، وميكائيل عن يساره، ثم يهز الراية ويسير بها فلا يبقىٰ أحد في المشرق ولا في المغرب إلّا لعنها، وهي راية رسول الله صلى الله عليه وآله نزل بها جبرئيل يوم بدر»، ثم قال: «يا أبا محمد، ما هي والله قطن ولا كتان ولا قز ولا حرير»، قلت: فمن أي شيء هي؟ قال: «من ورق الجنة، نشرها رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر، ثم لفها ودفعها إلىٰ علي عليه السلام، فلم تزل عند علي عليه السلام حتّىٰ إذا كان يوم البصرة نشرها أمير المؤمنين عليه السلام ففتح الله عليه، ثم لفها وهي عندنا هناك لا ينشرها أحد حتّىٰ يقوم القائم عليه السلام، فإذا هو قام نشرها فلم يبق أحد في المشرق والمغرب إلّا لعنها، ويسير الرعب قدامها شهراً، ووراءها شهراً، وعن يمينها شهراً، وعن يسارها شهراً»، ثم قال: «يا أبا محمد، إنَّه يخرج موتوراً غضبان أسفاً لغضب الله علىٰ هذا الخلق، يكون عليه قميص رسول الله صلى الله عليه وآله الذي كان عليه يوم أُحُد، وعمامته السحاب، ودرعه درع رسول الله صلى الله عليه وآله السابغة، وسيفه سيف رسول الله صلى الله عليه وآله ذو الفقار، يجرد السيف علىٰ عاتقه ثمانية أشهر يقتل هرجاً، فأول ما يبدأ ببني شيبة فيقطع أيديهم ويعلقها في الكعبة، وينادي مناديه: هؤلاء سراق الله...».

وستأتي رواية الـ(٣١٣) وهم بلا شك معه عند ظهوره، فمتىٰ وصلوا إلىٰ مرتبة صحبته واختصاصهم به دون غيرهم؟

ألم يك أحد عوامل كونهم كذلك استعدادهم لنصرته بالمرتبة التي ينبغي الكون عليها؟

---

١. الغيبة – ابن أبي زينب النعماني: ص٣٢٠.

ومما يؤكد وجود دور آخر غير الدور الغيبي عدَّة روايات رواها الشيخ النعماني رحمه الله في باب مستقل عنونه بالآتي: (باب: ما جاء في الشدة التي تكون قبل ظهور صاحب الحق) روىٰ فيه (٨) روايات - وليس من البعيد القطع بصدور المضمون عنهم عليهم السلام - وهي[١]:

١ - عن صفوان بن يحيىٰ، عن بشير بن أبي أراكة النبال، ولفظ الحديث علىٰ رواية ابن عقدة قال: (لما قدمت المدينة انتهيت إلىٰ منزل أبي جعفر الباقر عليه السلام فإذا أنا ببغلته مسرجة بالباب، فجلست حيال الدار، فخرج فسلمت عليه، فنزل عن البغلة وأقبل نحوي، فقال لي: «ممن الرجل...»؟ فقال: «ويح هذه المرجئة إلىٰ من يلجؤون غدا إذا قام قائمنا»؟

قلت: إنهم يقولون: لو قد كان ذلك كنا نحن وأنتم في العدل سواء، فقال: «من تاب تاب الله عليه، ومن أسرَّ نفاقاً فلا يبعد الله غيره[٢]، ومن أظهر شيئاً أهرق الله دمه»، ثم قال: «يذبحهم، والذي نفسي بيده كما يذبح القصاب شاته» - وأومأ بيده إلىٰ حلقه -.

قلت: إنَّهم يقولون: إنَّه إذا كان ذلك استقامت له الأمور، فلا يهريق محجمة دم، فقال: «كلا والذي نفسي بيده حتّىٰ نمسح وأنتم العرق والعلق» وأومأ بيده إلىٰ جبهته.

٢ - وفيه عن بشير النبال، قال: قدمت المدينة، وذكر مثل الحديث المتقدم، إلّا أنَّه قال: لما قدمت المدينة قلت لأبي جعفر عليه السلام: إنهم يقولون: إنَّ المهدي لو قام لاستقامت له الأمور عفواً، ولا يهريق محجمة دم، فقال: «كلا والذي نفسي بيده لو استقامت لأحد عفواً لاستقامت لرسول الله صلى الله عليه وآله حين أدميت رباعيته، وشجَّ في وجهه، كلا والذي نفسي بيده حتّىٰ نمسح نحن وأنتم العرق والعلق»، ثم مسح جبهته.

١. الغيبة - ابن أبي زينب النعماني: ص٢٩٤.

٢. في الكافي: ج١، ص٨١: «ومن أسرَّ نفاقاً فلا يرغم الله إلّا بأنفه».

٣ - وفيه عن المفضل بن عمر، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام وقد ذكر القائم عليه السلام، فقلت: إني لأرجو أن يكون أمره في سهولة، فقال: «لا يكون ذلك حتّىٰ تمسحوا العلق والعرق».

٤ - عن يونس بن رباط، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إنَّ أهل الحق لم يزالوا منذ كانوا في شدَّة، أما أن ذاك لمدة قريبة وعافية طويلة...»، عن يونس بن رباط، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول، وذكر مثله.

٥ - وفيه عن معمر بن خلاد، قال: ذكر القائم عند أبي الحسن الرضا عليه السلام، فقال: «أنتم اليوم أرخىٰ بالاً منكم يومئذٍ»، قالوا: وكيف؟ قال: «لو قد خرج قائمنا عليه السلام لم يكن إلّا العلق والعرق والنوم علىٰ السروج، وما لباس القائم عليه السلام إلّا الغليظ، وما طعامه إلّا الجشب».

إن قيل: إن هذه عند ظهوره فقط.

قلت: ليس الأمر كذلك، بقرينة فهم النعماني رحمه الله الشمول لما قبل الظهور حتّىٰ عنوان الباب بذلك.

٦ - وفيه عن أحمد بن محمد بن عيسىٰ، عن بعض رجاله، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «سأل نوح عليه السلام ربه أن ينزل علىٰ قومه العذاب، فأوحىٰ الله إليه أن يغرس نواة من النخل، فإذا بلغت فأثمرت وأكل منها، أهلك قومه وأنزل عليهم العذاب، فغرس نوح النواة وأخبر أصحابه بذلك، فلما بلغت النخلة وأثمرت واجتنىٰ نوح منها وأكل وأطعم أصحابه، قالوا له: يا نبي الله، الوعد الذي وعدتنا، فدعا نوح ربه، وسأل الوعد الذي وعده، فأوحىٰ إليه أن يعيد الغرس ثانية حتّىٰ إذا بلغ النخل وأثمر وأكل منه، أنزل عليهم العذاب...»، والرواية طويلة.

٧ - وفيه عن المفضل بن عمر، قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام بالطواف، فنظر إليَّ، وقال: «يا مفضل، ما لي أراك مهموماً متغيِّر اللون»؟ قال: فقلت له:

جعلت فداك، نظري إلىٰ بني العباس وما في أيديهم من هذا الملك والسلطان والجبروت، فلو كان ذلك لكم لكنا فيه معكم، فقال: «يا مفضل، أما لو كان ذلك لم يكن إلّا سياسة الليل، وسباحة النهار، وأكل الجشب، ولبس الخشن، شبه أمير المؤمنين عليه السلام وإلّا فالنار، فزوىٰ ذلك عنا فصرنا نأكل ونشرب، وهل رأيت ظلامة جعلها الله نعمة مثل هذا»؟!

٨ - وفيه عمرو بن شمر، قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام في بيته والبيت غاص بأهله، فأقبل الناس يسألونه فلا يسأل عن شيء إلّا أجاب فيه، فبكيت من ناحية البيت، فقال: «ما يبكيك - يا عمرو -»؟

فقلت: جعلت فداك، وكيف لا أبكي وهل في هذه الأُمَّة مثلك، والباب مغلق عليك، والستر لمرخىٰ عليك.

فقال: «لا تبك يا عمرو، نأكل أكثر الطيب، ونلبس اللين، ولو كان الذي تقول لم يكن إلّا أكل الجشب، ولبس الخشن، مثل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وإلّا فمعالجة الأغلال في النار».

**المحور الثالث: أهمية الإمامة في العقيدة ووجوب البحث عن الإمام عليه السلام:**

قال تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا جاءَهُمْ كِتابٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِما مَعَهُمْ وَكانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جاءَهُمْ ما عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكافِرِينَ﴾ (البقرة: ٨٩).

**الآية بصدد بيان أنَّ بعثة النبي صلى الله عليه وآله مسبوقة بالعلم به وأنَّ من الناس من كان يدري بها ويعرف علاماتها، ولكنه ينكرها.**

**وكيفما كان فقد ذكرت العديد من الأدلة الدالة علىٰ وجوب البحث عن الإمام عليه السلام، والمتضمنة لوجوب طاعته ونصرته علىٰ ما يأتي من تفصيل بعد الدليل، ومنها:**

**الدليل الأول: دفع الضرر:**

قال شيخ الطائفة قدس سره[١] في تلخيص الشافي:

(أمّا بعد، فإنّي رأيت أهمّ الأمور وأولاها، وآكد الفرائض وأحراها للمكلف - بعد النظر في طريق معرفة الله تعالىٰ - وصفاته، وتوحيده، وعدله الاشتغال بالنظر فيما يعود الإخلال به بالضرر علىٰ ما حصل له من المعرفة، ويرجع التفريط فيه بالنقض علىٰ ما ثبت له من التوحيد والعدل، لأنَّه متىٰ لم يفعل ذلك لم يكن مستكملاً لجميع شرائط التوحيد، بل يكون مخلاً ببعضها، ولا يؤمن - مع ذلك - من دخول الشبهة في أدلته، وهو الإمامة التي لا يتم التكليف عن دونها، ولا يحسن مع ارتفاعها).

**توسعة في الدليل:**

فإنَّه مما لا شك فيه أنَّ الإمام عليه السلام هو القائد والمبيِّن للحق والعدل، بل هو الحق والعدل.

ومما لا شك فيه أنَّه في زماننا هذا قد غاب عن الأُمَّة، ولا شك أنَّه سيظهر، وله علامات تميزه عن غيره وتعرف الناس به وبظهوره.

ولا شك في وجود الأعداء له ومن يترصد منعه من القيام بوظيفته.

فلكي يقع المؤمن في الأمان من الوقوع في صف أعدائه، ولكي يدفع هذا الضرر عن نفسه وينصر الحق بانتصاره له عجل الله فرجه - علىٰ ما يأتي من الروايات - يجب البحث والنظر والنصرة بالمقدار الذي يوجب هذا الأمان.

**الدليل الثاني: وجود المتشابه القرآني يدعو للإمام:**

**قاله شيخ الطائفة قدس سره[٢] في تلخيص الشافي:**

(ومما يدل - أيضاً - علىٰ وجوب إمام معصوم في كل زمان: أنّا علمنا

١. تلخيص الشافي - الشيخ الطوسي: ج١، ص٦١.

٢. تلخيص الشافي - الشيخ الطوسي: ج١، ص١٨٦.

ضرورة - أنَّه ليس جميع أدلّة الشرع ظاهرة مطابقة لحقائق اللغة. بل نعلم أن في القرآن والسنة متشابهاً ومحتملاً، وأن العلماء من أهل اللغة قد اختلفوا في المراد به، وتوقفوا في كثير منها، ومالوا إلىٰ طريقة الظن في مواضع، والأولىٰ، فلابد - والحال هذه - من مبيّن للمشكل ومترجم للغامض يكون قوله حجة كقول الرسول صلى الله عليه وآله).

**إن قلت**: بعض الأدلة هي في سياق الاستدلال علىٰ وجود الإمام عليه السلام لا وجوب معرفته، وما يترتب عليها من طاعته وما يتفرع علىٰ الطاعة والولاء والبراءة، علىٰ ما يأتي من التصريح بها في الروايات.

**قلت**: وجوده مع عدم إيجاب معرفته والإيمان به وتوليه والأخذ عنه لغو.

علىٰ أن معنىٰ المعرفة للإمام عجل الله فرجه متضمن لطاعته ونصرته - كما سيأتي التصريح به في بعض الروايات - إذ مما لا شك فيه أن ما دل علىٰ لزوم معرفة الإمام علىٰ جميع الناس في كل زمان ومكان لا يراد به معرفة اسمه ونسبه وأنه إمام قد فرضت طاعته من الله تعالىٰ، فهذه المعرفة كان يعرف بها ألد أعدائهم، فهل ترىٰ أن معاوية بن أبي سفيان لعنه الله تعالىٰ لا يعرف أن أمير المؤمنين عليه السلام هو إمام قد فرضت طاعته من الله تعالىٰ؟!

إن معرفة الإمام عليه السلام يراد بها ما تتضمن طاعته ونصرته ولو بأقل مراتبها بعد العجز عن غيرها.

ومما ورد في روايات معرفة الإمام عليه السلام المستلزم لطاعته وما يتفرع عليها ما بوَّب لها الشيخ الكليني رضي الله عنه[1]:

* قال لي أبو جعفر عليه السلام: «إنَّما يعبد الله من يعرف الله، فأمّا من لا يعرف الله فإنَّما يعبده هكذا ضلالاً» قلت: جعلت فداك فما معرفة الله؟

١. الكافي - الشيخ الكليني: ج١، ص٢٢٨.

قال: «تصديق الله ﷻ وتصديق رسوله ﷺ وموالاة علي عليه السلام والائتمام به وبأئمة الهدىٰ عليهم السلام والبراءة إلىٰ الله ﷻ من عدوهم، هكذا يعرف الله ﷻ».

* وعن أحدهما عليهما السلام أنَّه قال: «لا يكون العبد مؤمناً حتّىٰ يعرف الله ورسوله والأئمة كلهم وإمام زمانه، ويرد إليه ويسلِّم له، ثم قال: كيف يعرف الآخر وهو يجهل الأول».

* عن زرارة قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: أخبرني عن معرفة الإمام منكم واجبة علىٰ جميع الخلق؟

فقال: «إنَّ الله ﷻ بعث محمداً ﷺ إلىٰ الناس أجمعين رسولاً وحجة لله علىٰ جميع خلقه في أرضه، فمن آمن بالله وبمحمد رسول الله واتَّبعه وصدَّقه، فإنَّ معرفة الإمام منا واجبة عليه، ومن لم يؤمن بالله وبرسوله ولم يتَّبعه ولم يصدِّقه ويعرف حقَّهما، فكيف يجب عليه معرفة الإمام وهو لا يؤمن بالله ورسوله ويعرف حقهما»؟!

قال: قلت: فما تقول فيمن يؤمن بالله ورسوله ويصدق رسوله في جميع ما أنزل الله، يجب علىٰ أولئك حق معرفتكم؟

قال: «نعم، أليس هؤلاء يعرفون فلاناً وفلاناً»؟ قلت: بلىٰ، قال: «أترىٰ أنَّ الله هو الذي أوقع في قلوبهم معرفة هؤلاء؟ والله ما أوقع ذلك في قلوبهم إلّا الشيطان، لا والله ما ألهم المؤمنين حقنا إلّا الله ﷻ».

فكيف تتحقق المعرفة الواجبة بدون براءة؟

وكيف تتحقق البراءة من دون نصرة ولو بأدنىٰ مراتبها؟!

وفي نفس الباب عن مقرن، قال، سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «جاء ابن الكواء إلىٰ أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾ [الأعراف: ٤٦]؟ فقال: نحن علىٰ الأعراف، نعرف أنصارنا بسيماهم، ونحن الأعراف الذي لا يعرف الله ﷻ إلّا بسبيل معرفتنا،

ونحن الأعراف يعرفنا الله ﷻ يوم القيامة علىٰ الصراط، فلا يدخل الجنة إلّا من عرفنا وعرفناه، ولا يدخل النار إلّا من أنكرنا وأنكرناه، إنَّ الله تبارك وتعالىٰ لو شاء لعرَّف العباد نفسه، ولكن جعلنا أبوابه وصراطه وسبيله والوجه الذي يؤتىٰ منه، فمن عدل عن ولايتنا أو فضَّل علينا غيرنا، فإنَّهم عن الصراط لناكبون، فلا سواء من اعتصم الناس به ولا سواء حيث ذهب الناس إلىٰ عيون كدرة يفرغ بعضها في بعض، وذهب من ذهب إلينا إلىٰ عيون صافية تجري بأمر ربها، لا نفاد لها ولا انقطاع».

فهم عليهم السلام يعرفون أنصارهم علىٰ حد تعبير الرواية، وكيف يكون المؤمن بهم من أنصارهم، ما لم ينصرهم ولو بأدنىٰ درجات النصرة؟!

ثم أليس من ديننا أخذ الإحكام في أدق التفاصيل من مراجع التقليد العدول والذين عليهم المعول، فنرجع إليهم ونقتدي بهم ونأخذ منهم الأحكام ونذعن ونسلم لما يقولون، لا نناقش ولا نجادل، نجاهد إذا أمروا، وندفع المال بمجرد أن يكتبوا، ونطبق أدق تفاصيل الأحكام دون حراجة ودون رقابة منهم علينا، ليس ذاك إلّا لأنَّهم - وبحسب عقيدتنا - ينوبون عن الإمام عليه السلام، أليس هذه المنزلة وما هو أرفع منها له عليه السلام، أليس هذه الطاعة وما أوسع منها له، أليست هذه نصرة؟ وإن لم تكن فما عسىٰ النصرة تكون؟!

**وفيه أيضاً**[1]: عن منصور بن حازم، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنَّ الله أجل وأكرم من أن يعرف بخلقه بل الخلق يعرفون بالله، قال: «صدقت»، قلت: إنَّ من عرف أنَّ له ربًّا، فقد ينبغي له أن يعرف أنَّ لذلك الرب رضاً وسخطاً، وأنَّه لا يعرف رضاه وسخطه إلّا بوحي أو رسول، فمن لم يأته الوحي فينبغي له أن يطلب الرسل فإذا لقيهم عرف أنَّهم الحجة وأنَّ لهم الطاعة المفترضة، فقلت للناس: أليس تعلمون أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان هو الحجة من الله علىٰ خلقه؟

١. الكافي - الشيخ الكليني: ج١، ص٢٣٦.

قالوا: بلىٰ، قلت: فحين مضىٰ ﷺ من كان الحجة؟ قالوا: القرآن، فنظرت في القرآن فإذا هو يخاصم به المرجي والقدري والزنديق الذي لا يؤمن به حتّىٰ يغلب الرجال بخصومته، فعرفت أنَّ القرآن لا يكون حجة إلّا بقيِّم، فما قال فيه من شيء كان حقاً، فقلت لهم: من قيَّم القرآن؟ قالوا: ابن مسعود قد كان يعلم وعمر يعلم وحذيفة يعلم، قلت: كله؟ قالوا: لا، فلم أجد أحداً يقال إنَّه يعلم القرآن كله إلّا علياً (صلوات الله عليه)، وإذا كان الشيء بين القوم، فقال هذا: لا أدري، وقال هذا: لا أدري، وقال هذا: لا أدري، وقال هذا: أنا أدري، فأشهد أنَّ علياً عليه السلام كان قيِّم القرآن، وكانت طاعته مفترضة، وكان الحجة علىٰ الناس بعد رسول الله ﷺ، وأنَّ ما قال في القرآن فهو حق، فقال: «رحمك الله»، فقلت: إنَّ علياً عليه السلام لم يذهب حتّىٰ ترك حجة من بعده كما ترك رسول الله ﷺ، وأنَّ الحجة بعد علي الحسن بن علي وأشهد علىٰ الحسن أنَّه لم يذهب حتّىٰ ترك حجة من بعده كما ترك أبوه وجده وأنَّ الحجة بعد الحسن الحسين وكانت طاعته مفترضة، فقال: «رحمك الله»، فقبلت رأسه وقلت: وأشهد علىٰ الحسين عليه السلام أنَّه لم يذهب حتّىٰ ترك حجة من بعده علي بن الحسين وكانت طاعته مفترضة، فقال: «رحمك الله»، فقبلت رأسه وقلت: وأشهد علىٰ علي بن الحسين أنَّه لم يذهب حتّىٰ ترك حجة من بعده محمد بن علي أبا جعفر وكانت طاعته مفترضة، فقال: «رحمك الله»، قلت: أعطني رأسك حتّىٰ أقبله فضحك، قلت: أصلحك الله، قد علمت أنَّ أباك لم يذهب حتّىٰ ترك حجة من بعده كما ترك أبوه وأشهد بالله أنَّك أنت الحجة وأنَّ طاعتك مفترضة، فقال: «كف رحمك الله»، قلت: أعطني رأسك أقبله، فقبَّلت رأسه فضحك وقال: «سلني عما شئت، فلا أنكرك بعد اليوم أبداً».

فطاعة الإمام عليه السلام أمر لازم وهو أُسُّ الدين.

**وكيف تكون طاعته في زمان غيبته؟**

لنا أن نلتمس بعض مستويات النصرة للإمام وإنْ في غيبته من خلال الاطلاع علىٰ وظيفته، فقد ورد عن الإمام الرضا عليه السلام[١]: «... بالإمام تمام الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد، وتوفير الفيء والصدقات، وإمضاء الحدود والأحكام، ومنع الثغور والأطراف.

الإمام يحلّ حلال الله، ويحرِّم حرام الله، ويقيم حدود الله، ويذب عن دين الله، ويدعو إلىٰ سبيل ربِّه بالحكمة والموعظة الحسنة، والحجة البالغة الإمام كالشمس الطالعة المجللة بنورها للعالم وهي في الأفق بحيث لا تنالها الأيدي والأبصار».

بل في بعضها التصريح به، فقد ورد عن هشام، قال[٢]: كنت عند الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام إذ دخل عليه معاوية بن وهب وعبد الملك بن أعين، فقال له معاوية بن وهب: ... «وأدنىٰ معرفة الإمام أنَّه عدل النبي إلّا درجة النبوة ووارثه، وإنَّ طاعته طاعة الله وطاعة رسول الله والتسليم له في كل أمر والرد إليه والأخذ بقوله، ويعلم أنَّ الإمام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله علي بن أبي طالب ثم الحسن ثم الحسين ثم علي بن الحسين ثم محمد بن علي ثم أنا ثم من بعدي موسىٰ ابني ثم من بعده ولده علي وبعد علي محمد ابنه وبعد محمد علي ابنه وبعد علي الحسن ابنه والحجة من ولد الحسن». ثم قال: «يا معاوية جعلت لك في هذا أصلاً فاعمل عليه...».

بل فصَّلت النصوص والروايات أكثر من ذلك، فبيَّنت حال من يضعف عن النصرة ماذا يفعل، ففي البحار[٣]: قال جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: قوله عزّ وجلّ: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦] يقول: «أرشدنا للصراط

١. الكافي: ج١، ص٢٠٠.
٢. كفاية الأثر – الخزاز القمي: ص٢٨٧.
٣. بحار الأنوار – العلامة المجلسي: ج٢٧، ص٢٢٥.

المستقيم، أي أرشدنا للزوم الطريق المؤدي إلىٰ محبتك والمانع أن نتبع أهواءنا فنعطب ونأخذ بآرائنا فنهلك»، ثم قال الصادق عليه السلام: «طوبىٰ للذين هم كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يحمل هذا العلم من كل خلف عدول ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين»، فقال له رجل: يا بن رسول الله، إني عاجز ببدني عن نصرتكم، ولست أملك إلّا البراءة من أعدائكم واللعن، فكيف حالي؟

فقال له الصادق عليه السلام: «حدَّثني أبي عن أبيه عن جدِّه عن رسول الله (صلوات الله عليهم) أنَّه قال: مَن ضعف عن نصرتنا أهل البيت فلعن في خلواته أعداءنا بلغ الله صوته جميع الأملاك من الثرىٰ إلىٰ العرش، فكلما لعن هذا الرجل أعداءنا لعناً ساعدوه ولعنوا من يلعنه ثم ثنوا فقالوا: اللهم صل علىٰ عبدك هذا الذي قد بذل ما في وسعه، ولو قدر علىٰ أكثر منه لفعل، فإذا النداء من قبل الله عز وجل: قد أجبت دعاءكم وسمعت نداءكم وصليت علىٰ روحه في الأرواح وجعلته عندي من المصطفين الأخيار...».

ورواه رحمه الله في المكيال[1]: (ومما يدل علىٰ أنَّ اللعن عليهم وعلىٰ سائر أعداء الأئمة من أقسام نصرة الإمام باللسان ما في تفسير الإمام العسكري (عليه الصلاة والسلام)، أنَّه قال رجل للصادق عليه السلام: يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله، إنّي عاجز ببدني عن نصرتكم، ولست أملك إلّا البراءة من أعدائكم واللعن عليهم، فكيف حالي؟ فقال الصادق عليه السلام: ...).

**المحور الرابع: لزوم النفر إلىٰ الإمام عليه السلام:**

وردت العديد من الروايات في بيان ما ينبغي علىٰ الناس القيام به بعد مضي الإمام السابق عليه السلام وكيفية البحث والتحري عن الإمام اللاحق عليه السلام رغم شدة الظروف وقساوة الظلمة ورصدهم لأدق التحركات في هذا الصدد،

١. مكيال المكارم - ميرزا محمد تقي الأصفهاني: ج٢، ص٣٩٠.

وقد بوَّب الشيخ الكليني رضي الله عنه في هذا المعنىٰ باباً تحت عنوان: ما يجب علىٰ الناس عند مضي الإمام عليه السلام، مما جاء فيه[1]:

ما رواه بسنده عن يعقوب بن شعيب، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إذا حدث علىٰ الإمام حدث، كيف يصنع الناس؟

قال: «أين قول الله عز وجل: ﴿فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢]»؟

قال: «هم في عذر ما داموا في الطلب وهؤلاء الذين ينتظرونهم في عذر، حتّىٰ يرجع إليهم أصحابهم».

فطلب الإمام ولزوم البحث عنه ومعرفته من الأمور الواجبة التي لا رخصة فيها ويجب النظر لتحصيلها.

وما رواه بسنده عن عبد الأعلىٰ، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول العامة: إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «من مات وليس له إمام مات ميتة جاهلية»، فقال: «الحق والله»، قلت: فإن إماماً هلك ورجل بخراسان لا يعلم من وصيه لم يسعه ذلك؟

قال: «لا يسعه إن الإمام إذا هلك وقعت حجة وصيه علىٰ من هو معه في البلد وحق النفر علىٰ من ليس بحضرته إذا بلغهم، إن الله عز وجل يقول: ﴿فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢]»، قلت: فنفر قوم فهلك بعضهم قبل أن يصل فيعلم؟

قال: «إنَّ الله عز وجل يقول: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهاجِراً إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ﴾ [النساء: ١٠٠]»، قلت: فبلغ البلد بعضه فوجدك مغلقاً عليك بابك، ومرخىً عليك سترك، لا تدعوهم إلىٰ نفسك ولا

١. الكافي – الشيخ الكليني: ج١، ص٤٢٨.

يكون من يدلهم عليك فبما يعرفون ذلك؟ بكتاب الله المنزل؟ قلت: فيقول الله ﷻ: كيف؟ قال: «أراك قد تكلمت في هذا قبل اليوم»، قلت: أجل، قال: فذكر ما أنزل الله في علي عليه السلام وما قال له رسول الله صلى الله عليه وآله في حسن وحسين عليهما السلام وما خص الله به علياً عليه السلام وما قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله من وصيته إليه ونصبه إياه وما يصيبهم وإقرار الحسن والحسين بذلك ووصيته إلىٰ الحسن وتسليم الحسين له بقول الله: ﴿النَّبِيُّ أَوْلىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْواجُهُ أُمَّهاتُهُمْ وَأُولُوا الْأَرحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتابِ اللهِ﴾ [الأحزاب: ٦].

قلت: فإنَّ الناس تكلموا في أبي جعفر عليه السلام ويقولون: كيف تخطت من ولد أبيه من له مثل قرابته ومن هو أسن منه وقصرت عمن هو أصغر منه، فقال: «يعرف صاحب هذا الأمر بثلاث خصال لا تكون في غيره: هو أولىٰ الناس بالذين قبله وهو وصيه، وعنده سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله ووصيته وذلك عندي، لا أنازع فيه»، قلت: إنَّ ذلك مستور مخافة السلطان؟

قال: «لا يكون في ستر إلّا وله حجة ظاهرة...».

فضرورة معرفة الإمام عليه السلام تحتم البحث والتقصي واستبيان الحال ولا خصوصية لذاك الزمان عن هذا سوىٰ الغيبة، التي قد ترفع بعض مراتب النصرة لا جميعها علىٰ ما في كلام شيخ الطائفة قدس سره الآتي من لزوم النصرة في زمن الغيبة.

علىٰ ما تقدم من تضمن المعرفة للإمام عليه السلام من وجوب طاعته ونصرته وأن أقل مراتبها اللعن علىٰ أعدائهم كما هو صريح ما تقدم من الروايات.

كما وإن الإشارة التي يتضمنها إيداع سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله عند كل إمام مما لا ينبغي إغفالها.

**المحور الخامس: أشخاص ينتظرون النبي ﷺ ويبحثون عنه:**

ذكرت كتب التاريخ والسير عدَّة أشخاص كانوا ينتظرون الأنبياء عليهم السلام، وخاتمهم ﷺ بالخصوص، ومن بين أولئك:

*** سلمان الفارسي - المحمدي - رضي الله عنه:**

* في كمال الدين[١]: عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كان بين عيسىٰ وبين محمد عليهما السلام خمسمائة عام منها مائتان وخمسون عاماً ليس فيها نبي ولا عالم ظاهر»، قلت: فما كانوا؟ قال: «كانوا متمسكين بدين عيسىٰ عليه السلام»، قلت: فما كانوا؟ قال: «كانوا مؤمنين»، ثم قال عليه السلام: «ولا يكون الأرض إلّا وفيها عالم، وكان ممن ضرب في الأرض لطلب الحجة سلمان الفارسي - رضي الله عنه - فلم يزل ينتقل من عالم إلىٰ عالم، ومن فقيه إلىٰ فقيه، ويبحث عن الأسرار ويستدل بالأخبار منتظراً لقيام القائم سيد الأولين والآخرين محمد ﷺ أربعمائة سنة حتّىٰ بُشِّر بولادته، فلما أيقن بالفرج خرج يريد تهامة فسبي...».

*** وقد ذكر ابن هشام في السيرة النبوية قصته مفصلاً، فراجع[٢].**

*** يهودي من بني عبد الأشهل:**

*** في سيرة الذهبي[٣]:** (عن سلمة بن سلامة بن وقش وكان من أصحاب بدر، قال: كان لنا جار من يهود في بني عبد الأشهل، وقال: فخرج علينا يوماً من بيته قبل مبعث النبي ﷺ بيسير... قالوا له: ويحك، وما آية ذلك؟ قال: نبي يبعث من نحو هذه البلاد، وأشار بيده نحو مكة واليمن، قالوا: ومتىٰ تراه؟ قال: فنظر إليَّ وأنا من أحدثهم سناً، فقال: إن يستنفد هذا الغلام عمره يدركه، قال سلمة: فوالله ما ذهب الليل والنهار، حتّىٰ بعث الله تعالىٰ رسوله ﷺ وهو حي بين أظهرنا فآمنا به، وكفر به بغياً وحسداً...).

---

١. كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق: ص١٩١.

٢. السيرة النبوية - ابن هشام الحميري: ج١، ص١٦٥.

٣. سير أعلام النبلاء - الذهبي: ج٢، ص٣٥٥.

* قس بن ساعدة:

* في السيرة الحلبية[١]: (أنَّ قس بن ساعدة كان يخطب قومه بسوق عكاظ، فقال: سيأتيكم حق من هذا الوجه - وأشار بيده إلىٰ نحو مكة -، قالوا له: وما هذا الحق؟ قال: رجل أبلج أحور، من ولد لؤي بن غالب يدعوكم إلىٰ كلمة الإخلاص وعيش ونعيم لا ينفدان، فإذا دعاكم فأجيبوه، ولو علمت أني أعيش إلىٰ مبعثه لكنت أول من يسعىٰ إليه، وقد رويت هذه القصة من طرق متعددة...).

* ورقة بن نوفل وجماعة:

في السيرة النبوية[٢]: (فقال لهم ورقة بن نوفل: تعلمون والله ما قومكم علىٰ دين، ولقد أخطأوا الحجة وتركوا دين إبراهيم، ما حجر تطيفون به لا يسمع ولا يبصر ولا ينفع ولا يضر؟! يا قوم التمسوا لأنفسكم الدين.

قال: فخرجوا عند ذلك يضربون في الأرض ويسألون عن الحنيفية دين إبراهيم عليه السلام.

فأمّا ورقة بن نوفل فتنصَّر، وقرأ الكتب حتّىٰ علم علماً.

وأمّا عثمان بن الحويرث فسار إلىٰ قيصر فتنصر وحسنت منزلته عنده.

وأمّا زيد بن عمرو بن نفيل فأراد الخروج فحبس.

ثم إنَّه خرج بعد ذلك فضرب في الأرض حتّىٰ بلغ الرقة من أرض الجزيرة، فلقي بها راهباً عالماً فأخبره بالذي يطلب، فقال له الراهب: إنَّك لتطلب ديناً ما تجد من يحملك عليه، ولكن قد أظلك زمان نبي يخرج من بلدك يبعث بدين الحنيفية. فلما قال له ذلك رجع يريد مكة فغارت عليه لخم فقتلوه).

---

١. السيرة الحلبية - الحلبي: ج١، ص٣٢٠.

٢. السيرة النبوية - ابن كثير: ج١، ص٣٧٧.

* أمية بن أبي الصلت:

**في البداية والنهاية**[١]: (عن أبي سفيان بن حرب أنَّ أمية بن أبي الصلت كان بغزة أو بإيلياء، فلما قفلنا قال لي أمية: يا أبا سفيان، هل لك أن تتقدَّم على الرفقة فنتحدث، قلت: نعم! قال: ففعلنا، فقال لي: يا أبا سفيان، إيه عن عتبة بن ربيعة، قلت: كريم الطرفين ويجتنب المحارم والمظالم، قلت: نعم، قال: وشريف مسن، قلت: وشريف مسن، قال: السن والشرف أزريا به، فقلت له: كذبت، ما ازداد سنًّا إلّا ازداد شرفاً، قال: يا أبا سفيان، إنَّها كلمة ما سمعت أحداً يقولها لي منذ تبصَّرت، فلا تعجل عليَّ حتّى أخبرك، قال: قلت: هات، قال: إنّي كنت أجد في كتبي نبياً يبعث من حرَّتنا هذه فكنت أظن بل كنت لا أشك إنّي أنا هو، فلما دارست أهل العلم إذا هو من بني عبد مناف، فنظرت في بني عبد مناف فلم أجد أحداً يصلح لهذا الأمر غير عتبة بن ربيعة، فلما أخبرتني بسنِّه عرفت أنَّه ليس به حين جاوز الأربعين، ولم يوح إليه، قال أبو سفيان: فضرب الدهر ضربه فأوحى إلى رسول الله [صلى الله عليه وآله] وخرجت في ركب من قريش أريد اليمن في تجارة فمررت بأمية فقلت له كالمستهزئ به: يا أمية قد خرج النبي الذي كنت تنعته، قال: أما إنَّه حق فاتَّبعه، قلت: ما يمنعك من اتِّباعه؟ قال: ما يمنعني إلّا الاستحياء من نساء ثقيف، إنّي كنت أحدِّثهن أنّي هو، ثم يريننني تابعاً لغلام من بني عبد مناف...).

فرغم ندرة الكتب والكتابة في ذلك الزمان - قبل بعثة النبي صلى الله عليه وآله - إلّا أنَّه وصلت إلينا بعض الإشارات عن وجود حالة الترقب والاستعداد والانتظار لهذا النبي، بل بعضهم طبقها على نفسه.

روى الشيخ النعماني رحمه الله[٢]: عن عبد الرحمن بن كثير، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل: ١]، فقال: «هو أمرنا أمر

١. البداية والنهاية - ابن كثير: ج٢، ص٢٨٣.

٢. الغيبة - ابن أبي زينب النعماني: ص٢٥١.

الله ﷻ ألّا تستعجل به حتّىٰ يؤيده بثلاثة أجناد: الملائكة، والمؤمنين، والرعب، وخروجه كخروج رسول الله ﷺ، وذلك قوله ﷻ: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ﴾ [الأنفال: ٥]».

**المحور السادس: التمكين للإمام عليه السلام في كلمات الأعلام:**

ذكرت مفردة التمكين والنصرة علىٰ لسان العديد من علماء الطائفة، وليس في خصوص الخطاب الخاص بالإتباع، بل حتّىٰ في موارد الحجاج مع الخصوص، مما يعكس كونها مفردة من المفردات الراسخة والمعروفة في الطائفة حتّىٰ عدت لوضوحها من المفردات التي يصح الاحتجاج بها مع الخصوم، وممن ذكر ذلك جماعة، منهم:

**قال السيد المرتضىٰ قدس سره[1] في فصل: (الدلالة علىٰ وجوب الرياسة في كل زمان)**: (وقد خلق الله تعالىٰ إمام الزمان (عليه وعلىٰ آبائه الصلاة والسّلام)، ونصّ الإمامة علىٰ عينه، ودلّ علىٰ اسمه ونسبه، بالأدلة القاطعة، وحثّ علىٰ طاعته، وتوعّد علىٰ معصيته.

فأمّا الأمور التي لا يتم مصلحتنا بالإمام إلّا بها وهي راجعة إلىٰ أفعالنا، وهي تمكين الإمام والتخلية بينه وبين ولايته، والعدول عن تخويفه وإرهابه، ثم طاعته وامتثال أوامره.

فإذا لم يقع منّا تمكين الإمام وأخفيناه وأخرجناه إلىٰ الاستتار تحرزاً من المضرة، ثمّ نخرج[2] من أن نكون مزاحي العلة في تكليفنا، وكان تعذر انتفاعنا بهذا الإمام منسوباً إلينا، ووزره عائداً علينا، لأنّا لو شئنا أملكناه وآمنّاه، فيتصرف فينا التصرف الذي يعود بالنفع علينا).

---

١. الذخيرة في علم الكلام – الشريف المرتضىٰ: ص٤١٦.

٢. هكذا في المصدر وعدة نسخ ولعل المقصود به أن خروجنا عن عهدة النصرة وإزاحة العلة لا يكون...

**وقال** قدس سره[١]: (فأمّا قوله: (إنَّه إنَّما يجب أن يحارب معه لو طلب ذلك معه وتشدد عليه) فقد بيّنا أنَّ نصرة الإمام واجبة من حيث كان إماماً وإن لم يطلب هو النصرة. وذكرنا أنَّ الحال التي كان دفع إليها مستدعية للنصرة من كل مسلم لتضايقها وشدَّتها أو ما كفىٰ الزبير في طلبه عليه السلام النصرة كتبه النافذة إلىٰ الآفاق يستنصر فيها ويستصرخ ويدعو الناس إلىٰ القتال معه).

وقد يقال: إن هذا المقطع لا دلالة فيه علىٰ عموم النصرة حتّىٰ في زمان الغيبة، والذي هو محل كلامنا، فالنصرة مختصة بزمان حضوره، بل لعلها مختصة بأمير المؤمنين عليه السلام.

ولكننا نقول: اختصاص النصرة بأمير المؤمنين عليه السلام مما لا وجه له بالمرة بعد تصريحه قدس سره بأن النصرة للإمام من حيث إنه إمام، فهي واجبة لحيثية الإمام، وبنفس هذه الحيثية ترتفع خصوصية الغيبة إذ ملاك النصرة هو عنوان الإمامة ولا مدخلية للغيبة كمانع عنها، خصوصاً مع تصريحه بلزوم نصرة الإمام عليه السلام كما في المقطع المتقدم بل وما يأتي منه ومن شيخ الطائفة قدس سرهما.

**وقال** قدس سره **في الشافي**[٢]: (وبيّنا أنَّ سبب الغيبة هو فعل الظالمين، وتقصيرهم فيما يلزم من تمكين الإمام فيه والإفراج بينه وبين التصرف فيهم، وبيّنا أنَّهم مع الغيبة متمكّنون من مصلحتهم بأن يزيلوا السبب الموجب للغيبة ليظهر الإمام، وينتفعوا بتدبيره وسياسته).

**قال أبو الصلاح** رحمه الله[٣]: (كيفية الجمع بين فَقْد اللطف بعدم ظهوره وثبوت التكليف) وأمّا فَقْد اللطف بظهوره متصرفاً ورهبة لرعيته مع ثبوت التكليف الذي وجوده مرهوباً لطف فيه مع عدمه، فإنَّ اختصاص هذا اللطف بفعل المكلف لتمكنه من إزاحة علة نفسه بمعرفة الحجة المدلول علىٰ

١. الشافي في الإمامة – الشريف المرتضىٰ: ج٤، ص٣٤٦.
٢. الشافي في الإمامة – الشريف المرتضىٰ: ج٣، ص١٥٠.
٣. تقريب المعارف – أبو الصلاح الحلبي: ص٤٤٢.

وجوده وثبوت إمامته وفرض طاعته وما في ذلك من الصلاح وقدرته علىٰ الانقياد، وحسن تكليفه مع تمكين الإمام وإرهابه أهل البغي لطف فيه.

... وتكليفه لازم له وإن فقد لطفه بالرئاسة، لوقوف المصلحة في ذلك علىٰ إيثاره معرفة الإمام والانقياد له باختياره دون إلجائه).

**قال شيخ الطائفة** قدس سره[١]: (وما يرجع إلىٰ الإمام: هو قبول هذا التكليف، وتوطينه نفسه علىٰ القيام به.

وما يرجع إلىٰ الأُمَّة: هو تمكين الإمام من تدبيرهم، ورفع الحوائل والموانع عن ذلك، ثمّ طاعته والانقياد له والتصرّف علىٰ تدبيره. فما يرجع إلىٰ الله تعالىٰ: هو الأصل والقاعدة، ولابدّ من تقدّمه وتمهّده. ويتلوه ما يرجع إلىٰ الإمام، ويتلو الأمرين ما يرجع إلىٰ الأُمّة).

**وقال** قدس سره[٢]: (فأمّا قولهم: في ذلك إيجاب اللطف علينا للغير غير صحيح. لأنّا نقول: إنَّ كل من يجب عليه نصرة الإمام وتقوية سلطانه له في ذلك مصلحة تخصُّه، وإن كانت فيه مصلحة يرجع إلىٰ غيره كما نقوله في أنَّ الأنبياء يجب عليهم تحمل أعباء النبوة والأداء إلىٰ الخلق ما هو مصلحة لهم...).

**وقال** قدس سره **في تلخيص الشافي**[٣] **بعين ما تقدم عن السيد المرتضىٰ** قدس سره **ونصه:** (قد بيّنا أنَّ نصرة الإمام واجبة من حيث كان إماماً، وإن لم يطلب هو النصرة...).

**قال العلامة** قدس سره[٤]: (الثامن والسبعون: الإمام يستحق النصرة ويستحق الأنصار ولا شيء من غير المعصوم، وكذلك ينتج لا شيء من غير الإمام

١. تلخيص الشافي – الشيخ الطوسي: ج١، ص١٠٩.
٢. الغيبة – الشيخ الطوسي: ص٣٩.
٣. تلخيص الشافي – الشيخ الطوسي: ج٤، ص١٥١.
٤. الألفين – العلامة الحلي: ص١٠٥.

بمعصوم، أمّا الصغرىٰ فظاهرة ولقوله تعالىٰ: ﴿مَا لَكُمْ لا تَنَاصَرُونَ﴾ [الصافات: ٢٥] وهي في معنىٰ نصرة الإمام أولىٰ اتّفاقاً، ولقوله تعالىٰ: ﴿أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]، وأمّا الكبرىٰ فلأنَّ غير المعصوم ظالم متعدٍّ لما تقدَّم، وقال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصارٍ﴾ [المائدة: ٧٢] إمّا أن يكون المراد نفي الاستحقاق أو نفي النصرة بالفعل، والثاني محال لوقوع النصرة فتعيَّن الأول، وهو المطلوب).

**وقال** قدس سره[١]: (العاشر: علَّة الاحتياج إلىٰ الإمام هو القدرة علىٰ المعصية والقوة الشهوية وعدم العصمة ولم يكفِ التكليف وحده، فلابدَّ أنَّ إيجاب تمكين الإمام من المكلفين وإيجاب طاعتهم له بحيث يتسلَّط علىٰ الكل ويكون قادراً عليهم من غير عكس...).

**قال الشيخ علي بن يونس** رحمه الله[٢]: (قلنا: قال المرتضىٰ: إذا عَلِم الله المصلحة فيها [الإمامة] وجب أن يفرضها ويوجب طاعة الأُمَّة لها وقد فعل، فخالفه [أي خالف وجوب الإمامة] الأُمَّة بترك نصرتها بل منعت وصدَّت عنها، فاللوم عليها إذا لم تفعل ما يوجب تمكين الإمام من مصلحتها وليس له [أي الإمام] بالمحاربة أن يلجئها لأدائه إلىٰ إبطال تكليفها ويجوز أن يغلب في ظنه عدم طاعتها بمحاربتها، بل قد يزداد نفورها، ولأنَّ المفسدة المفروضة غير لازمة للإمامة وإلّا لم توجد إمامة ولا نبوة، وأيضاً فالتمكين واجب عليه تعالىٰ لإزاحة العلة ونصب الإمام جزء منه، إذ الداعي بوجوده إلىٰ فعل الطاعات أوفر، والصارف إلىٰ ترك المعصيات أزجر وجزء الواجب واجب فالإمامة واجبة).

---

١. الألفين - العلامة الحلي: ص١٨٣.

٢. الصراط المستقيم - علي بن يونس العاملي النباطي البياضي: ج١، ص٦٤.

إن قلت: وجوب تمكين الإمام عليه السلام ونصرته على الأُمة عام وينصرف إلىٰ خصوص زمان حضوره، فلا يشمل مورد كلامنا وأن النصرة واجبة في زمان الغيبة وقبل الظهور.

قلت: هذا الانصراف لا معنىٰ له بعد عموم الدليل وعدم وجود مخصص صريح يخصص زمان النصرة بزمان دون زمان أو حال دون حال ولو في القدر المتيقن من النصرة بل صريح كلام السيد المرتضىٰ وشيخ الطائفة قدس سرهما لزوم النصرة للإمام الغائب عجل الله فرجه.

**قال الشهيد الأول** قدس سره[1]: (القاعدة الرابعة: الضرر المنفي، وحاصلها: أنَّها ترجع إلىٰ تحصيل المنافع، أو تقريرها لدفع المفاسد، أو احتمال أخف المفسدتين. وفروعها كثيرة حتّىٰ أنَّ القاعدة الثانية تكاد تداخل هذه القاعدة. فمنها: وجوب تمكين الإمام لينتفي به الظلم، ويقاتل المشركين وأعداء الدين).

**قال الشيخ العراقي** قدس سره[2]: (وقد اعتمد فقهاء الفريقين علىٰ هذه القاعدة في فروع وأحكام كثيرة ترتبط مباشرة بحفظ النظام العام الذي لولاه لعمّت الفوضىٰ، واختلَّت النظم. قال الشهيد الأوّل: إنَّ فروعها كثيرة حتّىٰ أنَّ قاعدة (المشقة موجبة لليسر) تكاد تداخِل هذه القاعدة. منها: (وجوب تمكين الإمام لينتفي به الظلم، وصلح المشركين، ورد مهاجريهم دون مهاجرينا).

وقد مرَّ آنفاً عدم اختصاص نصرة الإمام عجل الله فرجه ووجوبها علىٰ الأُمّة في زمان حضوره، نعم مراتب النصرة تختلف باختلاف الأزمان.

**المحور السابع: أقسام النصرة ومراتبها:**

لنصرة الإمام عليه السلام عدَّة مستويات تختلف باختلاف زمان وجوده بين الناس، وباختلاف الظروف وما يريده عليه السلام من الناس، ففي زمان ظهور

١. القواعد والفوائد – الشهيد الأول: ج١، ص١٤١.

٢. قاعدة لا ضرر ولا ضرار – تقرير بحث آقا ضياء للسيد الخلخالي: ص٢٨.

رسول الله ﷺ كانت النصرة مطلوبة بكل مراتبها: كاللسان والمال والنفس وكل شيء، ومما دلَّ علىٰ وجوب نصرة النبي ﷺ بل الأنبياء عليهم السلام عدَّة آيات مضافاً لما تقدَّم، منها:

قال تعالىٰ: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصارَ اللهِ كَما قالَ عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوارِيِّينَ مَنْ أَنْصارِي إِلَى اللهِ قالَ الْحَوارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصارُ اللهِ﴾ (الصف: ١٤).

قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثاقَ النَّبِيِّينَ لَما آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِما مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلىٰ ذلِكُمْ إِصْرِي قالُوا أَقْرَرْنا قالَ فَاشْهَدُوا وَأَنا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ (آل عمران: ٨١).

قال تعالىٰ: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الأعراف: ١٥٧).

بينما نجد في زمان أمير المؤمنين عليه السلام ولتخلُّف عموم الناس عن أهم مراتب النصرة لم يتحقق من نصرته عليه السلام ما كان متحققاً في زمان رسول الله ﷺ سوىٰ من بعض الأنفار ممن بقوا معه وكانت نصرة كل واحد منهم له عليه السلام مختلفة عن الآخر علىٰ ما هو المعروف بقصة حلق الرؤوس، وحاله عليه السلام معلوم لجميع المسلمين بلزوم نصرته، حتّىٰ أنَّه دار علىٰ القوم بزوجته وأطفاله وهم خيرة الأرض والسماء.

ذكر ابن أبي الحديد في شرحه ما لفظه[1]: (إنَّه عليه السلام لما استنجد بالمسلمين عقيب يوم السقيفة وما جرىٰ فيه وكان يحمل فاطمة عليها السلام ليلاً علىٰ حمار وابناها بين يدي الحمار، وهو عليه السلام يسوقه فيطرق بيوت الأنصار وغيرهم، ويسألهم النصرة والمعونة، أجابه أربعون رجلاً فبايعهم علىٰ الموت وأمرهم

١. شرح نهج البلاغة – ابن أبي الحديد: ج١١، ص١٤.

أن يصبحوا بكرة محلقي رؤوسهم ومعهم سلاحهم، فأصبح لم يوافه منهم إلّا أربعة: الزبير والمقداد وأبو ذر وسلمان، ثم أتاهم من الليل فناشدهم فقالوا: نصبحك غدوة، فما جاءه منهم إلّا أربعة، وكذلك في الليلة الثالثة وكان الزبير أشدّهم له نصرة وأنفذهم في طاعته بصيرة، حلق رأسه وجاء مراراً وفي عنقه سيفه، وكذلك الثلاثة الباقون، إلّا أنَّ الزبير هو كان الرأس فيهم).

قال السيد المرتضىٰ قدس سره في الانتصار[١]: (ولو لم يروِ في ذلك إلّا ما رواه الخاص والعام والولي والعدو من قوله صلى الله عليه وآله: «حربك يا علي حربي وسلمك سلمي»، وقد علمنا أنَّه عليه السلام لم يرد أن نفس هذه الحرب تلك، بل أراد تساوي الأحكام، فيجب أن تكون أحكام محاربيه هي أحكام محاربي النبي صلى الله عليه وآله إلّا ما خصه الدليل، وما روي أيضاً من قوله: «اللهم انصر من نصره واخذل من خذله»، ولأنَّه عليه السلام لما استنصر في قتال أهل الجمل وصفين والنهروان أجابته الأُمَّة بأسرها ووجوه الصحابة وأعيان التابعين وسارعوا إلىٰ نصرته ومعونته).

وحال الإمام الحسن عليه السلام مما لا يخفىٰ علىٰ العام فضلاً عن الخاص.

أمّا حال شهيد كربلاء عليه السلام وسبط خير الأنبياء صلى الله عليه وآله في طلبه للنصرة مع معلومية شهادته وحكاية النبي صلى الله عليه وآله لها، ومن مواطن طلبه للنصرة وهي عديدة:

* قوله عليه السلام[٢]: «من كان فينا باذلاً مهجته وموطناً علىٰ لقاء الله نفسه، فليرحل فإنّي راحل مصبحاً إن شاء الله».

* قوله عليه السلام[٣]: «هل مِن ذابٍّ يذبُّ عن حُرم رسول الله؟ هل من موحِّد يخاف الله فينا؟ هل من مغيث يرجو الله في إغاثتنا».

---

١. الانتصار – الشريف المرتضىٰ: ص٤٧٩.

٢. كشف الغمة في معرفة الأئمة عليهم السلام – علي بن أبي الفتح الإربلي: ج٢، ص٢٣٩.

٣. بحار الأنوار – العلامة المجلسي: ج٤٥، ص٤٨.

* ما روي في طلبه عليه السلام النصرة من عبيد الله بن الحر[١]: ولما استقر المجلس بأبي عبد الله، حمد الله وأثنىٰ عليه، قال: «يا بن الحر، إنَّ أهل مصركم كتبوا إلىٰ أنَّهم مجتمعون علىٰ نصرتي وسألوني القدوم عليهم، وليس الأمر علىٰ ما زعموا، وإنَّ عليك ذنوباً كثيرة، فهل لك من توبة تمحو بها ذنوبك»؟ قال: وما هي يا بن رسول الله؟ فقال: «تنصر ابن بنت نبيك وتقاتل معه»، فقال ابن الحر: والله إنّي لأعلم أنَّ من شايعك كان السعيد في الآخرة، ولكن ما عسىٰ أن أغني عنك ولم أخلف لك بالكوفة ناصراً، فأنشدك الله أن تحملني علىٰ هذه الخطة، فإنَّ نفسي لا تسمح بالموت! ولكن فرسي هذه (الملحقة)، والله ما طلبت عليها شيئاً قط إلّا لحقته ولا طلبني أحد وأنا عليها إلّا سبقته، فخذها فهي لك، قال الحسين: «أمّا إذا رغبت بنفسك عنّا فلا حاجة لنا في فرسك ولا فيك، وما كنت متَّخذ المضلين عضداً... فوالله لا يسمع واعيتنا أحد ولا ينصرنا إلّا أكبه الله في نار جهنم».

وهكذا الحال في بقية الأئمة عليهم السلام وحالهم في خذلان أغلب الناس لهم وعدم نصرتهم معلوم لمن سبر غور التاريخ.

**إن قلت**: إنَّ النصرة التي كانت مطلوبة في زمان الأئمة والأنبياء عليهم السلام مختصة بزمان حياتهم، ولا تشمل حال الغيبة لعدم ظهور الإمام الواجب نصرته فيها.

**قلت**: صحيح أنَّ الإمام في زمان الغيبة ليس بظاهر بين الناس، ولكن هذا لا يعني انتفاء جميع مراتب النصرة، فإنَّ النصرة لها مراتب عديدة، وفي كل مرتبة منها أدوار مختلفة تتناسب مع حال الأشخاص والظروف المحيطة بهم وإمكاناتهم واستعداداتهم، وما لا يدرك كله لا يترك جُلُّه، ومن مراتب النصرة: اللسان، وإن لم يتيسر فنصرة القلب مقدورة للجميع وبدون استثناء.

١. مقتل الحسين عليه السلام – عبد الرزاق المقرم: ص١٩٤.

**وهل يا ترىٰ يصح أن يقال:** إنَّ الإمام عليه السلام غائب، فلا تجب معرفته، ولا يلزم الإيمان به؟

فكما أنَّ لمعرفة الإمام عليه السلام مراتب، فكذا لنصرته.

بل إنَّ القرآن الكريم وفي صريح خطابه يبشِّر بالنبي صلى الله عليه وآله، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ (الصف: ٦).

وهذا التبشير ليس لسرد القصة وحكاية الخبر، وإنَّما لأجل الاستعداد لقدوم ذاك النبي الخاتم صلى الله عليه وآله، وعلىٰ أثر تلك الوصايا استعد اليهود والنصارىٰ للاستقبال، بل إنَّ جملة منهم استقرّوا بأهلهم وعيالهم في المكان المتوقع فيه ظهور النبي المنتظر، مع أنَّ حجم البشارات به صلى الله عليه وآله من قبل من سبقه من الأنبياء لم تصل إلىٰ عُشر ما بَشَّر به الأئمة عليهم السلام والنبي صلى الله عليه وآله بظهور الإمام عجل الله فرجه، حتّىٰ بيَّنوا عليهم السلام أدق التفاصيل وأقربها.

وقد تقدَّم الاستدلال علىٰ وجوب البحث عن الإمام عليه السلام ومعرفته وأن هذه المعرفة متضمنة لوجوب الطاعة ولزوم النصرة مطلقاً.

**المحور الثامن: الانتظار ومراتب النصرة والإعداد:**

بعد وضوح ضرورة غيبة الثاني عشر عجل الله فرجه من الأئمة عليهم السلام، تكاثرت الأسئلة من الأصحاب عن الوظيفة في الغيبة وما هي؟

وهذه الأسئلة تكشف بوضوح أنَّ في البين وظيفة محدَّدة للأتباع تجاه كل إمام من الأئمة عليهم السلام، نعم هذه تختلف من إمام إلىٰ آخر، بحسب اختلاف الظروف وما يقتضيه الحال، ومتابعة فاحصة لروايات الانتظار التي قد يقال بتواترها الإجمالي إنْ لم يك المعنوي، ينكشف لنا أنَّ الانتظار هو واحدة من مراتب النصرة للإمام عجل الله فرجه، بل له عدَّة مراتب، فلاحظ بعض روايات الانتظار التي نتلوها عليك والمراتب المختلفة التي أثبتتها:

مراتب من النصرة الانتظارية:

* **رفقاء الرسول** صلى الله عليه وآله: في غيبة الشيخ قدس سره[١]: عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: طوبىٰ لمن أدرك قائم أهل بيتي وهو مقتدٍ به قبل قيامه، يتولىٰ وليّه ويتبرأ من عدوّه، ويتولىٰ الأئمة الهادية من قبله، أولئك رفقائي وذوو ودّي وموَدَّتي، وأكرم أُمَّتي عليَّ».

لاحظ أنَّ الحديث جعل المدرِك للقائم عجل الله فرجه المقتدي به يتولاه ويتبرأ من أعدائه قبل قيامه، جعل هذه من مراتب النصرة.

* **الشهداء قبل الظهور في الغيبة**[٢]: عن أبي خالد الكابلي، عن أبي جعفر عليه السلام أنَّه قال: «كأنّي بقوم قد خرجوا بالمشرق يطلبون الحق فلا يعطونه، ثم يطلبونه فلا يعطونه، فإذا رأوا ذلك وضعوا سيوفهم علىٰ عواتقهم فيعطون ما سألوه فلا يقبلونه حتّىٰ يقوموا ولا يدفعونها إلّا إلىٰ صاحبكم، قتلاهم شهداء، أما إنّي لو أدركت ذلك لاستبقيت نفسي لصاحب هذا الأمر».

* **في فسطاط رسول الله** صلى الله عليه وآله:

في المحاسن[٣]: عن السندي، عن جدِّه، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما تقول فيمن مات علىٰ هذا الأمر منتظراً له؟ قال: «هو بمنزلة من كان مع القائم عليه السلام في فسطاطه»، ثم سكت هنيئة، ثم قال: «هو كمن كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله».

* **المجاهدون بين يدي رسول الله** صلى الله عليه وآله:

في كمال الدين[٤]: عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي خالد الكابلي، قال: دخلت علىٰ سيدي علي بن الحسين زين العابدين عليهما السلام فقلت له: يا بن رسول الله،

١. الغيبة – الشيخ الطوسي: ص٤٨٤.
٢. الغيبة – ابن أبي زينب النعماني: ص٢٨٢.
٣. المحاسن – أحمد بن محمد بن خالد البرقي: ج١، ص٢٣٣.
٤. كمال الدين وتمام النعمة – الشيخ الصدوق: ص٣٥٠.

أخبرني بالذين فرض الله عزّ وجلّ طاعتهم ومودَّتهم، وأوجب على عباده الاقتداء بهم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله؟

فقال لي: «يا كنكر، إنَّ أولي الأمر الذين جعلهم الله عزّ وجلّ أئمة للناس وأوجب عليهم طاعتهم: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ثم الحسن، ثم الحسين...»، قال أبو خالد: فقلت: يا بن رسول الله، ثم يكون ماذا؟ قال: «ثم تمتد الغيبة بولي الله عزّ وجلّ الثاني عشر من أوصياء رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة بعده.

يا أبا خالد إنَّ أهل زمان غيبته القائلين بإمامته والمنتظرين لظهوره أفضل من أهل كل زمان، لأنَّ الله تبارك وتعالىٰ أعطاهم من العقول والأفهام والمعرفة ما صارت به الغيبة عندهم بمنزلة المشاهدة، وجعلهم في ذلك الزمان بمنزلة المجاهدين بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله بالسيف، أولئك المخلصون حقاً وشيعتنا صدقاً، والدعاة إلىٰ دين الله عزّ وجلّ سرًّا وجهراً»، وقال علي بن الحسين عليهما السلام: «انتظار الفرج من أعظم الفرج».

فالإمام عليه السلام في هذه الأخبار - بل وفي غيرها - ينزّل أهل الانتظار بمنزلة من جاهد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وأن له هذه المراتب العظيمة من مرافقة الرسول صلى الله عليه وآله إذا تولىٰ أهل البيت عليهم السلام وتبرأ من أعدائهم وينتظر أمرهم وهذه مرتبة من مراتب النصرة كما هو واضح ومرّ التصريح في كونها من مراتب النصرة في الروايات.

بل صرَّحت الرواية عن أمير المؤمنين عليه السلام الآتية عن الوسائل أن النية تقوم مقام الإصلات بالسيف.

*** النية تقوم مقام الإصلات بالسيف، وهي من درجات النصرة الانتظارية:**

في الوسائل[1]: عن أمير المؤمنين عليه السلام أنَّه قال في خطبة له: «الزموا

١. وسائل الشيعة (الإسلامية) - الحر العاملي: ج١١، ص٤٠.

الأرض، واصبروا علىٰ البلاء، ولا تحركوا بأيديكم وسيوفكم في هوىٰ ألسنتكم، ولا تستعجلوا بما لم يعجل الله لكم، فإنَّه من مات منكم علىٰ فراشه وهو علىٰ معرفة حق ربِّه وحق رسوله وأهل بيته مات شهيداً، ووقع أجره علىٰ الله، واستوجب ثواب ما نوىٰ من صالح عمله، وقامت النية مقام إصلاته بسيفه، فإن لكل شيء مدة وأجلاً».

*** مضاعفة الأعمال مرتبة من النصرة:**

في كمال الدين[١]: عن عمار الساباطي، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: العبادة مع الإمام منكم المستتر في دولة الباطل أفضل، أم العبادة في الظهور الحق ودولته مع الإمام الظاهر منكم؟... قال: فقلت: جعلت فداك، قد رغبتني في العمل وحثثتني عليه، ولكني أحب أن أعلم كيف صرنا اليوم أفضل أعمالاً من أصحاب الإمام منكم الظاهر في دولة الحق ونحن وهم علىٰ دين واحد وهو دين الله عزَّ وجلَّ؟

فقال: «إنَّكم سبقتموهم إلىٰ الدخول في دين الله عزَّ وجلَّ وإلىٰ الصلاة والصوم والحج وإلىٰ كل فقه وخير وإلىٰ عبادة الله سراً مع عدوكم مع الإمام المستتر، مطيعون له، صابرون معه، منتظرون لدولة الحق، خائفون علىٰ إمامكم وأنفسكم من الملوك، تنظرون إلىٰ حق إمامكم وحقكم في أيدي الظلمة قد منعوكم ذلك واضطروكم إلىٰ حرث الدنيا وطلب المعاش مع الصبر علىٰ دينكم وعبادتكم وطاعة إمامكم والخوف من عدوكم، فبذلك ضاعف الله أعمالكم، فهنيئاً لكم هنيئاً...».

*** نفس الانتظار فرج:**

في غيبة الشيخ قدس سره[٢]: عن الحسن بن الجهم، قال: سألت أبا الحسن عليه السلام

١. كمال الدين وتمام النعمة – الشيخ الصدوق: ص٦٧٦.

٢. الغيبة – الشيخ الطوسي: ص٤٨٧.

عن شيء من الفرج. فقال: «أوَلست تعلم أنَّ انتظار الفرج من الفرج»؟ قلت: لا أدري إلّا أن تعلِّمني، فقال: «نعم، انتظار الفرج من الفرج».

*** القول بالنصرة نصرة:**

في المحاسن[١]: عن عبد الحميد الواسطي، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: أصلحك الله، والله لقد تركنا أسواقنا انتظاراً لهذا الأمر حتّىٰ أوشك الرجل منّا يسأل في يديه، فقال: «يا عبد الحميد، أترىٰ من حبس نفسه علىٰ الله لا يجعل الله له مخرجاً؟ بلىٰ، والله ليجعلن الله له مخرجاً، رحم الله عبداً حبس نفسه علينا، رحم الله عبداً أحيىٰ أمرنا»، قال: فقلت: فإن متُّ قبل أن أدرك القائم؟ فقال: «القائل منكم: (إن أدركت القائم من آل محمد نصرته) كالمقارع معه بسيفه، والشهيد معه له شهادتان».

فإن الرواية تنزل القول بنصرة الإمام عليه السلام منزلة النصرة له وهذه مرتبة أخرىٰ من مراتب النصرة.

*** نفس الانتظار بمنزلة الضرب بالسيف:**

وهي روايات عديدة بعضها جعلت المنتظر كالضارب بالسيف وبعضها كالشهيد وغيرها، ومنها:

في كمال الدين[٢]: عن الحسين بن يزيد النوفلي، عن أبي إبراهيم الكوفي، قال: دخلت علىٰ أبي عبد الله عليه السلام فكنت عنده... «المنتظر للثاني عشر كالشاهر سيفه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله يذب عنه»، فدخل رجل من موالي بني أمية فانقطع الكلام وعدت إلىٰ أبي عبد الله عليه السلام خمس عشرة مرة أريد استتمام الكلام فما قدرت علىٰ ذلك، فلما كان من قابل دخلت عليه وهو جالس فقال لي: «يا أبا إبراهيم هو المفرّج للكرب عن شيعته بعد ضنك شديد وبلاء طويل وجور، فطوبىٰ لمن أدرك ذلك الزمان...».

١. المحاسن - أحمد بن محمد بن خالد البرقي: ج١، ص٢٣٣.

٢. كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق: ص٦٧٧.

* الدعاء من مراتب النصرة:

في كمال الدين[١]: عن زرارة بن أعين، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إنَّ للقائم غيبة قبل أن يقوم»، قلت له: ولِمَ؟ قال: «يخاف» - وأومأ بيده إلىٰ بطنه -، ثم قال: «يا زرارة وهو المنتظر، وهو الذي يشك الناس في ولادته، منهم من يقول: هو حمل، ومنهم من يقول: هو غائب، ومنهم من يقول: ما وُلِد، ومنهم من يقول: وُلِد قبل وفاة أبيه بسنتين. غير أنَّ الله تبارك وتعالىٰ يحب أن يمتحن الشيعة، فعند ذلك يرتاب المبطلون»، قال زرارة: فقلت: جعلت فداك، فإن أدركت ذلك الزمان فأي شيء أعمل؟ قال: «يا زرارة، إن أدركت ذلك الزمان فأدم هذا الدعاء: اللهم عرِّفني نفسك، فإنَّك إن لم تعرِّفني نفسك لم أعرف نبيك».

في الغيبة[٢]: عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام أنَّه قال ذات يوم: «ألا أخبركم بما لا يقبل الله عزَّ وجلَّ من العباد عملاً إلّا به»؟ فقلت: بلىٰ. فقال: «شهادة أن لا إله إلّا الله، وأنَّ محمداً عبده، والإقرار بما أمر الله، والولاية لنا، والبراءة من أعدائنا - يعني الأئمة خاصة -، والتسليم لهم، والورع والاجتهاد والطمأنينة، والانتظار للقائم عليه السلام»، ثم قال: «إنَّ لنا دولة يجيء الله بها إذا شاء»، ثم قال: «من سرَّه أن يكون من أصحاب القائم فلينتظر وليعمل بالورع ومحاسن الأخلاق وهو منتظر، فإن مات وقام القائم بعده كان له من الأجر مثل أجر من أدركه، فجدوا وانتظروا، هنيئاً لكم أيَّتها العصابة المرحومة...».

جعلت الانتظار من الأمور التي لا يقبل العمل إلّا بها، وكأنَّه يتحدَّث عن مقوماتها.

١. كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق: ص٣٧٢.

٢. الغيبة - ابن أبي زينب النعماني: ص٢٠٧.

* العمل بالورع ومحاسن الأخلاق من درجات النصرة وتصيّر صاحبها من أنصار الإمام عليه السلام:

في الغيبة [١]: عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال ذات يوم: «ألا أخبركم بما لا يقبل الله عزّ وجلّ من العباد عملاً إلّا به»؟ فقلت: بلىٰ. فقال: «شهادة أن لا إله إلّا الله، وأنّ محمداً عبده، والإقرار بما أمر الله، والولاية لنا، والبراءة من أعدائنا - يعني الأئمة خاصة -، والتسليم لهم، والورع والاجتهاد والطمأنينة، والانتظار للقائم عليه السلام»، ثم قال: «إن لنا دولة يجيء الله بها إذا شاء»، ثم قال: «من سرَّه أن يكون من أصحاب القائم فلينتظر وليعمل بالورع ومحاسن الأخلاق وهو منتظر، فإن مات وقام القائم بعده كان له من الأجر مثل أجر من أدركه، فجدوا وانتظروا، هنيئاً لكم أيَّتها العصابة المرحومة».

* نفس الانتظار أفضل العبادة:

في المحاسن [٢]: عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: «أفضل عبادة المؤمن انتظار فرج الله».

المحور التاسع: روايات عدد الأصحاب تكشف عن نصرة مرتقبة:

في الإرشاد [٣]: عن أبي خديجة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لا يخرج القائم حتّىٰ يخرج قبله اثنا عشر من بني هاشم كلهم يدعو إلىٰ نفسه».

ألا ينبغي علينا معرفة هؤلاء أو بعضهم كي لا نقع في فتنة اتِّباعهم؟

في الغيبة [٤]: عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «لا يخرج القائم إلّا في وترٍ من السنين، تسع وثلاث وخمس وإحدىٰ».

---

١. الغيبة - ابن أبي زينب النعماني: ص٢٠٧.
٢. المحاسن - أحمد بن محمد بن خالد البرقي: ج١، ص٣٥١.
٣. الإرشاد - الشيخ المفيد: ج٢، ص٣٧٢.
٤. الغيبة - الشيخ الطوسي: ص٤٨١.

في دلائل الإمامة[١]: رجال مولانا صاحب الزمان (صلوات الله عليه)...

عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قلت له: جعلت فداك، هل كان أمير المؤمنين عليه السلام يعلم أصحاب القائم عليه السلام كما كان يعلم عدَّتهم؟

قال أبو عبد الله عليه السلام: «حدَّثني أبي عليه السلام، قال: والله لقد كان يعرفهم بأسمائهم وأسماء آبائهم وقبائلهم رجلاً فرجلاً، ومواضع منازلهم ومراتبهم، وكل ما عرفه أمير المؤمنين عليه السلام فقد عرفه الحسن عليه السلام، وكل ما عرفه الحسن عليه السلام فقد عرفه الحسين عليه السلام، وكل ما عرفه الحسين عليه السلام فقد عرفه علي بن الحسين عليه السلام، وكل ما عَلِمه علي بن الحسين عليه السلام، فقد علمه محمد بن علي عليه السلام، وكل ما علمه محمد بن علي عليه السلام فقد عَلِمه وعرفه صاحبكم - يعني نفسه عليه السلام -»، قال أبو بصير: قلت: مكتوب؟

قال: فقال أبو عبد الله عليه السلام: «مكتوب في كتاب محفوظ في القلب، مثبت في الذكر لا ينسىٰ»، قال: قلت: جعلت فداك، أخبرني بعددهم وبلدانهم ومواضعهم، فذاك يقتضىٰ من أسمائهم؟

قال: فقال عليه السلام: «إذا كان يوم الجمعة بعد الصلاة فائتني»، قال: فلما كان يوم الجمعة أتيته، فقال: «يا أبا بصير، أتيتنا لما سألتنا عنه»؟

قلت: نعم، جعلت فداك، قال: «إنَّك لا تحفظ، فأين صاحبك الذي يكتب لك»؟ قلت: أظن شغله شاغل، وكرهت أن أتأخَّر عن وقت حاجتي، فقال لرجل في مجلسه: «اكتب له: هذا ما أملاه رسول الله صلى الله عليه وآله علىٰ أمير المؤمنين عليه السلام وأودعه إياه من تسمية أصحاب المهدي عليه السلام وعدَّة من يوافيه من المفقودين عن فرشهم وقبائلهم، السائرين في ليلهم ونهارهم إلىٰ مكة، وذلك عن استماع الصوت في السنة التي يظهر فيها أمر الله عزوجل، وهم النجباء والقضاة والحكام علىٰ الناس...».

١. دلائل الإمامة - محمد بن جرير الطبري (الشيعي): ص٥٥٥.

**المحور العاشر: إشكالات ثلاث في المقام:**

**الأول: تقييد الطاعة والنصرة بزمان الظهور فقط:**

قد يقال: إنَّه ورد في بعض الروايات أنَّ الطاعة للإمام عجل الله فرجه مختصة بزمان ظهوره ولا تشمل زمان غيبته، ومنها:

ما رواه الشيخ الصدوق قدس سره، قال[١]: حدَّثنا أحمد بن زياد بن جعفر الهمداني رضي الله عنه قال: حدَّثنا علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن عبد السلام بن صالح الهروي، قال: سمعت دعبل بن علي الخزاعي، يقول: أنشدت مولاي الرضا علي بن موسىٰ عليهما السلام قصيدتي... «وبعد الحسن ابنه الحجة القائم المنتظر في غيبته المطاع في ظهوره، لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم واحد لطوَّل الله ذلك اليوم حتّىٰ يخرج فيملأها عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً...».

**والجواب عن ذلك:**

١ - بحسب التتبُّع القاصر لم أجد سوىٰ هذا المضمون في الروايات بخلاف ما دلَّ علىٰ الطاعة مطلقاً[٢]، فقد جاء بعدَّة مضامين، وهذا لا يكافئ تلك ولا يقيِّدها.

لو تنزَّلنا وقلنا بالتكافؤ، مع ذلك لا تقييد ولا تخصيص، لأنَّ ثبوت الطاعة والنصرة للإمام عليه السلام ولو بأدنىٰ مراتبها من الضرورات، وما هو كذلك لا يُقيد بخبر واحد، فلابد من تأويله، بل ليس فيه عقد النفي كي يقع التعارض.

٢ - قد يكون المقصود من الخبر أنَّ أعلىٰ مراتب النصرة - هي القيام بالسيف والتضحية بالنفس من أجل الإمام عليه السلام - هي عند ظهوره ولا نظر

---

١. كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق: ص٤٠٣.

٢. بل ما صرح بالنصرة في زمن الغيبة في الرواية التي رواها المجلسي رحمه الله عن الإمام الصادق عليه السلام وتقدمت في المحور الثالث.

للخبر إلىٰ المراتب الأخرىٰ، ويشهد لذلك رواية أهل المشرق فمع وصف قتلاهم بالشهداء، إلّا أنَّ الإمام عليه السلام قال: «لو أدركت ذلك لاستبقيت نفسي لصاحب هذا الأمر عليه السلام».

**الثاني: الأمر في زمان الغيبة بأن نكون أحلاس البيوت:**

ورد في بعض الروايات أنَّ وظيفة الناس في زمان غيبة الإمام عليه السلام هو الجلوس في البيت وأن يكونوا علىٰ حدِّ تعبير الرواية أحلاس بيوتهم، وهذا ينافي أو يقيد ما دل علىٰ النصرة، إذ يحدِّد الوظيفة بأنَّها حلس البيت فقط، ومن تلك الروايات: ما رواه الشيخ النعماني رحمه الله[1]: عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إنَّه قال لي أبي عليه السلام: لابدَّ لنار من أذربيجان لا يقوم لها شيء، وإذا كان ذلك فكونوا أحلاس بيوتكم، وألبدوا ما ألبدنا، فإذا تحرَّك متحركنا فاسعوا إليه ولو حبواً، والله لكأنّي أنظر إليه بين الركن والمقام يبايع الناس علىٰ كتاب جديد، علىٰ العرب شديد، وقال: ويل لطغاة العرب من شر قد اقترب».

وفيه أيضاً[2]: عن أبي المرهف، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «هلكت المحاضير»، قال: قلت: وما المحاضير؟ قال: «المستعجلون، ونجا المقربون، وثبت الحصن علىٰ أوتادها، كونوا أحلاس بيوتكم، فإنَّ الغبرة علىٰ من أثارها، وأنَّهم لا يريدونكم بجائحة إلّا أتاهم الله بشاغل إلّا من تعرض لهم».

**والجواب عن ذلك:**

١ – الحلسية معلقة علىٰ صيرورة أذربيجان لأهل البيت عليهم السلام، ففي ذلك الظرف تثبت وظيفة الأحلاس للناس إلىٰ أن يتحرَّك متحركهم فتتبدل الوظيفة من الحلسية إلىٰ الحبو إليه.

وفي الرواية الثانية تعليق علىٰ التعرض، والكلام هو الكلام.

١. الغيبة – ابن أبي زينب النعماني: ص٢٠٠.

٢. الغيبة – ابن أبي زينب النعماني: ص٢٠٣.

٢ – قد تكون هذه وظيفة خاصة لبعض الناس لا للكل، فمن لا يقدر على مراتب النصرة الأعلىٰ يكون حلس بيته، وهي لا تنفي مراتب النصرة الانتظارية التي تقدَّمت، وقد يكون نظر الرواية إلىٰ بعض الأزمنة التي تكون النصرة – اللسانية مثلاً – فيها مؤدية للهلكة فيقتصر علىٰ الحلسية، أو في بعض الأمكنة كذلك، فلا نظر في الرواية إلىٰ المراتب الأخرىٰ كي تقيدها، فهي تفقد العقد الإيجابي الموجب للتقيد أصولياً، فإنَّ المثبتات لا تنافي بينها.

**الثالث: حالات وجود الإمام من جهة من يوجده ويبسط يده، ولزوم نصرته:**

ذكر الشيخ الطوسي قدس سره عدَّة إشكالات أثيرت حول دليل اللطف، ومنها: ما هو من جهة إيجاد الرئيس المطاع في الأُمَّة علىٰ من يقع ويجب؟

فالمستشكل يقول: إنَّ وجوب وجود الإمام بين الناس له حالات ثلاث:

١ – إمّا أن يكون وجوده ظاهراً بإيجاد الله تعالىٰ له، وهذا ما لم يحصل حيث انتقض في الغيبة فإنَّه تعالىٰ لم يبسط يده بل غيَّبه.

٢ – أو أنَّه يجب علىٰ الناس أن يوجدوه ويبسطوا يده، وهذا تكليف بما لا يطاق، لأنَّ الناس لا قدرة لهم علىٰ تشخيص المعصوم من بين ظهرانيهم.

٣ – أو أنَّ الله تعالىٰ هو الذي يوجده، وعلىٰ الناس أن يبسطوا يده، وهذا التفصيل مما لا دليل عليه، ولو تنزَّلنا وقلنا بوجود ما يدل عليه، فإنَّه يلزم منه لازم فاسد لا يلتزم به، من أنَّه كيف يجب تكليفٌ من التكاليف عليَّ ويكون لطفه وأثره علىٰ غيري، فلم يجب عليَّ بسط يد الإمام عليه السلام وأثر هذا التكليف أن يحصل لطف علىٰ غيري من الناس؟

هذا هو إشكالهم علىٰ دليل اللطف، من عدم تحقق اللطف علىٰ جميع الفروض.

**جواب الشيخ** قدس سره: نحن نختار الثالث ولا يرد الإشكال، بيان ذلك:

حيث نقول: إنَّ وجود الإمام عليه السلام وأنَّه لطف بنا هذا مما لا نشك به،

على ما ذكره قدس سره من الدلالة على كونه لطفاً، وهذا اللطف لا يتحقق إلّا مع وجوده، وحيث ليس من مقدورنا إيجاد الإمام عليه السلام لأنّه معصوم، والمعصوم لا يعرفه إلّا الله تعالىٰ، فيكون التكليف بإيجاده تكليف بغير المقدور.

فيكون إيجاده مختصًّا به تعالىٰ، وأمّا بسط يده حيث إنّه مقدور لله تعالىٰ بمقتضىٰ قدرته المطلقة، ومقدور لنا أيضاً من خلال مبايعته ونصرته، وحيث إنَّ الله تعالىٰ لم يبسط يده تكويناً وبالقوة والغلبة، وكذلك لم يثبت أنّه تعالىٰ أحال بينه وبين أعدائه بإنزال الملائكة عليه لنصرته، علمنا أنّه تعالىٰ جعل التكليف في هذا الأمر منوطاً بنا.

يبقىٰ جواب إشكالهم في التمثيل في أنَّ التكليف يجب علىٰ زيد واللطف يحصل بعمرو فهو غير صحيح، فإنَّ الأنبياء عليهم السلام مع كون إرسالهم هو لمصلحة الناس وهدايتهم إلّا أنَّ في نفس هذه الهداية مصلحة لهم.

وكذلك نجيب بما يجيب به المخالف لنا، من أنَّ ما يقوم به أهل الحل والعقد مصلحة للناس فهم ينصبون الرئيس وتنصيبه يعود بالمصلحة للناس، فما يقولونه في هذا الأمر نقوله في الإمامة، ونصرة الإمام عليه السلام.

**إن قلتم**: لِمَ لا يجوز أن يكون الإمام عليه السلام في زمان الغيبة معدوماً.

**قلنا في مقام الجواب**: إنّنا نبني علىٰ وجوده قبل الاستدلال بدليل اللطف، لأنَّ وجوده ليس من شأننا بل من شأن الله تعالىٰ، فحيث يشترط في الرئيس العصمة، ولا ندركها، فوجود الرئيس المعصوم بيننا مفروغ عنه.

لأنّه لو لم يوجده تعالىٰ فينا مع لزوم اللطف عليه عجل في التكاليف معناه أنّه تعالىٰ أوجد مانع وصولنا إلىٰ اللطف اللائق بنا، وهو لا يناسب لطفه.

وعليه فمع الفراغ عن وجوده، مع عدم تمكينه وكون التمكين تحت قدرتنا، صار الخلل من جهتنا في عدم بسط يده وتمكينه.

**قاعدة في الوظيفة تجاه الإمام عليه السلام مستفادة من كلام شيخ الطائفة قدس سره:**

**إن قلت:** ما هو المقصود بتمكينه؟ هل الذهاب إليه وإخراجه من الغيبة ومبايعته ونصرته؟

**قلت:** كلا، فحيث إنَّه في زمان الغيبة، فإنَّ تمكينه وبسط يده إنَّما يكون بما يناسب حال الغيبة، من عقد العزم علىٰ نصرته وعدم التواني في تأدية ما يطلبه منا لو ظهر.

**تكليفنا بنصرة الإمام عليه السلام علىٰ نحو الدوام:**

**فإنْ قيل:** إنَّ إيجاده عليه السلام لأجل تصحيح تكليفنا تجاهه عليه السلام لا يتوقف علىٰ إظهار النصرة الخارجية حتّىٰ يقال: إنَّ التكليف لا يتعلق بالمعدوم، بل إنَّ المراد بالنصرة المستلزمة لإيجاده هي فقط علىٰ مستوىٰ النية والقصد من المكلفين، وهذا أمر مقدور ويصح وإن كان متعلقه ليس بموجود، فبمجرد عقد النية علىٰ نصرته يظهره الباري تعالىٰ، ثم بعد وجوده تجب النصرة الخارجية، فالتفصيل المذكور علىٰ لسان الإمامية – من كونه غائباً لا معدوماً – لا فائدة تترتب عليه، فتحقق تكليفنا من النصرة لا يتوقف علىٰ الوجود، لأنَّنا نفصل في النصرة، ونجعلها علىٰ مرحلتين: مرحلة النية ولا يشترط فيها الوجود في الإمام عليه السلام، ومرحلة النصرة الخارجية فيشترط فيها، وبعد تحقق الأولىٰ يتحقق وجوده فتتحقق النصرة الثانية.

**وفي مقام الجواب نقول:** إنَّ تكليفنا تجاه الإمام عليه السلام ثابت علينا بمقتضىٰ أدلة وجوب طاعته بنحو مطلق سواء كان ظاهراً أو مستوراً، لأنَّه لو كان تكليفنا تجاهه عليه السلام مختصًّا بحالة ظهوره أو المقدمات القريبة منها كنية النصرة، فلا يحسن التكليف بذلك أيضاً، فإن قبح التكليف بما لا يكون مقدوراً أيضاً يشمل مورد ما إذا كان معدوماً، فالمدار علىٰ الأدلة التي أوجبت طاعته وأدلة قبح أو حسن التكليف. وفرض قيد في تلك الأدلة يحتاج إلىٰ دال وهو مفقود.

**قال شيخ الطائفة** قدس سره[١]: **فإن قيل**: ما الذي تريدون بتمكيننا إياه؟ أتريدون أن نقصده ونشافهه وذلك لا يتم إلّا مع وجوده.

**قيل لكم**: لا يصح جميع ذلك إلّا مع ظهوره، وعلمنا أو علم بعضنا بمكانه.

**وإن قلتم**: نريد بتمكيننا أن نبخع لطاعته والشد علىٰ يده، ونكف عن نصرة الظالمين، ونقوم علىٰ نصرته متىٰ دعانا إلىٰ إمامته ودلَّنا عليها بمعجزته.

**قلنا لكم**: فنحن يمكننا ذلك في زمان الغيبة وإن لم يكن الإمام موجوداً فيه، فكيف قلتم لا يتم ما كلفناه من ذلك إلّا مع وجود الإمام.

**قلنا**: الذي نقوله في هذا الباب ما ذكره المرتضىٰ رحمه الله في الذخيرة وذكرناه في تلخيص الشافي أنَّ الذي هو لطفنا من تصرف الإمام وانبساط يده لا يتم إلّا بأمور ثلاثة.

**أحدها**: يتعلق بالله وهو إيجاده.

**والثاني**: يتعلق به من تحمل أعباء الإمامة والقيام بها.

**والثالث**: يتعلق بنا من العزم علىٰ نصرته، ومعاضدته، والانقياد له، فوجوب تحمله عليه فرع علىٰ وجوده، لأنَّه لا يجوز أن يتناول التكليف المعدوم، فصار إيجاد الله إيّاه أصلاً لوجوب قيامه، وصار وجوب نصرته علينا فرعاً لهذين الأصلين، لأنَّه إنَّما يجب علينا طاعته إذا وجد، وتحمل أعباء الإمامة وقام بها، فحينئذٍ يجب علينا طاعته، فمع هذا التحقيق كيف يقال: لِمَ لا يكون معدوماً؟

**فإن قيل**: فما الفرق بين أن يكون موجوداً مستتراً (حتّىٰ إذا علم الله منّا تمكينه أظهره، وبين أن يكون) معدوماً حتّىٰ إذا علم منا العزم علىٰ تمكينه أوجده.

---

١. الغيبة – الشيخ الطوسي: ص٤١.

**قلنا**: لا يحسن من الله تعالىٰ أن يوجب علينا تمكين من ليس بموجود لأنَّه تكليف ما لا يطاق، فإذاً لابد من وجوده.

**فإن قيل**: يوجده الله تعالىٰ إذا علم أنّا ننطوي علىٰ تمكينه بزمان واحد كما أنَّه يظهره عند مثل ذلك.

قلنا: وجوب تمكينه والانطواء علىٰ طاعته لازم في جميع أحوالنا، فيجب أن يكون التمكين من طاعته والمصير إلىٰ أمره ممكناً في جميع الأحوال وإلّا لم يحسن التكليف، وإنَّما كان يتم ذلك لو لم نكن مكلّفين في كل حال لوجوب طاعته والانقياد لأمره، بل كان يجب علينا ذلك عند ظهوره والأمر عندنا بخلافه.

ثم يقال لمن خالفنا في ذلك وألزمنا عدمه علىٰ استتاره: لِمَ لا يجوز أن يكلّف الله تعالىٰ المعرفة ولا ينصب عليها دلالة إذا علم أنّا لا ننظر فيها، حتّىٰ إذا علم من حالنا أنّا نقصد إلىٰ النظر ونعزم علىٰ ذلك أوجد الأدلة ونصبها، فحينئذٍ ننظر ونقول: ما الفرق بين دلالة منصوبة لا ننظر فيها وبين عدمها حتّىٰ إذا عزمنا علىٰ النظر فيها أوجدها الله تعالىٰ.

ومتىٰ قالوا: نصب الأدلة من جملة التمكين الذي لا يحسن التكليف من دونه كالقدرة والآلة؟

قلنا: وكذلك وجود الإمام عليه السلام من جملة التمكين من وجوب طاعته، ومتىٰ لم يكن موجوداً لم تمكنّا طاعته، كما أنَّ الأدلة إذا لم تكن موجودة لم يمكنّا النظر فيها، فاستوىٰ الأمران.

وبهذا التحقيق يسقط جميع ما يورد في هذا الباب من عبارات لا نرتضيها في الجواب وأسئلة المخالف عليها، وهذا المعنىٰ مستوفي في كتبي وخاصة في تلخيص الشافي فلا نطول بذكره.

فنصرته في زمان غيبته عجل الله فرجه ثابتة وإن حصل كلام في مقدارها.

ALMAUOOD

# المحتويات

تمهيدنا (آليات التعاطي المعرفي مع المهدوية) – رئيس التحرير ..... ٥

**المنهج التحليلي في معالجة روايات الملاحم والفتن**

**(الروايات المهدوية نموذجاً).....١١**

**السيِّد محمّد القبانچي**

تطبيق السيد الخوئي قدس سره للمنهج: .....١٢

تطبيق السيد السيستاني دام ظله للمنهج: .....١٣

بيان خطورة المنهج التحليلي: .....١٣

ويبقىٰ سؤال: هل استخدام هذا المنهج يوصل دائماً إلىٰ القطع بالنتائج؟ .....١٤

شمولية المنهج التحليلي: .....١٥

دواعي الوضع والتحريف في الموروث المهدوي:.....١٦

١ – الدواعي السياسية:.....١٦

٢ – عدم وضوح العقيدة المهدوية لدىٰ أغلب المسلمين: .....١٩

٣ – عدم المتابعة من قبل الآخر باعتبار أنَّها قضية ليست محلاً للابتلاء والسؤال والجواب عنده: .....٢٢

مكانة القصاصين عند البلاط: .....٢٥

٤ – عدم إمكانية تكذيب الناقل والمتحدث لعدم وقوع الحادثة: .....٢٦

٥ – تعميم ظاهرة السطحية وإغراق المجتمع بالأساطير والخرافات: .....٢٦

# المحتويات

المقصود من (المنهج التحليلي): ..... ٢٧
نماذج من استعمال المنهج التحليلي عند الأعلام في الروايات المهدوية المستقبلية: ..... ٢٩
المورد الأول: ..... ٣٠
المورد الثاني: ..... ٣١
المورد الثالث: ..... ٣٢
تطبيقات في المنهج التحليلي: ..... ٣٢
خروج المهدي عجل الله فرجه من المغرب: ..... ٣٣
أولاً: دراسة في شخصية المؤلف: ..... ٣٦
ثانياً: دراسة الظرف الزمكاني لحياة المؤلف: ..... ٣٨
ثالثاً: دراسة معارضته القواعد التاريخية الثابتة في الموروث المهدوي: ..... ٣٩

**الولادة المعجزة للإمام المهدي عجل الله فرجه ..... ٤٥**

**السيد حسين العوامي**

ولادة موسىٰ عليه السلام في الكتاب العزيز: ..... ٤٧
ولادة موسىٰ عليه السلام في الحديث: ..... ٤٩
ولادة إبراهيم الخليل عليه السلام: ..... ٥٠
عرض صاحب مجمع البيان قصة ولادة إبراهيم الخليل عليه السلام: ..... ٥٠
عرض ابن الأثير لولادة إبراهيم الخليل عليه السلام: ..... ٥١
ولادة يحيىٰ عليه السلام: ..... ٥٢

# المحتويات

قصة ولادة يحيىٰ عليه السلام في الإنجيل: ..... ٥٢
ولادة عيسىٰ عليه السلام: ..... ٥٣
بيان ولادة المسيح ابن مريم عليهما السلام في الكتاب العزيز: ..... ٥٤
الولادة حديث وحدث: ..... ٥٦
الولادة عقيدة أو معرفة: ..... ٥٧
محل النزاع والبحث: ..... ٦٠
التاريخ والدين: ..... ٦١
كيف أرَّخ الدين نفسه؟ وكيف وثَّق حقائق الأحداث التي تمَّت به؟ أو تمت إليه بصلة؟ ..... ٦٢
ولادة الإمام المهدي عجل الله فرجه: ..... ٦٣
الجدل المثار حول ولادة المهدي عجل الله فرجه: ..... ٦٣
المنهج العقلائي والعرفي في إثبات الولادة: ..... ٦٧
الولادة في سيرة أهل البيت عليهم السلام: ..... ٦٧
القيمة التاريخية لإثبات تواريخ الولادات: ..... ٦٩
وَهمُ الإمامة المُعَطَّلَة ..... ٧٥
الشيخ حسن الكاشاني
أهمية المسألة: ..... ٧٦
رأي الشيعة الأوائل وأصحاب الأئمة عليهم السلام إلىٰ القرن الرابع: ..... ٧٧

# المحتويات

حفظ الدين وبينات الوحي بالإمام الحي القائم بالأمر: ..... ٨٠
كلمات أعلام الطائفة من القرن الخامس: ..... ٨٥
الأدلة علىٰ فعلية الإمامة في كل زمان وأنَّها لا تقبل التعطيل: ..... ٩٣
١ - برهان الحفظ: ..... ٩٣
٢ - برهان الصدق: ..... ٩٧
٣ - آيات ليلة القدر: ..... ١٠٠
٤ - وجوب البيعة مع الإمام في كل زمان: ..... ١٠١
٥ - مقام الاستخلاف الإلهي: ..... ١٠١
٦ - استمرار الهداية الإيصالية: ..... ١٠٢
٧ - حديث الثقلين: ..... ١٠٢
٨ - تشبيه الإمام بالشمس والإمام الغائب بالشمس خلف السحاب: ..... ١٠٢
٩ - مقام أسماء الله في نظام التكوين والتشريع: ..... ١٠٢
١٠ - وجود الراعي للدين في كل زمان: ..... ١٠٣
١١ - حديث خلفائي اثنا عشر: ..... ١٠٣
غياب الإمام لا يعني تجميد دوره: ..... ١٠٤
مظاهر من وَهمِ الإمامة المعطّلة: ..... ١٠٦
أحاديث الاثني عشر وإمامة الحجة بن الحسن عجل الله فرجه ..... ١٠٩

# المحتويات

بحث في الدلالة ودفع الشبهات.....١٠٩

السيد طلال الحكيم

الإشكال الأول: عنوان الحديث مجمل.....١١٣

الإشكال الثاني: لِـمَ لم يعيّنوا؟.....١١٤

الإشكال الثالث: المنع من التواتر.....١١٥

الإشكال الرابع: عدم الاجتماع عليهم.....١١٥

الإشكال الخامس: بعضهم معدوم عند الجمهور.....١١٧

دفع دخل فيما يتعلق بالتقية:.....١١٨

الإشكال السادس: اختلاف العدد.....١١٩

الإشكال السابع: التعارض في الروايات.....١٢٢

الإيمان بالإمام المهدي عجل الله فرجه وعدمه

رؤية نهاية التاريخ في الفلسفة الغربية نموذجاً.....١٢٥

مجتبىٰ السادة

لماذا الإيمان بالـمُخلّص الإلهي (الإمام المهدي عجل الله فرجه)؟.....١٢٧

أولاً: الـمُخلّص وبرهان الفطرة:.....١٢٨

ثانياً: المُخلِّص وطريق الاستدلال العقلي:.....١٣٠

ثالثاً: المُخلِّص وطريق الإرشاد السماوي:.....١٣١

هل المُخلِّص الموعود هو الإمام المهدي عجل الله فرجه؟.....١٣٣

# المحتويات

البشارات في التراث الديني تنطبق علىٰ المخلِّص المهدي عجل الله فرجه فقط: ..... ١٣٥
الفرق بين نهاية التاريخ ونهاية الكون: ..... ١٣٧
نهاية التاريخ في الفكر الفلسفي الغربي: ..... ١٣٩
(١) نظرية هيجل لنهاية التاريخ: ..... ١٤٠
(٢) نظرية ماركس لنهاية التاريخ: ..... ١٤١
(٣) نظرية فوكوياما لنهاية التاريخ: ..... ١٤٢
(٤) نظرية هنتنغتون لنهاية التاريخ: ..... ١٤٤
أركان نظرية هنتنغتون: ..... ١٤٤
(٥) نظرية ما بعد الحداثة لنهاية التاريخ: ..... ١٤٦
خصائص النظرية: ..... ١٤٦
نهاية التاريخ في الرؤىٰ الدينية السماوية: ..... ١٥٠
اليهود: ..... ١٥١
الرؤية الأساسية: ..... ١٥٢
النظرة الدينية: ..... ١٥٢
النظرة السياسية: ..... ١٥٣
المسيحيون: ..... ١٥٣
الرؤية الأساسية: ..... ١٥٤
النظرة الدينية المسيحية: ..... ١٥٤

# المحتويات

النظرة السياسية: ..... ١٥٥
المسلمون: ..... ١٥٦
الرؤية الأساسية: ..... ١٥٧
الأثر المعنوي: ..... ١٥٨
النظرة الدينية: ..... ١٥٩
النظرة السياسية: ..... ١٦١
أثر الإيمان بالمهدوية في رؤية نهاية التاريخ: ..... ١٦٢
النواحي الإيجابية للإيمان بالمهدوية: ..... ١٦٢
النواحي السلبية لعدم الإيمان بالمهدوية: ..... ١٦٤
لماذا يتجاهل الغرب المهدوية كرؤية لنهاية التاريخ؟ ..... ١٦٦
أثر عدم الإيمان بالمخلص (المهدي) علىٰ المجتمعات الغربية: ..... ١٦٩
انتشار نبوءات يوم القيامة: ..... ١٧١
الإيمان بالمهدي عجل الله فرجه يمثل أملاً مشتركاً للبشرية كافة: ..... ١٧٢
١ – القيم الإنسانية المشتركة: ..... ١٧٢
٢ – الأمل في المستقبل: ..... ١٧٣
٣ – التغلُّب علىٰ التحديات: ..... ١٧٣
٤ – احترام الأديان السماوية: ..... ١٧٤

# المحتويات

كيف يعلم الإمام المهدي عجل الله فرجه بوقت ظهوره؟..... ١٧٧
الشيخ حسين عبد الرضا الأسدي
موضوع البحث: ..... ١٨٠
الطائفة الأولىٰ: ما قد يُستدل به علىٰ علمه عجل الله فرجه بالوقت: ..... ١٨٠
النوع الأول: ما دلَّ علىٰ سعة علم المعصوم لكل شيء يقع في الدنيا وإلىٰ يوم القيامة ... ١٨٠
النوع الثاني: ما يدل علىٰ علمهم بالوقت لكن بدلالةٍ التزامية لا مطابقية:..... ١٨٣
ولكنه يُرد بأمرين: ..... ١٨٤
النوع الثالث: ما دلَّ علىٰ أنَّهم إذا أرادوا أن يعلموا الشيء علموه: ..... ١٨٤
ولكنه يُجاب: ..... ١٨٥
الطائفة الثانية: ما قد يُستدل به علىٰ عدم علمه عجل الله فرجه بالوقت:..... ١٨٨
النوع الأول: ما صُرّح فيه بأنَّ الله تعالىٰ كتم علم الظهور عنهم عليهم السلام : ..... ١٨٩
النوع الثاني: ما دلَّ علىٰ أنَّ يوم الظهور هو كيوم القيامة لا يعلم به إلَّا الله تعالىٰ: .... ١٩١
النوع الثالث: ما دلَّ علىٰ أنَّ الظهور يكون بغتة:..... ١٩٢
إذن، كيف يعلم بوقت الظهور؟..... ١٩٢
الطريقة الأولىٰ: الإيحاء إليه:..... ١٩٣
الاستعمال الأول: الوحي الرسالي: ..... ١٩٣
الاستعمال الثاني: الوحي التكويني:..... ١٩٤

# المحتويات

الاستعمال الثالث: الوحي الغريزي: ..... ١٩٤
الاستعمال الرابع: الوحي بمعنىٰ التحديث، أو الإلهام والإلقاء: ..... ١٩٤
الطريقة الثانية: صدور علامات إعجازية خاصة به عجل الله فرجه: ..... ١٩٧
وقفة مع كلام للشيخ الطوسي قدس سره: ..... ١٩٨
ولكن يُمكن النقاش في هذا الطريق من عدَّة جهات: ..... ٢٠٣
فتلخَّص من كل ما تقدَّم: ..... ٢٠٦
نصرة الدولة المهدوية بين البشرية والإعجاز ..... ٢٠٩
الشيخ حميد عبد الجليل الوائلي
تحرير محل النزاع: ..... ٢٠٩
يقع البحث في عدَّة محاور: ..... ٢١١
المحور الأول: المنهج في التعامل مع الروايات في المسألة: ..... ٢١١
المحور الثاني: صور المسألة وأقوالها: ..... ٢١٣
الأولىٰ: دولة الإعجاز الصِرْف: ..... ٢١٣
الثانية: دولة البشرية الصرفة: ..... ٢١٤
إن الإمام عجل الله فرجه مثله مثل الساعة: ..... ٢١٤
إن ظهوره عجل الله فرجه بغتة فجأة: ..... ٢١٥
انتظار خروجه عجل الله فرجه صباحاً ومساءً: ..... ٢١٦
الثالثة: دولة المزج بين الغيب والبشرية: ..... ٢١٦

# المحتويات

المحور الثالث: أهمية الإمامة في العقيدة ووجوب البحث عن الإمام عليه السلام: ..... ٢٢٠
الدليل الأول: دفع الضرر: ..... ٢٢١
توسعة في الدليل: ..... ٢٢١
الدليل الثاني: وجود المتشابه القرآني يدعو للإمام: ..... ٢٢١
وكيف تكون طاعته في زمان غيبته؟ ..... ٢٢٦
المحور الرابع: لزوم النفر إلىٰ الإمام عليه السلام: ..... ٢٢٧
المحور الخامس: أشخاص ينتظرون النبي صلى الله عليه وآله ويبحثون عنه: ..... ٢٣٠
* سلمان الفارسي - المحمدي - رضي الله عنه: ..... ٢٣٠
* يهودي من بني عبد الأشهل: ..... ٢٣٠
* قس بن ساعدة: ..... ٢٣١
* ورقة بن نوفل وجماعة: ..... ٢٣١
* أمية بن أبي الصلت: ..... ٢٣٢
المحور السادس: التمكين للإمام عليه السلام في كلمات الأعلام: ..... ٢٣٣
المحور السابع: أقسام النصرة ومراتبها: ..... ٢٣٧
المحور الثامن: الانتظار ومراتب النصرة والإعداد: ..... ٢٤١
مراتب من النصرة الانتظارية: ..... ٢٤٢
* المجاهدون بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله: ..... ٢٤٢
* النية تقوم مقام الإصلات بالسيف، وهي من درجات النصرة الانتظارية: ..... ٢٤٣

# المحتويات

* مضاعفة الأعمال مرتبة من النصرة: ..... ٢٤٤
* نفس الانتظار فرج: ..... ٢٤٤
* القول بالنصرة نصرة:..... ٢٤٥
* نفس الانتظار بمنزلة الضرب بالسيف: ..... ٢٤٥
* الدعاء من مراتب النصرة:..... ٢٤٦
* العمل بالورع ومحاسن الأخلاق من درجات النصرة وتصيّر صاحبها من أنصار الإمام عليه السلام:..... ٢٤٧
* نفس الانتظار أفضل العبادة: ..... ٢٤٧
المحور التاسع: روايات عدد الأصحاب تكشف عن نصرة مرتقبة:..... ٢٤٧
المحور العاشر: إشكالات ثلاث في المقام: ..... ٢٤٩
الأول: تقييد الطاعة والنصرة بزمان الظهور فقط: ..... ٢٤٩
الثاني: الأمر في زمان الغيبة بأن نكون أحلاس البيوت:..... ٢٥٠
الثالث: حالات وجود الإمام من جهة من يوجده ويبسط يده، ولزوم نصرته: .... ٢٥١
قاعدة في الوظيفة تجاه الإمام عليه السلام مستفادة من كلام شيخ الطائفة قدس سره: ..... ٢٥٣
تكليفنا بنصرة الإمام عليه السلام ..... ٢٥٣

اللهم لك الحمد
الحجة الحسن
صلواتك عليه وعلى آبائه
في هذه الساعة وفي كل ساعة ولياً وحافظاً
وقائداً وناصراً ودليلاً وعيناً حتى تسكنه أرضك
طوعاً وتمتعه فيها طويلاً